



مجلة

مجمع اللغة العربية بمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

مجلة محكمة فصلية

ذو الحجة ١٤٣٧هـ

تشرين الأول ٢٠١٦م

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

أُنشئت سنة ١٣٣٩هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

المدير المسؤول: الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

بجنته المجلة

الدكتور محمود السيد «رئيس التحرير»

الدكتور مكي الحسني الجزائري الدكتور مازن المبارك

الدكتور ممدوح خسارة «المقرر» الدكتور أنور الخطيب

الدكتور محمد محفل الدكتورة لبانة مشوح

الدكتور هاني رزق

أمينة المجلة: ريم الملاح

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية وأبرزها:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

شروط النشر:

- ١- أن يتسم البحث بالجدة والأصالة والموضوعية.
- ٢- ألا يكون البحث منشورًا أو مستلًا من رسالة، ويتعهد الباحث خطيًا بذلك.
- ٣- أن يُرفق بحثه بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني.
- ٤- ألا يقلّ البحث عن عشر صفحات وألا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة (٧٠٠٠ كلمة)، أما المقالات والتعريف بالكتب فيقبل منها ما يقلُّ عن عشر صفحات.
- ٥- أن يرفق البحث بملخص بالعربية يُطبع في بدايته، يشير بوضوح إلى الجديد في البحث، وإلى أبرز نتائجه.
- ٦- أن يخلو البحث من أي إساءة إلى الكُتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.
- ٧- أن يُعدّ الباحث - إذا رغب في ذلك - ملخصاً لبحثه بالإنكليزية أو الفرنسية.

٨- أن يلتزم الباحث المنهج العلمي في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي: «اسم المؤلف أو الكاتب - اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة»، وفي المصادر والمراجع يكتب:

«اسم الكتاب - اسم المؤلف - اسم دار النشر ومكانها - رقم الطبعة وتاريخها».

٩- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدةً بالحرف (Mylotus) أو (Traditional Arabic) قياس (١٦)، وأن تشفع بقرص مدمج مسجلٍ عليه العنوان، أو مرسلَةً بالبريد الإلكتروني.

١٠- تُوضع الكلمات العربية أو المُعرَّبة قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو:

تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).

١١- أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، ... إلخ.

١٢- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد عليها بعد أن تخضع للتقويم السري.

١٣- تُرتَّب البحوث والمقالات وفق اعتبارات فنية.

١٤- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تُردُّ إلى أصحابها.

١٥- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان الآتي:

دمشق ص. ب ٣٢٧ - البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشبكة (الإنترنت):

www.arbacademy.gov.sy

نعي فاضل

إنّ مجمع اللغة العربية بدمشق ينعي العالم الجليل:

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس مجمع اللغة العربية في الجزائر

ويعد غيابه عن الساحة الثقافية خسارة كبيرة نظراً لما كان يتحلى به الفقيه من إخلاص للغة الأمة، وتفان في خدمتها، وسعي دؤوب إلى سيورتها وانتشارها.

رحم الله عالمنا الفاضل، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وذويه وطلابه ومريديه الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنا إليه راجعون

مجمع اللغة العربية بدمشق

فهرس الجزء الرابع

من المجلد التاسع والثمانين

البحوث والدراسات

- ٨٦٥ د. محمود السيد - الكفاية اللغوية مفهوماً ومعياراً وقياساً
- تجديد الدرس الصرفي
- ٨٩٥ د. ممدوح خسارة - بناء (مفعل) وجواز تقيسه
- نظرات في (مختصر النحو)
- ٩١٣ د. عبد الناصر عساف - لابن سعدان الكوفي
- نظرات نقدية تحقيقية في كتاب
- ٩٥١ د. عباس الجراخ - (رياض الألباب) للسيوطي
- الصنعة العقلية عند أبي تمام
- ٩٩١ د. أحمد علي محمد - مقدمة لقراءة جمالية في شعر الطائي
- ١٠١١ د. عدي حسن علي - نظام الجملة في اللغات السامية

المقالات والآراء

- ١٠٤٣ د. مكّي الحسني - تذكرة بأهم أحكام تذكير
الفاعل وتأتيته
- ١٠٥٣ د. نشأت الحمارنة - مشروع لكتابة المعجم التاريخي
للاصطلاحات الطيبة ج ١
- ١٠٧٥ أ. إبراهيم الزبيق - صداقة العربية بين الميمني والتنوخي

التعريف والنقد

- نظرية العامل في النحو العربي
١٠٩٥ د. محمد عبدو فلفل (تقعيد وتطبيق)
- ثمار الصناعة في علم العربية
١١١٥ تأليف: الحسين بن موسى الدينوري د. عبد الإله نبهان

المحاضرات والمدارس

- الوسطية والاعتدال في الفكر العربي
١١٢٥ أمين الريحاني أنموذجاً (١٨٧٦-١٩٤٠) د. أنور الخطيب

أنباء جمعية وثقافية

- من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ الأساليب
١١٤٣ من (٩٣-٩٩)
- المحاضرات والندوات
١١٥٥ أ- المحاضرات التي أقيمت في المجمع عام ٢٠١٦ م
١١٥٦ ب- الندوات التي عقدت عام ٢٠١٦ م
١١٥٧ - إصدارات المجمع عام ٢٠١٦ م
- الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع
١١٥٨ في الربع الرابع من العام ٢٠١٦
١١٦٣ - فهرس المجلد التاسع والثمانين



البحوثُ والدراسات

الكفاية اللغوية

مفهوماً ومعياراً وقياساً

أ. د. محمود السيد(*)

نحاول في هذا البحث أن نتعرف مفهوم الكفاية عامة، والكفاية اللغوية خاصة، وأن نقف على المعايير المطلوبة لهذه الكفاية، لتتوصل إلى قياسها وتعرّف بعض الاختبارات المعدّة لهذه الغاية على الصعيد القومي.

أولاً - مفهوم الكفاية والقدرة

طالما تردد في أدبياتنا التربوية مصطلح «الكفاية»، و «الكفاية اللغوية».

فما المقصود بهذين المصطلحين؟

الكفاية لغةً جاءت من الفعل (كَفَيْ) ، وكفى الشيء يكفي كفاية بمعنى حصل به الاستغناء عن غيره فهو كاف، وكفى الشيء فلاناً بمعنى استغنى به عن غيره فهو كاف. وفي القرآن الكريم جاء: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] بمعنى سيحميك الله منهم، ويكفّ عنك أذاهم.

والكفاية بمعنى ما يكفي ويغني عن غيره، و«كفى الرجل بالشيء»: استغنى به عن سواه، والكافي هو الذي يكفيك ويغنيك عن غيره، والكفيّ هو الكافي الذي يكفيك ويغنيك عن غيره، وجمعه أكفيا»^(١).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) وزارة التربية السورية- المعجم المدرسي - دمشق ٢٠٠٧ ص ٩٤.

ولقد وردت تعريفات كثيرة للكفاية، إذ يرى (دينو D' Hainaut) أن الكفاية تتمثل في القدرة على القيام بعمل عقلي معرفي، ومن ثمَّ فهو أمر داخلي وغير مرئي، في حين يرى (جيلي Gilly) أن الكفاية هي نظام من المعارف المفهومية (الذهنية) والمهارات العملية التي تتشكل في إجراءات تمكّن من تعرف إشكالية محددة وحلّها بفعالية. وللكفايات أنواع ثلاثة هي:

١ - كفاية عامة، وتعرّف بالقدرة على تعبئة مجموعة مندمجة من المعارف والمهارات والاتجاهات بصرف النظر عن اختلاف حقول المعرفة واختلاف المواد الدراسية والأنشطة التعليمية، فهي كفاية أفقية تشترك فيها كل حقول المعرفة ولا سقف لها.

ولقد أشار (كري Curry) إلى تسع كفايات عامة لا بد أن تتوفر لدى طلاب ما قبل التعليم الجامعي، وهذه الكفايات هي^(٢):

- التحليل بمختلف أساليبه.
- المرونة القائمة على تعدد المهارات.
- التواصل مع الآخرين.
- التواصل بلغات مختلفة شفهيًا وكتابيًا ورمزيًا وتشكيليًا وموسيقياً... إلخ.
- التخطيط للمشروعات.
- إدارة الوقت.
- التحلي بالدافعية عند الإقدام على إنجاز عمل.
- المبادرة.

(٢) الدكتور محمد بن فاطمة، والأستاذ محمود وناس - دليل مرجعي لتدريب الأطر التربوية المعنية بالكفايات العامة اللازمة لخريج التعليم الثانوي العام في الوطن العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ٢٠١٠ ص ٤٢.

- العمل ضمن فريق أو مجموعة.
 - وإذا أخذنا كفاية عامة، ولتكن التربية على المواطنة، فإننا نلاحظ أن هذه الكفاية تتجلى في أن يتمكن الطالب من أن:
 - يؤدي واجباته ويتمسك بحقوقه.
 - يؤمن بالوحدة الوطنية على أنها ضرورة حتمية للتقدم.
 - يقدّر المصلحة العامة، ويقدمها على مصلحته الخاصة، ويضحّي من أجلها.
 - يؤمن بالتعددية في إطار الوحدة الوطنية.
 - يعتز بانتمائه إلى وطنه.
 - يتحمل المسؤولية، ويمارس الأساليب العقلانية في التفكير والحوار.
 - يعمل بروح الفريق، ويمارس العمل الجماعي والتطوعي في حياته.
 - يمارس النقد، ويشارك في اتخاذ القرار.
 - يتقبل الآخر، ويقدر رأيه، ويحترم وجهات النظر الأخرى في منأى عن أي تزمّت.
 - يتقن عمله^(٣).
- ٢- كفاية متعلقة بحقل معرفي معين أو ميدان معين كحقل العلوم وحقل اللغات وحقل الجماليات... إلخ.
- ٣- كفاية خاصة متعلقة بمادة دراسية واحدة كمادة اللغة العربية أو الرياضيات، أو التاريخ... إلخ^(٤).

(٣) الدكتور محمود السيد- التربية على المواطنة- محاضرات الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية بدمشق- مطبوعات المجمع ٢٠٠٩ ص ١٢٥.

(٤) الدكتور محمود أحمد السيد- النهوض باللغة العربية والتمكين لها- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق- دمشق ٢٠١٣ ص ٨٦.

وتتميز الكفاية بعدة خصائص منها^(٥):

١ - الامتداد Le prolongement: أي إن اكتسابها لا يحدث دفعة واحدة، بل يجري عبر مسار تكويني قد يمتد سنة أو سنوات أو مرحلة دراسية أو أكثر، بل قد يتجاوز الحياة الدراسية إلى الحياة العملية.

٢ - التطور La progression: مما يميز الكفاية قابليتها للتطور حيث تنشأ وتنمو وتراجع، وقد تزول مما يستدعي تعهدها بالرعاية والعناية.

٣ - التحول La transférabilité: ويقصد به الطابع الوظيفي للكفاية، إذ يمكن المتعلم من توظيف ما اكتسبه من معارف ومهارات في سياقات أخرى كحلّ المشكلات، واتخاذ القرارات... إلخ.

وثمة اختلاف حول تعريف مفهوم القدرة، فمنهم من يرى أنه مرادف لمعرفة العمل (Savoir - faire)، ومنهم من يختزله في المهارة (Habileté)، وبعضهم الآخر يربطه بمفهوم النشاط. وثمة من يعتمد تعريف (فيليب ميريو) لإجرائيته وهو: القدرة هي نشاط ذهني ثابت وقابل للتطبيق في مجالات معرفية متعددة، ويستعمل هذا المصطلح مرادفاً لمعرفة العمل (Savoir - faire) على أن تتجلى القدرة في تطبيقها على مضامين، فالقدرة على الترتيب والتحليل في حدّ ذاتها لا تعني الشيء الكثير إلا إذا ربطناها بمضمون معين من مثل^(٦):

- ترتيب صور حسب تاريخ التقاطها.

- ترتيب مراجع حسب مؤلفيها.

- تحليل جملة.

- تحليل نص أدبي.

(٥) وزارة التربية والتعليم العالي المغربية - تكوين الأساتذة المتدربين بالسلك الثانوي -

الرباط ٢٠١١ ص ٣٥.

(٦) المرجع السابق ص ٣٧.

- تحليل مسألة حسابية.

- تحليل خريطة.

وتتميز القدرة بأنها معطى مكتسب ينمو طوال الحياة الدراسية والحياة بصفة عامة، وقد تتراجع مع تقدم العمر، وهي استعداد داخلي يتمدد ويتجسد بما يمكن أن يؤديه الفرد، ولا تتجسد إلا من خلال تطبيقها على محتوى دراسي، وهي غير قابلة للتقويم.

وإذا كانت للكفاية خصائص فإن للقدرة خصائص تشترك فيها حيناً مع الكفاية، وتختلف فيها أحياناً أخرى، وقد ذكرت الخصائص الأربع الآتية للقدرة على أنها مميزة لها وهي^(٧):

- خاصية الامتداد (Transversabilité): وتعني أنه يمكن تفعيلها في مجموع المواد الدراسية وفي مستويات تعليمية مختلفة.

- خاصية التطور (Evolutivité): وتعني أن القدرة تتطور مدى الحياة في اتجاه الدقة، وتتخذ أشكالاً مختلفة، إذ يمكن أن تمارس القدرة على الملاحظة مثلاً بسرعة فائقة أو بدقة متناهية أو بموضوعية كبيرة أو بعفوية، ويجري تطوير القدرة بتطبيقها على مجموعة عريضة من المضامين.

- خاصية التحول (Transformation): إذا كانت الكفاية تتطور عبر الزمن فإن ما يميز بينها وبين القدرة أن القدرة تتطور عند احتكاكها بالأوضاع والمشكلات، وتتفاعل وتتداخل بينها فتتولد عنها قدرات جديدة أكثر إجرائية مثل القدرة على الكتابة والقراءة والحساب، والقدرة على التنظيم وعلى التفاوض والتمييز بين الأساسي والثانوي.

- خاصية عدم القابلية للتقويم Non évaluabilité: إذ لا يمكن تقويم

(٧) المرجع السابق ص ٣٨.

سوى القدرات المرتبطة بمضامين معينة، ومن الصعب أن نحدد وبدقة مستوى التحكم في قدرة ما في وضعها الخالص، ويمكن تصنيف القدرات إلى: قدرات معرفية، وقدرات مهارية، وقدرات اجتماعية عاطفية.

ثانياً - مفهوم الكفاية اللغوية:

الكفاية اللغوية هي المستوى المتقدم من إتقان اللغة والجودة في استعمالها، وقد ورد في معجم (Longman) لتعليم اللغة واللسانيات التطبيقية أن الكفاية اللغوية هي «مستوى الجودة لشخص ما في استعمال المهارات اللغوية محادثة وقراءة وكتابة وفهماً، ويمكن أن يختلف هذا المستوى في ضوء مستوى التحصيل اللغوي»^(٨).

ولقد ظهر مفهوم الكفاية اللغوية في خمسينيات القرن الماضي على يد عالم اللسان الأمريكي (نعوم تشومسكي Naom Chomsky) عام ١٩٥٧، ونظر إليها على أنها نظام ثابت من القواعد المولدة التي تمكن الفرد من إنتاج جمل وتلقّي أخرى في لغته الأم حتى وإن كان غير قادر على تفسير ذلك. إضافة إلى أن هذه القدرة غير قابلة للملاحظة من الآخرين^(٩).

وفرق (تشومسكي) بين الكفاية والإنجاز أو الأداء Performance الذي يفيد استعمال اللغة، فالكفاية اللغوية Competence هي القدرة التي تمكن الإنسان من فهم ما يقال، وتمكّنه من صوغ الجمل اللغوية الصحيحة وتركيبها تركيباً نحويّاً سليماً، في حين أن الأداء Performance أو الكلام هو القدرة التي تتيح حركة

(٨) Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics- second edition- Prentice Hall Regents, Nj- 1987 p292.

(٩) وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي المغربية- تكوين الأساتذة المتدربين بالسلك الثانوي، الرباط ٢٠١١ ص ٣٢.

صوتية معينة في الفم، تجعل العضلات الموجودة داخل الفم وخارجه تتحرك على نحو يجعل الإنسان ينطق الأصوات المتعارفة في كل لغات العالم. وفي تعليم اللغة على أنها لغة ثانية وليست اللغة الأم كان في أمريكا ثمة تساهل في النظر إلى مفهوم الكفاية اللغوية، إذ نُظر إليها على أنها القدرة على استقبال الرسائل وإرسالها في مواقف الحياة المختلفة^(١٠)، ولم يكن ينظر إلى السلامة اللغوية، وإنما يكتفى بفهم الرسالة استقبالاً أو إرسالاً في عملية التواصل اللغوي والاجتماعي في منأى عن الصحة والسلامة.

ثالثاً - معايير الكفاية اللغوية

يواجه ميدان تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها تحديات كثيرة، ومن هذه التحديات القصور في تحديد المستويات اللغوية للدارسين مما يؤثر في كفايتهم اللغوية في أثناء تعلمهم اللغة، ويرجع ذلك إلى عدم كفاية المعايير الواضحة في تقسيم الدارسين إلى مستويات تناسب كفايتهم اللغوية، فغالبية المراكز التي تقوم بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لا تستند إلى أسس واضحة في أثناء تقسيم الدارسين إلى مستويات لغوية، إضافة إلى عدم وجود معايير كافية لتحقيق الهدف المنشود من تعليم اللغة العربية والحصول على الكفاية اللغوية اللازمة. ومن الملاحظ أيضاً غياب الدراسات التي تتناول بناء الاختبارات على أسس المعايير المرجعية للكفاية اللغوية، والقصور في تعرف مستويات تعليم اللغة العربية ضمن المستويات الآتية (المبتدئ - المتوسط - المتقدم). وتهدف اختبارات تحديد المستوى إلى تحديد المستوى اللغوي

Second Language proficiency Assessment: Current issues- Lowe pardee, J (١٠) r. and Stansfield, Charles w. Prentice- Hall, Inc, Book Distribution Center and Center of Applied linguistics NY 1988 P13.

للمدارسين، وتوزيعهم إلى فصول دراسية تناسب مستواهم اللغوي قبل بدء الدراسة كي لا يجلس المتعلم مع مجموعة أعلى من مستواه فلا يتمكن من متابعة الدراسة معها، أو مع مجموعة أدنى من مستواه فيؤدي ذلك إلى فقدان الحماسة والإحساس بالإحباط اللغوي.

وثمة مجموعة من المعايير التي يشترط توفرها في الكفاية اللغوية، ومنها:

- ١- اندراج الكفاية ضمن سياق Contexte، إذ لكل كفاية سياق تنمو وتتطور فيه، ويرتبط بفتة من الوضعيات تمكن من تعبئة الموارد الضرورية.
- ٢- وجوب كون السياق مجالاً للملاحظة.
- ٣- وجوب إتاحة الملاحظة إمكاناً للتقويم.
- ٤- بناء الموارد شرط أساسي لاكتساب الكفاية، إما ضمن مادة دراسية واحدة (كفاية نوعية خاصة)، أو مواد متعددة (كفايات عرضانية).
- ٥- عدم الاقتصار في تنمية الكفاية على تحقيق الأهداف المعرفية، وإنما دمجها لمواجهة مجموعة من الوضعيات المشكلة الجديدة والمتنوعة والمرتبطة بحاجة من حاجات المتعلم.
- ٦- قابلية الكفاية للتقويم تبعاً للظروف المحددة التي تبين تحقق الأهداف التعليمية من جهة، أو قدرة المتعلم على توظيف مكتسباته في أوضاع جديدة من جهة أخرى.
- ٧- توفر الوضوح والدقة والواقعية والشمولية والسلامة اللغوية في صياغتها^(١١).

ولقد شهدت اللغات الحية على الصعيد العالمي جهوداً كبيرة في ميدان

(١١) وزارة التربية والتعليم العالي المغربية- تكوين الأساتذة المتدربين بالسلك الثانوي- مرجع سابق ص ٣٦.

تعليم اللغات وتعلمها، ومن هذه الجهود ما تعلّق بتحديد الكفايات الأساسية التي ينبغي لمعلمي اللغة أن يمتلكوها، وقد جهد المختصون في هذا الميدان إلى وضع معايير يجري في ضوئها تدريب المعلمين في أثناء أداء رسالتهم، حيث حددت الكفايات الأساسية للمعلمين في الآتي:

- ١- الارتقاء بتعليم الطلاب وتطوير أدائهم.
 - ٢- التمكن العلمي ومعرفة خصائص اللغة.
 - ٣- التمكن من تعليم اللغة وفق المبادئ الحديثة.
 - ٤- متابعة المعلمين وتقويم أدائهم.
 - ٥- التطوير الذاتي والنمو المهني للمعلم.
- وفي ضوء هذه الكفايات قدّمت الرابطة الوطنية الأمريكية تسعة معايير لتعليم اللغة، وهذه المعايير هي^(١٢):

المعيار الأول: المعرفة بالطلاب

من الأمور التي لا بد لمعلمي اللغة لغير الناطقين بها أن يمتلكوها تعرّف طلابهم من حيث:

- ١- فهم آليات نموهم وارتقائهم.
- ٢- إقامة علاقات إيجابية بناءة معهم.
- ٣- فهم اللغات المتنوعة والخبرات الثقافية لديهم.
- ٤- الاستعانة بأدوات التقويم لاكتساب المعرفة اللازمة بهم.

المعيار الثاني: معرفة طبيعة اللغة التي تعلّم للطلاب

وذلك من حيث:

(١٢) الدكتور محمد بن رشيد البشري - معايير تدريس اللغات العالمية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض د.ت.

١ - إتقان المهارات اللغوية.

٢ - معرفة آليات عمل اللغة نظاماً وتراكيب وأساليب... إلخ.

المعيار الثالث: معرفة الثقافة السائدة

يجب على المعلمين معرفة ثقافة اللغات السائدة المراد تعليمها فهماً وممارسة، ومعرفة القواسم المشتركة بين ثقافة اللغات المختلفة، والإلمام بوجهات النظر المنبثقة من هذه الثقافات وتوظيفها في ممارسة اللغة في منأى عن قيود النحو والخوف من الخطأ في المراحل الأولى، والإلمام في الوقت نفسه بالأحداث الجارية على الصعيدين المحلي والعالمي بغية توظيفها في العملية التعليمية التعلمية.

المعيار الرابع: معرفة آليات اكتساب اللغة

على المعلمين في هذا المجال أن يتعرفوا أساليب تدريس اللغة وطرائق تدريسها واستراتيجيات التدريس، وأن يكونوا مزوّدين بالكفايات التدريسية بغية توظيفها في إكساب متعلميهم المهارات اللغوية.

المعيار الخامس: بناء بيئة تعليمية محفزة

للبيئة التعليمية التعلمية دور كبير في تحقيق الأهداف المرسومة لتعليم اللغة، بحيث تسود في هذه البيئة قيم العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ومراعاة الفروق الفردية والتشجيع والتعزيز.

ويندرج تحت هذا المعيار مؤشرات للأداء هما:

١ - تقدير قيمة التنوع بهدف ضمان الالتزام بمبادئ تكافؤ الفرص

والعدالة والمساواة.

٢ - بناء بيئات آمنة وداعمة للتعلم، ذلك لأن إحساس المتعلم

بالارتباك أو الوجل سيعيقه من التعلم، وقد يحدث لديه صدمة تجاه اللغة المتعلمة.

المعيار السادس: تصميم المناهج الدراسية والوحدات التعليمية وتخطيط التدريس

ويندرج تحت هذا المعيار ثلاثة مؤشرات للأداء هي:

- ١ - تصميم المناهج الدراسية.
- ٢ - الالتزام بمعايير تعليم اللغة.
- ٣ - استخدام الاستراتيجيات التدريسية وتفعيل مصادر التعلم.

المعيار السابع: التقويم الدراسي

يجب على المعلمين الاستعانة بمجموعة متنوعة من الاستراتيجيات التقويمية التي تتناسب مع المناهج الدراسية المقررة، والإفادة من توظيف نتائج التقويم الدراسي في تصميم الدروس وإعادة النظر في العملية التدريسية في ضوء التغذية الراجعة ونتائج هذا التقويم.

المعيار الثامن: تأمل الأداء التدريسي

يجب على المعلمين تحليل أدائهم والتقويم المستمر لجميع خطواتهم وممارساتهم التعليمية بهدف الارتقاء والتطوير.

المعيار التاسع: التطوير المهني

وينضوي تحت هذا المعيار مؤشران للأداء هما:

- ١ - بناء المجتمعات المهنية: على أن يكون هذا البناء قائماً على التعاون بين جميع العاملين في البيئة التعليمية التعليمية، وعلى إقامة أنشطة ورحلات منظمة.

٢- الإسهام في تطوير تعليم اللغات: وعلى المعلمين المشاركة في الندوات والمؤتمرات والمراكز المعنية بتعليم اللغة، والاشتراك في الجمعيات التي تُعنى بتعليم اللغات.

تلك هي المعايير التسعة التي نشرتها الرابطة الوطنية الأمريكية، ولن يكون لهذه المعايير فاعلية ما لم توظف توظيفاً تاماً في ميدان تعليم اللغات واعتمادها في البرامج التي تعدّ معلمي اللغة لغير الناطقين بها، وفي الدورات التدريبية التي تصمم للمعلمين، وتحويل هذه المعايير إلى محكات ومؤشرات قابلة للقياس من أجل تقويم المعلمين، إضافة إلى تدريب المشرفين على تشخيص أداء المعلمين وتحديد احتياجاتهم التدريبية.

رابعاً - مستويات تعليم اللغة وتعلمها:

ثمة ثلاثة مستويات لتعليم اللغة وتعلمها وهي:

١- المستوى المبتدئ.

٢- المستوى المتوسط.

٣- المستوى المتقدم.

ولكل مستوى من هذه المستويات ثلاثة مستويات أيضاً هي:

١- المستوى الأدنى.

٢- المستوى الأوسط.

٣- المستوى الأعلى.

وفيما يلي فكرة موجزة عن كل مستوى من هذه المستويات^(١٣):

(١٣) شادي مجلي عيسى سكر - اختبار تحديد المستويات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية

للناطقين بغيرها - شبكة الألوكة - ٢٠١٦/٨/٢١.

أولاً- المستوى المبتدئ:

١ - المستوى المبتدئ الأدنى (A):

يعتمد هذا المستوى مبدأ المهارات المتكاملة، ويركز على الجانب الشفهي من المنحى التواصلية للغة، وفي ضوء هذا المستوى يستطيع المتعلم التعريف بنفسه، والتعبير عن الحاجات اليومية، والمواقف البسيطة، ويوجه أسئلة، ويستخدم بعض الجمل المألوفة والعبارات التواصلية، ويركّب جملاً بسيطة عن نفسه وحياته.

وتبدأ عملية الدراسة في هذا المستوى بالانتقال من تعلم الحروف إلى تأليف جمل قصيرة، والمفردات التي يتعلمها المتعلم تدور حول البيت والعائلة والوصف وأسماء المأكولات والمشروبات، ويجري التركيز على تعليم الضمائر المتصلة والمنفصلة والأفعال الماضية والحاضرة والمستقبل، إلى جانب أسماء الاستفهام وحروف الجر وظروف الزمان والمكان.

٢ - المستوى المبتدئ المتوسط (B):

ويستطيع المتعلم في هذا المستوى التعبير عن المواقف المألوفة وغير الرسمية مثل (السوق والعمل والمناسبات والحياة في الماضي)، ويمكنه طرح أسئلة والإجابة عنها، واستخدام اللغة لتلبية الحاجات اليومية على مستوى الجمل القصيرة، وتمحور القواعد حول إسناد الأفعال للضمائر كافة، وحروف العطف والمثنى والجموع والجملتين الاسمية والفعلية وأسماء الإشارة... إلخ.

٣ - المستوى المبتدئ الأعلى (C):

وينتقل فيه المتعلم من الإطار الضيق إلى إطار أوسع يتعرف فيه الوسط الذي يعيش فيه، وذلك بنقله من الاستخدام الخاص للغة إلى الاستخدام

العام في إطار المواقف الرسمية وغير الرسمية والقريبة من عقل المتعلم مثل (الاعتذار والهوايات والعادات والتقاليد والأعياد والأمثال الشائعة)، ويمكنه وصف الأشياء والأشخاص والأحداث في جميع الأزمنة، وسرد القصص ذات البداية والنهاية، وفهم الإشارات والتعليمات وتوجيهها وإعطاء الرأي في أشياء محددة، إلى جانب الارتقاء بلغته إلى مستوى الفقرة، وتعرف أسلوب النفي والمصادر الثلاثية والمشتقات والأسماء الموصولة وإن وأخواتها وأنواع الفعل وأسلوب التفضيل.

ثانياً - المستوى المتوسط:

١ - المستوى المتوسط الأدنى (A):

يبدأ المتعلم في هذا المستوى بإجراء الحوارات البسيطة حول معلومات غير شخصية، فينتقل من المعلومات المحسوسة إلى المستوى الأدنى من التجريد، وتتنوع النصوص بين تاريخية واجتماعية وتراثية، ويتعرف بعض جوانب الحضارة العربية، وفي القواعد النحوية يتعرف حالات تقديم الخبر على المبتدأ، والأفعال الناقصة وإسناد الأفعال الصحيحة، والأفعال الخمسة في حالتي النصب والجزم، والأوزان ومصادر الأفعال فوق الثلاثية والمشتقات والإضافة.

٢ - المستوى المتوسط الأوسط (B):

وتزداد قدرة المتعلم على الحوار في موضوعات مختلفة، واستخدام الجمل الصحيحة لغويًا وتركيبًا مع أدوات الربط وعلامات الترقيم، وزيادة معرفة الثقافة العربية، وذلك بتقديم نصوص حيّة من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وهنا تتنوع النصوص من حيث المضمون، وفي مجال القواعد يتعلم العدد والفعل المبني للمجهول والمنصوبات بأنواعها.

٣- المستوى المتوسط الأعلى (C):

يطلع المتعلم على موضوعات تُعنى بالثقافة العربية تساعده على زيادة المفردات والبنى اللغوية التي يوظفها في الوصف وبيان الرأي والارتقاء بلغته إلى مستوى الخطاب كتابة ومحادثة إلى جانب تعزيز التلقائية في استخدام اللغة، ويتفاعل مع نصوص إعلامية وموضوعات اجتماعية وسياسية واقتصادية. وفي القواعد يتعرف أسلوب الشرط والأسماء الخمسة والبدل والتوكيد والممنوع من الصرف.

ثالثاً- المستوى المتقدم:

١- المستوى المتقدم الأول (A):

ويركّز هذا المستوى على التعامل مع نصوص مختلفة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتاريخ والثقافة العامة، إلى جانب التمكن من فهم التراكيب والقدرة على كتابة موضوعات التعبير.

ويبدأ المتعلم في هذا المستوى بالتعامل مع نصوص حية طويلة مثل رواية أو كتاب تخصصي، وكتابة مقال في حدود ١٥٠٠ كلمة يختاره المتعلم، ويستخدم في كتابته أدوات الربط والترقيم استخداماً صحيحاً.

٢- المستوى المتقدم الثاني (B):

ويتعامل المتعلم في هذا المستوى مع نصوص أصيلة عالية المستوى، وفي مجالات مختلفة، ويكتب بحثاً في حدود ١٥٠٠-١٨٠٠ كلمة، ويتعرف الأدب في مختلف عصوره والنصوص الأدبية في مختلف مجالاتها وأنواعها، ويتعامل مع النصوص على أنها وحدة واحدة، ويستخدم في عرض أفكاره الحجج المنطقية والشواهد الملائمة.

٣- المستوى المتقدم الثالث (C):

ويجري في هذا المستوى اختيار مجموعة من النصوص والبرامج المعالجة لتحقيق الأهداف التعليمية والاعتماد على الكتب الموظفة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

خامساً - قياس الكفاية اللغوية

ورد تعريف قياس الكفاية اللغوية في معجم (Longman) على النحو الآتي: «هو الامتحان الذي يقيس كمية اللغة التي تعلمها شخص ما». وثمة فرق بين اختبار الكفاية واختبار التحصيل يتمثل في أن اختبار التحصيل يصمم لقياس كمية اللغة التي تعلمها المتعلم من مقرر محدد أو برنامج ما، في حين لا يرتبط امتحان الكفاية بمقرر تعليمي، ولكنه يقيس المستوى اللغوي العام للممتحنين، وقد اكتسبت بعض امتحانات الكفاية اللغوية شهرة واسعة حتى وصلت إلى العالمية كامتحان (TOFEL) الذي يُستخدم خاصة لقياس الكفاية اللغوية للطلاب الراغبين في الدراسة في الجامعات الأمريكية^(١٤).

ويتبين أن امتحان التحصيل يختلف عن امتحان الكتابة اللغوية، وهذا ما ورد أيضاً في معجم الاختبارات اللغوية إذ نص على (أن امتحان الكفاية هو الذي يقيس المستوى اللغوي الذي اكتسبه المتعلم، ولا يبنى على أساس مقرر ما أو برنامج تعليمي معين، إنه يقيس ما تعلمه الممتحن من معلومات تتصل بالعالم الحقيقي والحياة العادية اتصالاً كافياً). ومن ذلك على سبيل المثال:

هل الحصيلة اللغوية التي يمتلكها الممتحن تمكنه من متابعة محاضرة؟ أو أن يجري دورة تدريبية بوصفه مهندساً؟ وقد اعتمدت بعض الامتحانات

(١٤) - Longman Dictionary of language teaching and applied linguistics مرجع

نموذجاً للقياس على المستوى العالمي مثل امتحان (TOFEL) لقياس الكفاية اللغوية بالإنجليزية الأمريكية للطلاب الراغبين في الالتحاق بالجامعات الأمريكية للدراسة فيها، أو (IELTS) الذي يستخدم لقياس اللغة الإنجليزية البريطانية والأسترالية للطلاب الراغبين في الدراسة في الجامعات البريطانية أو الأسترالية^(١٥).

ولقد وضعت شروط لحصول الكفاية اللغوية في استعمال اللغة الثانية، فيقال عن شخص ما إنه يعرف هذه اللغة إذا كان قد ألم أو حقق واحداً أو أكثر من المعايير أو الشروط الآتية:

- ١- اكتساب المهارات اللغوية معرفة وأساساً.
- ٢- الوقوف على ما يقاس وما لا يقاس.
- ٣- الأداء على المستويات المختلفة (الحقيقة والمجاز).
- ٤- سلامة الإنتاج اللغوي أصواتاً وقواعد واستعمالاً... إلخ.
- ٥- إنتاج لغوي بأساليب متنوعة.
- ٦- أداء المهارات اللغوية الوظيفية.
- ٧- إنجاز أهداف لغوية محددة.
- ٨- الإنتاج اللغوي بكفاية عامة وشاملة.
- ٩- القدرة على الإرسال والاستقبال.
- ١٠- الإنتاج بدرجة محددة من الطلاقة.
- ١١- الإنتاج بأشكال وأنواع لغوية متنوعة^(١٦).

(١٥) Dictionary of language testing (studies in language testing7)- Alan Davies,

.Annie Brown and others, Cambridge university Press- Reprinted 2002 P 154

The Development of Common Framework Scale of language proficiency. (١٦)

.Brian North- Peter Lang publishing- NY 2000 P42

ومن الوسائل التي يعوّل عليها في قياس الكفاية اللغوية للمتعلم وتحديد مستواه الاختبارات، على أن تتسم هذه الاختبارات بالصدق، والاختبار الصادق هو الذي يصلح للاستخدام في ضوء الأهداف التي وضع من أجلها، وبالثبات، وذلك بأن يعطي الاختبار النتائج نفسها في حال استخدامه أكثر من مرة، وبالموضوعية في منأى عن العوامل الشخصية والانطباعات الذاتية.

وإن اختبار الكفاية اللغوية يقيس الجوانب العامة لدى متعلم اللغة قياساً شاملاً لجميع المهارات اللغوية، ولا ترتبط بمقرر معين أو محتوى دراسي محدد، ذلك لأنه يقيس التحصيل اللغوي العام للمتعلم، ويبين مدى استفادته مما تعلمه في الفهم والأداء اللغوي^(١٧).

ومن الدراسات التي أنجزت في مجال قياس الكفاية اللغوية في اللغة العربية على أنها لغة لغير الناطقين بها دراسة محمد عبد الرؤوف الشيخ في رسالته لنيل شهادة الدكتوراه^(١٨) عام ١٩٨٨، ولقد هدفت هذه الدراسة إلى بناء اختبار للكفاية اللغوية في اللغة العربية بوصفها لغة أجنبية على غرار اختبارات (TOFEL) في اللغة الإنجليزية. وقام الباحث باشتقاق محتوى الاختبار من مصادر متنوعة كالكتب العلمية وبعض قوائم المفردات وكتب الاختبارات، وبعد أن عرض الاختبار على مجموعة من المحكمين قام بحساب ثبات الاختبار وصدق بنوده واتساقها الداخلي، وحساب صعوبة المقياس ومعايره، وتطبيقه على عينة من الدارسين بعد انتهائهم من دراسة اللغة في المستوى المتقدم. وتوصلت الدراسة إلى عدد من معايير الأداء

(١٧) الدكتور عبد العزيز إبراهيم العصيلي - أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى - سلسلة بحوث اللغة - جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٢٣ هـ -

(١٨) الدكتور محمد عبد الرؤوف الشيخ - بناء مقياس للكفاية اللغوية في اللغة العربية على أنها لغة أجنبية - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة طنطا ١٩٨٨.

اللغوي التي يمكن من خلالها الحكم على أداء الطالب، ووضعه في المستوى اللغوي المناسب.

وثمة أنواع من الاختبارات منها:

- ١ - اختبارات الكفاية: وتقيس هذه الاختبارات الجوانب العامة لدى المتعلم قياساً شاملاً لجميع المهارات اللغوية، فهي لا ترتبط بمقرر أو محتوى دراسي محدد، وإنما تقيس التحصيل اللغوي العام للمتعلم، وتبين مدى استفادته مما تعلمه فهماً وأداءً لجوانب اللغة.
- ٢ - اختبارات التصنيف: وتهدف إلى تحديد المستوى، وتوزيع المتعلمين إلى مستويات، وهذه الاختبارات لا تقتصر على اختبار المتعلم في معلومات معينة، وهي عامة وشاملة لكل ما حصله المتعلم من معلومات، وتمتاز بالموضوعية والسهولة في التصحيح والتصنيف والسرعة في إظهار النتائج.
- ٣ - اختبارات التشخيص: وتهدف إلى الوقوف على تعرف نقاط القوة والضعف لدى المتعلم، وتبيان الصعوبات التي يعانيها وأسبابها وعلاجها بالوسائل العلمية الناجحة.
- ٤ - اختبارات السرعة: وتمتاز بالسهولة، إذ يستطيع المتعلم الإجابة عن الأسئلة في وقت محدد، ولا تقيس الناحية المعرفية لدى المتعلمين فقط، وإنما تقيس سرعتهم في الإجابة الصحيحة عن الأسئلة.
- ٥ - اختبارات المعرفة: ويعطى المتعلم فيها الوقت الكافي لأدائها، وتشتمل على أسئلة ذات مستوى عالٍ من الصعوبة في بعض بنودها.

سادساً - من مشروعات قياس الكفاية اللغوية على الصعيد القومي العربي

ثمة مشروعات ما تزال في قيد التنفيذ لقياس الكفاية اللغوية على الصعيد القومي العربي، ومن هذه المشروعات، مشروع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومشروع اتحاد الجامعات العربية، ومشروع اتحاد الجامعات العربية، وجامعة الشرق الأوسط. وهناك اختبار العربية المعياري الذي أنجزته الجامعة السورية الإلكترونية، وفيما يلي فكرة موجزة عن هذه المشروعات:

١ - مشروع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: جاء مشروع قياس الكفاية اللغوية الذي تعمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على تنفيذه في إطار مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي قدمته الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد عام ٢٠٠٨ في دمشق، وأقرّه المؤتمر وقدم الشكر للجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع، وكلف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العمل على تنفيذه بالتنسيق مع الدول الأعضاء.

ويرمي هذا المشروع إلى «تصميم اختبار دولي لقياس الكفاية اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها»، ويتألف من اختبارات قياس معيارية لتحديد تلك الكفاية وفق المعايير الدولية في مجال تعليم اللغات لهذه الشريحة من المتعلمين، على أن تشمل المعايير المهارات اللغوية الأربع: الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة في كل مستوى من المستويات الآتية:

١ - المستوى الابتدائي (١) و(٢).

٢ - المستوى المتوسط (١) و(٢).

٣- المستوى المتقدم (١) و(٢).

وتتمثل إجراءات تنفيذ المشروع في المراحل التالية:

١- إعداد مجموعة من الاختبارات تمكّن من تحديد مستوى الراغبين في تعلم اللغة العربية من غير الناطقين بها.

٢- عرض المعايير الدولية في قياس الكفاية اللغوية والاستئناس بها في وضع الاختبارات.

٣- تعرّف الحاجات اللغوية للدارسين.

٤- عرض توصيف دقيق للمهارات اللغوية الأربع المراد اكتسابها.

٥- مراعاة التدرج من مستوى إلى آخر عند تقديم تلك المهارات.

٦- تصميم مجموعة من التدريبات الرامية إلى إكساب المتعلم تلك المهارات والارتقاء به إلى درجة إتقانها.

٧- إعداد صيغة الاختبارات بصورتها النهائية.

ومن مرامي هذا المشروع تزويد المتعلم بالمعارف والمهارات المناسبة لمستواه وسنه وجنسيته ومكتسباته اللغوية السابقة وظروفه الخاصة والقادرة على تمكينه من لغة الضاد واستعمالها استعمالاً صحيحاً في مختلف المواقف التواصلية الحقيقية، ومدّ معلمي اللغة العربية بأدوات تقويم موضوعية موحدة للحد من ظاهرة تشتت الجهود في هذا الميدان.

وينبع المشروع من حاجة ملحة إلى هذا الاختبار الدولي الضروري لإضفاء المزيد من النجاعة والفاعلية في ميدان تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، ومن ثم يتطلب تنفيذ المشروع:

١- تحديد إطار مرجعي يراعى فيه تكوين المتعلمين وانتماءاتهم الثقافية

والمهنية وحاجاتهم اللغوية ومكتسباتهم السابقة في اللغة العربية.

٢- اتخاذ مواقف واضحة مما يراد تعليمه للدارس الأجنبي من اللغة العربية على أنها منظومة من البنى الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية لمساعدة الدارس على التواصل.

٣- تعليم اللغة العربية على مراحل لا دفعة واحدة.

وتجدر الإشارة إلى أن وثيقة الإطار العربي الموحد لقياس الكفاية اللغوية في اللغة العربية للناطقين بغيرها قد عملت المنظمة على وضعها على أن ينفذ المشروع بالتعاون مع جامعة محمد الخامس المغربية بطريق فريق عمل برئاسة الدكتور محمد بن موسى، ثم توجهت المنظمة إلى تكليف المعهد الدولي لتعليم اللغة العربية في الخرطوم لتنفيذ المشروع بعد أن شكلت فريق عمل لهذه الغاية.

٢- مشروع جامعة الشرق الأوسط واتحاد الجامعات العربية: ثمة مشروع أعده الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي مصطفى الأمين العام لجامعة الشرق الأوسط، وعنوان المشروع «التنال العربي»، وهو اختبار معياري مقنن في اللغة العربية مبني على غرار (التوفل) موجه إلى ناطقي اللغة العربية نهوضاً بها، وإلى الناطقين بغيرها تجفيفاً لمصادر إقصائها، وهو اختبار يقيس مدى الكفاية اللغوية للمتقدم ومستواه لأغراض أكاديمية ووظيفية، وانطلق المشروع من الفلسفة التربوية التي تقوم عليها منظومات الحياة كلها:

- تعلّم لتعرف.

- تعلّم لتعمل.

- تعلّم لتكون.

- تعلّم لتشارك.

- تعلّم لتخدم.

أما عنوان المشروع (التنال) فقد أخذت من الحروف الأولى من عبارة «تقييم ناطقي العربية وغير الناطقين بها» وجاءت حروف TANAL من الحروف الأولى للعبارة الآتية:

Test for native and non- native Arabic Language Speakers.

وكان الهدف من الاختبار تعزيز مكانة اللغة العربية تواصلًا وتداولًا، تعليمًا وتعلمًا، والحدّ من توغل اللغات الأجنبية وإحلالها محلّ اللغة العربية ومساءلة المتهاونين وإعداد العمالة الأجنبية لغويًا بالعربية، وتأهيلهم لسوق العمل.

وشجعت هذا المشروع جهات متعددة، ويرى مطلقوه أن متطلبات تنفيذه تكون باستصدار قرار بإلزامية تنفيذ التنال العربي من الجهات الرسمية وصنّاع القرار في الوطن العربي وجامعة الدول العربية واتحاد الجامعات العربية ومنظمة الأسييسكو ومجامع اللغة العربية ووزارات الثقافة والتربية والتعليم العالي والعمل والعدل.... إلخ.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤتمر العام لاتحاد الجامعات العربية وافق على المشروع، على أن ينسّق مع أمين عام مشروع التنال العربي في سبيل تنفيذه.

٣- مشروع اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية: وهو مشروع قومي لإنشاء شهادة اللغة العربية الدولية (ض ١) و(ض ٢)، وكان قد تقدم به إلى اتحاد المجامع العلمية اللغوية في الوطن العربي الأستاذ الدكتور حسن بشير عضو مجمعي الخرطوم والقاهرة، وقد اعتمده كل من مجمعي اللغة العربية في الخرطوم والقاهرة على أن يقوم اتحاد المجامع بتنفيذه مع الأطراف المعنية، وقد اشتمل المشروع على:

أ- تصميم ست دورات دراسية مدتها اثنان وعشرون شهراً، ينتقل فيها

الدارس من الصوت العربي مخرجاً وصفة إلى المعجم العربي ثروة وذخيرة، إلى النص العربي حفظاً وفهماً وتذوقاً ومزاجاً، إلى البحث العلمي الأولي والمتوسط والمتقدم باللغة العربية الفصيحة.

ب- تأليف ستة كتب دراسية تشتمل على أساس المادة المطلوبة لامتحان شهادة اللغة العربية الدولية، وذلك وفق المنهج المقرر لكل دورة من الدورات الست:

- الدورة الابتدائية الأولى.
- الدورة الابتدائية الثانية.
- الدورة المتوسطة الأولى.
- الدورة المتوسطة الثانية.
- الدورة المتقدمة الأولى.
- الدورة المتقدمة الثانية.

ج- تصميم ورقي وإلكتروني لامتحان شهادة اللغة العربية الدولية (ض ١) و(ض ٢) وتعطى الشهادة (ض ١) بعد اجتياز الامتحان الخاص بالدورتين الابتدائية والمتوسطة بنجاح. وتعطى الشهادة (ض ٢) بعد اجتياز الامتحان الخاص بالدورة المتقدمة بنجاح.

أما الجهة المصدرة للشهادة فهي اتحاد الجامعات العلمية اللغوية العربية، وتوقع الشهادة من رئيسه، وتوثق من جامعة الدول العربية، ومن وزارات الخارجية في كل أقطار الوطن العربي.

وتؤلف الكتب في اتحاد الجامعات.

وكان مجلس الاتحاد قد كلف الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد التواصل مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على أن يقوم بتزويد

الأمانة العامة للاتحاد بجهود المنظمة وغيرها من الجهات في مشروع شهادة الكفاية اللغوية، وقام المكلف بمدّ أمانة الاتحاد بتقرير عن الجهود التي قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بهذا الخصوص، على أن يقوم المعهد الدولي للغة العربية في الخرطوم بمتابعة تنفيذ المشروع بإشراف لجنة من أعضائها الدكتور محمود أحمد السيد والدكتور حسن بشير كما أفاد بذلك منسق المشروع في المنظمة، ولم تُدع اللجنة إلى الاجتماع حتى تاريخه.

٤ - اختبار العربية المعياري: أنجزت هذا الاختبار الجامعة السعودية الإلكترونية في ضوء أفضل الممارسات العالمية في قياس الكفاية اللغوية مع مراعاة خصوصية اللغة العربية، ويستطيع متعلم اللغة العربية قياس قدراته اللغوية في أي مكان حول العالم بحكم الانتشار العالمي الكبير لهذا الاختبار. وتكمن قوة اختبار اللغة العربية المعياري في أنه يقوم على فهم عميق لنظام لغة الضاد، وعلى فهم أعمق لأحدث النظريات العالمية في تعليم اللغات وخاصة في مجالي القياس والتقييم.

ولقد جرى تبني أفضل التجارب العالمية وفق الإطار الأوربي المرجعي المشترك للغات (CEFR) الذي يعد المقياس العالمي لقياس القدرات والكفايات اللغوية لأنه يشتمل التعليم والتعلم والتقييم بعد موافقته ومقتضيات قياس مهارات اللغة العربية وعناصرها، كما جرت الاستفادة من الإطار المرجعي الذي بني عليه اختبار التوفل (TOFEL) في اللغة الإنجليزية، وذلك بهدف توفير أدوات معيارية مقننة للوقوف على درجة إتقان المتعلمين لمهارات اللغة العربية ومكوناتها.

ويهدف هذا الاختبار المعياري إلى قياس مهارات متعلمي اللغة العربية

لغير الناطقين بها في القراءة والاستماع والكتابة والتحدث، إضافة إلى مهارة اللغة التي أفرد لها باب خاص لقياس مدى تمكّن متعلمي العربية من مختلف الجوانب اللغوية الدقيقة التي يجب أن يكونوا قد أحاطوا بها إحاطة تامة خلال مرحلة تعلمهم، وتمكنوا من ضبط مستويات النظام اللغوي العربي قواعد نحوية و صرفية ومعجمية ودلالية.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الاختبارات العالمية تأخرت في إدراج مهارة المحادثة ضمن اختبارات حتى وقت قريب، إلا أن اختبار اللغة العربية المعياري تميز بالتركيز على جميع مهاراتها بصورة متكاملة، إذ بفضل التقنيات الحاسوبية الحديثة صارت مهارة المحادثة من المكونات الأساسية للاختبار حيث يتحدث الطالب في الاختبار عن موضوع السؤال مع تسجيل الصوت وفق آلية منظمة لذلك.

ويتكون الاختبار من أسئلة موزعة على خمسة أجزاء تتضمن المهارات الأربع إضافة إلى النظام اللغوي (العناصر اللغوية) بواقع ٢٠٪ لكل مهارة، وروعي في الأسئلة التنوع المعتمد في الاختبارات المعيارية العالمية، فهي تتراوح بين أسئلة موضوعية تعتمد على الاختيار من متعدد، وأخرى مقالية تتطلب الكتابة أو التعبير الشفوي، ومدة الاختبار ساعتان.

وتعتمد أسئلة المهارات الثلاث الأولى (الاستماع واللغة والقراءة) على بنود الاختيار من متعدد، في حين تقوم أسئلة مهارتي الكتابة والمحادثة على السؤال ذي الموضوع الواحد، حيث يطلب من المرشّح الكتابة في موضوع محدد: وقد خصص له عشرون دقيقة مع مراعاة شروط الكتابة المعروفة وفق الموضوع. ثم يطلب إليه بعد ذلك الإدلاء برأيه مدعماً بالحجج والأمثلة، وكذلك الأمر في مهارة التحدث، التي تقوم بدورها على

سؤال واحد أساسي قد يتفرع إلى أكثر من سؤال فرعي، ويطلب من المرشح التحدث في حدود عشر دقائق.

ويضم بنك أسئلة اختبار العربية المعياري أكثر من عشرين ألف سؤال وزعت على ٤١٦ نموذجاً، وستعمل الجامعة السعودية الإلكترونية على تغذية هذا البنك باستمرار.

ويتناسب الاختبار مع المستوى المتقدم في برنامج العربية على الشبكة (الإنترنت) Arabic- online.net في الجامعة السعودية الإلكترونية. ويمكن أن يأخذه متعلم اللغة في برنامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها محلياً وإقليمياً وعالمياً للوقوف على درجة كفايته اللغوية.. ويمنح المتقدم في ضوء ذلك كشفاً بدرجاته، فالاختبار متاح للجميع.

ويقدم هذا الاختبار للمتعلمين في المستوى المتقدم، ويرمز له ب-: C 1-2 في الإطار المرجعي الأوربي المشترك للغات.

أما المراحل التي مرّ بها الاختبار حتى ظهر بصورته الحالية فهي:

١- الدورات التدريبية وورش العمل التي شارك فيها مصممو الاختبار لتعرف طرق بناء الأسئلة، والتدرب عليها، والإلمام بالأدبيات العالمية في هذا المجال.

٢- تشكيل فريق من المتخصصين لصياغة الأسئلة وفقاً لكل مهارة.

٣- مراجعة الأسئلة من متخصصين في اختبارات اللغة الأجنبية والعربية لغير الناطقين بها على وجه التحديد.

٤- إجراء التعديلات واستبعاد الأسئلة غير المناسبة، وإضافة أسئلة جديدة تغطي المهارات التي لم تغطّ بصورة كافية.

٥- المراجعة والتعديل مباشرة من قبل المتخصصين في اختبارات

اللغة العربية لغير الناطقين بها.

- ٦- تحكيم الاختبار والعمل بما جاء في ملاحظات المحكمين وإعداد النسخة النهائية للاختبار.
- ٧- الاختبارات الاستطلاعية (تجريب الاختبار على شريحة واسعة من الطلاب على مستوى العالم).
- ٨- تطوير الاختبار باستمرار وفقاً للإحصاءات الدورية المنتظمة الواردة من الشركة المشغلة للاختبار.
- ٩- تقنين الاختبار من حيث معاملات الصعوبة والسهولة والتميز والزمن. أما مراكز الاختبار فهي في أكثر من خمسة آلاف مركز تنتشر حول العالم، ويعد بذلك الأول من نوعه من حيث الانتشار العالمي والاستيعاب الجغرافي غير المسبوق فيما يتعلق باللغة العربية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- ١ - اختبار تحديد المستويات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها - شادي مجلي عيسى سكر - شبكة الألوكة - ٢١/٨/٢٠١٦.
- ٢ - أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى - الدكتور عبد العزيز إبراهيم العضلي - سلسلة بحوث اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٢٣هـ.
- ٣ - بناء مقياس للكفاية اللغوية في اللغة العربية على أنها لغة ثانية - الدكتور محمد عبد الرؤوف الشيخ - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة طنطا ١٩٨٨.
- ٤ - التربية على المواطنة - الدكتور محمود السيّد - محاضرات الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية بدمشق - مطبوعات المجمع ٢٠٠٩.
- ٥ - تكوين الأساتذة المتدربين بالسلك الثانوي - وزارة التربية والتعليم العالي المغربية - الرباط ٢٠١١.
- ٦ - دليل مرجعي لتدريب الأطر التربوية المعنية بالكفايات العامة اللازمة لخريج التعليم الثانوي العام في الوطن العربي - الدكتور محمد بن فاطمة والأستاذ محمود وناس - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ٢٠١٠.
- ٧ - معايير تدريس اللغات العالمية - الدكتور محمد بن رشيد البشري - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض. (د.ت).

- ٨- المعجم المدرسي - وزارة التربية السورية - دمشق ٢٠٠٧.
- ٩- النهوض باللغة العربية والتمكين لها - الدكتور محمود أحمد السيد - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - دمشق ٢٠١٣.

المراجع الأجنبية:

- 1- Dictionary of Language testing (studies in language testing7) - Alan Davies, Annie Brown and others, Cambridge University Press- Reprinted 2002.
- 2- Longman Dictionary of language Teaching and Applied linguistics- second edition- Prentice Hall Regents N.Y 1987.
- 3- Second Language Proficiency Assessment Current issues- Lowe Pardee, Jr and stansfield, Charles Prentice- Hall, Inc, Book Distribution center and center of Applied Linguistics N.Y 1988.
- 4- The Development of common Frame work scale of Language Proficiency. Brian North- Peter Lang publishing. NY 2000.

تجديد الدرس الصرفي بناء (مفعلاً) وجواز تقييسه

أ. د. ممدوح خسارة(*)

مقدمة:

أبنية الأفعال في العربية من ثوابت النظامين الصرفي والدلالي فيها، لأنها تَضْبَطُ بنية الفعل بدقّة، كما أنها تبيّن الدلالات التي يحتملها كل فعل بحسب ذلك البناء. فبناءً يدل على المبالغة نحو (فَتَّتْ)، وثنان يدل على المشاركة نحو (خاصم)، وثالث يدل على التدرُّج والتَّمَهُّل نحو (تَشَرَّبَ)، وهكذا. على أن البناء الواحد لا يَقْتَصِرُ على دلالة واحدة غالباً، بل قد تصل دلالاته إلى بضع عشرة دلالة.

وبالنظر لأهمية أبنية الأفعال، فقد كانت ركناً أساسياً من أركان علم الصرف لم يَخْلُ منها مَرَجَعٌ فيه.

وقد تبيّن لنا أن ثَمَّةَ تفاوتاً في عدد هذه الأبنية وفي أوزانها الصرفية، فبينما هي أربعةٌ وثلاثون في كتاب (شذا العرف في فن الصرف)^(١)، إذا هي تسعةٌ وثلاثون في (المُسْتَقْصَى في علم التصريف)^(٢). ومثلها في معجم

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) الحملاوي - شذا العرف في فن الصرف - تح علاء الدين عطية: ٤١-٥٦.

(٢) د. عبد اللطيف الخطيب - المستقصى في علم التصريف: ١: ٢٧٣-٣٠٤.

معاني الأبنية الذي يُعده مجمع اللغة العربية بدمشق، وليس فيها البناء الذي نحن بصدده، وهو - كما سُنِّبَ - من أبنية الملحق بالرباعي المجرد، التي قال فيها أبو حيان الأندلسي: «المُلْحَقُ منه ما يكون حرف الإلحاق قبل الفاء على وزن (يَفْعَل) نحو يَزْنَأُ،.. وقبل العين على وزن (فَيْعَل) ... وقبل اللام ... وبعد اللام. وفَوَعَلَ وفَيْعَلَ وفَعُولَ وفَعَلَى مشهورٌ مما ألحق بالرباعي، وما سواها نادر، وفي بعضها خلاف»^(٣). أي إن الخلاف في ضبط هذه الأبنية قديم، ومن أنواع الخلاف التَّبَائِنُ في ضبط أوزانها وتعدادها.

وقد دفعنا هذا التفاوت والخلاف الذي أشار إليه أبو حيان الأندلسي إلى أن نبحت ونتقصى لمعرفة إن كان ثمة أبنية غابت عن إحصاء الصرفيين، أم أنهم صنّفوها في غير موضعها أو وزنها، مثلما فعلوا عندما سلّكوا في بناء (فَعَلَل) الرباعي أفعالاً حَقُّها أن تكون على بناء (فَعَلَن) الملحق بالرباعي المجرد. وكنا قد بحثنا إلى مجمع اللغة العربية بدمشق أفضى إلى إقرار بناء (فَعَلَن) بناءً قائماً برأسه، وأضيف بالتالي إلى معجم معاني الأبنية العتيد^(٤).

وقد أدّى بنا الاستقصاء والتتبع إلى أن ثمة بناء لم يذكره الصرفيون وهو بناء (مَفْعَل)، وإن كانوا قد سلّكوا ما جاء منه في بناء (فَعَلَل) الرباعي المُجَرَّد. وحقّه أن يكون في أبنية الملحق بالرباعي المجرد.

يقوم بحثنا على إحصاء - ما أمكن - من الأفعال الرباعية المجردة أو الملحقة بها المبدوءة بميم، ثم تبيين دلالتها ثم تصنيفها في البناء الفعلي الذي تستحق، معتمدين قواعد الميزان الصرفي، لنخلص إلى اقتراح إقرار هذا البناء، وإلى إمكان القياس عليه في توليد كلمات ومصطلحات جديدة، وإلى شروط ذلك الإقرار والتوليد.

(٣) أبو حيان الأندلسي - ارتشاف الضرب من كلام العرب: ١٦٨ - ١٧٠.

(٤) مجمع اللغة العربية بدمشق - مجلة المجمع - بناء (فَعَلَن) وجوار تقييسه مج ٨٧ ج ٤: ٩٦٩.

أولاً: الأفعال الرباعية والملحقة بها المبدوءة بميم:

أورد ابن القطاع الصقلي في (كتاب الأفعال) ستة عشر فعلاً على أربعة أحرف مبدوءة بميم، وسماها الشائي المكرر، ويسمى بعضها بعض الصرفيين الرباعي المجرد أو الرباعي المضاعف. وقد أخذنا بالتسمية الأولى لما ليس له فعل ثلاثي مثل: (مَحْمَخ) إذ لم يرد فيه (مَحَّ)، وبالتسمية الثانية لما له ثلاثي مُضَعَّف مثل: مَطْمَط من مَطَّ. وهذه الأفعال هي:

مَشْمَشَ	مَحْمَخَ	مَجْمَجَ	مَثْمَثَ
مَعْمَعَ	مَطْمَطَ	مَضْمَضَ	مَضْمَضَ
مَزْمَرَ	مَكْمَكَ	مَقْمَقَ	مَعْمَعَ
مَهْمَهَ ^(٥)	مَسْمَسَ	مَأْمَأَ	مَلْمَلَ

واستقصى كتاب (إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي) نظائرها، حتى بلغت عنده ثلاثين فعلاً، أي إنه استدرك على كتاب ابن القطاع أربعة عشر فعلاً، وهي:

مَذْحَجَ	مَذْرَقَ	مَنْهَجَ	مَدْمَدَ
مَصْطَكَ	مَدْمَدَ	مَغْطَطَ	مَزْمَرَ
مَكْنَنَ	مَخْرَقَ	مَرْطَلَ	مَحْمَخَ
		مَتْمَتَ ^(٦)	مَرْهَمَ

ثانياً: دلالات الأفعال الرباعية المبدوءة بميم وأوزانها الصرفية:

نُبيِّن فيما يلي دلالة كلٍّ من هذه الأفعال بحسب المعاجم العربية

(٥) ابن قطاع الصقلي - كتاب الأفعال ٣: ٢٠٩ - ٢١١.

(٦) أ - مروان البواب ود. محمد مراياتي ود. يحيى مير علم ود. محمد حسان الطيان -

إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي: ٥٣٧.

القديمة أو المعاصرة، ثم نُصنِّفها تحت بنائها الصرفيِّ وفق قواعد الميزان الصرفي المعروفة والتي نذكرُ بها، وهي أن تُقابل الحروف الثلاثة الأصلية بالفاء والعين واللام. وإذا زيد حرف عليها زيد على الميزان (لامٌ) إذا كان الزائد مما ليس من حروف الزيادة (سألتمونيها) نحو: (دَحْرَجَ وَزَلَّزَل: فَعَلَّ). وإذا كان الزائد من حروف (سألتمونيها) زيد ذلك الحرف بعينه، نحو: (شارك: فاعل، واستُدْرَج استُفْعِل). وإذا كُرِّر حرف من الثلاثي كُرِّر الحرف نفسه في الميزان، نحو (قَدَّمَ: فَعَلَّ)^(٧).

وقد ربَّنا الأفعال الثلاثين موضوع البحث، بحسب ترتيبها في (كتاب الأفعال)، ثم في كتاب (إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي). وقد تبين لنا بعد البحث في تلك الأفعال ما يلي:

١- مَثَمْتُ: جاء في لسان العرب: «مَثَّ الحَمِيْتُ [الدَّهْنُ]: رَشَحَ، وهي المَثْمَثَةُ... ومَثَمْتُ الرجلُ إذا أشبع الفتيلة من الدَّهْنِ...»^(٨). ويعني هذا أن الفعل رباعي مضاعف من الثلاثي المَضَعَّف (مَثَّ)، وميمه أصلية فهو على وزن (فَعَلَّ).

٢- مَجْمَجَ: ورد في لسان العرب: «مُرُوا المَجَّاجَ يُمَجِّجُونَ عليه... والمَجْمَجَةُ: تغيير الكتاب وإفساده عما كُتِبَ... وفي بعض الكتب: مُرُوا المَجَّاجَ - بفتح الميم - أي مُرُوا الكاتب يسوِّده، سُمِّيَ به لأن قلمه يُمَجُّ المداد»^(٩). أي إن ميمه أصلية، والفعل رباعي مضاعف من الثلاثي المَضَعَّف (مَجَّ)، فوزنه (فَعَلَّ).

(٧) الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف: ٢٦-٢٧.

(٨) ابن منظور - لسان العرب: مَثَّ.

(٩) المصدر السابق. مجج.

- ٣- مَخْمَخَ: جاء في لسان العرب: «مَخْمَخَ العَظْمَ: أَخْرَجَ مُخَّه»^(١٠) فمِيمه أصلية، وهو رباعي مجرد على وزن (فَعْلَل). إذ لم يرد الفعل الثلاثي (مَخَّ).
- ٤- مَشْمَشَ: ورد في لسان العرب: «مَشَّ [العَظْمَ] وَاْمَتَّشَهُ وَتَمَشَّشَهُ وَمَشَّمَشَهُ: مَصَّهُ مَمْضُوعًا»^(١١)، أي إن الفعل رباعي مضاعف من الثلاثي المَضَعَّف (مَشَّ)، فهو على وزن (فَعْلَل). وورد في كتاب الأفعال: مَشْمَشْتُ الدواء في الإناء: أنقعتَه، وأيضاً: أَسْرَعْتُ»^(١٢)، ولم يذكر له ثلاثياً مُضَعِّفًا، وعلى هذا فالفعل رباعي مجرّد على وزن (فَعْلَل).
- ٥- مَضْمَصَ: جاء في لسان العرب: «مَضْمَصَ الإناءَ والثوبَ: غَسَلَهُمَا»^(١٣)، فالفعل رباعي مجرد على وزن (فَعْلَل)، وليس رباعياً مضاعفاً من الثلاثي (مَصَّ)، إذ معناها مختلفان.
- ٦- مَضْمَضَ: جاء في تاج العروس: «مَضْمَضَ الثوبَ إذا غَسَلَهُ»^(١٤)، وفي المعجم الوسيط: «مَضْمَضَ النعاسُ عينيه: دبَّ فيهما»^(١٥)، فالفعل رباعي مجرد على زنة (فَعْلَل)، إذ لم يرد له (مَضَّ) بهذا المعنى.
- ٧- مَطْمَطَ: جاء في تاج العروس: «مَطَّ حَطَّه وَحَطَّوهُ: مَدَّه وَوَسَّعَهُ»^(١٦)، فالواضح أن الفعل رباعيّ مضاعف من الثلاثي المَضَعَّف (مَطَّ)، ووزنه (فَعْلَل).
- ٨- مَعْمَعَ: ورد في لسان العرب: «مَعْمَعَ الرجلُ إذا لم يَحْضُلْ على

(١٠) المصدر السابق: مخخ.

(١١) ابن منظور، لسان العرب: مشش.

(١٢) ابن القطاع - كتاب الأفعال ٢: ٢٠٩.

(١٣) ابن منظور - لسان العرب: مضمص.

(١٤) الزبيدي - تاج العروس: مضمض.

(١٥) مجمع القاهرة - المعجم الوسيط: مضمض.

(١٦) الزبيدي - تاج العروس: مطمط.

مذهب، كأنه يقول لكل: «أنا معك»^(١٧) فالفعل هنا على زنة (فَعَلَل)، كالأفعال الدالة على تكرار حرف مثل: (تَأْتَأُ وفَأْفَأُ).

كما جاء فيه أيضاً: «والمعمعة: صَوْتُ الشُّجَعَاءِ فِي الْحَرْبِ، وَقَدْ مَعَمَّعُوا..... ويقال للحرب معمعة.»، ولا يختلف الوزن في هذا الاشتقاق أيضاً.

٩- مَعْمَغ: جاء في تاج العروس: «مَعْمَغُ اللَّحْمِ: مَضَغَهُ وَلَمْ يَبَالِغْ فِيهِ.. وَمَعْمَغَ كَلَامَهُ: لَمْ يُبَيِّنْهُ»^(١٨)، فالفعل رباعي مجرد على وزن (فَعَلَل)، إذ لم يرد (مَعَّ) الثلاثي المضعف.

١٠- مَقْمَق: جاء في لسان العرب: «مَقْمَقُ الْحَوَارِ خِلْفَ أُمَّه: مَضَّه مَضًّا شَدِيدًا... وَامْتَقَّ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمَّه وَتَمَقَّقَهُ: شَرِبَ كُلَّ مَا فِيهِ»^(١٩). ويعني هذا أن الفعل رباعي مضاعف على زنة (فَعَلَل)، وإن لم يذكر منه (مَقَّ) الثلاثي المضعف تصريحاً، فإن ورود (امْتَقَّ) يقتضي أنه مشتق منه.

١١- مَكْمَك: ورد في لسان العرب: «مَكَّ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمَّه، وَمَكْمَكُهُ: امْتَصَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ»^(٢٠)، فالفعل رباعي مضاعف، على زنة (فَعَلَل)، وثلاثيه المضعف (مَكَّ).

١٢- مَزْمَر: جاء في تاج العروس: «مَزْمَرُ الْمَاءِ: جَعَلَهُ يَمُرُّ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ»^(٢١)، وفي المعجم الوسيط: «مَزْمَرُ فُلَانٍ: غَضِبَ»^(٢٢) فالفعل على زنة (فَعَلَل) الرباعي المجرد المضاعف.

(١٧) ابن منظور - لسان العرب: مَعْمَع.

(١٨) الزبيدي - تاج العروس: مَعْمَغ.

(١٩) ابن منظور - لسان العرب: مَقَّ.

(٢٠) المصدر السابق: مَكَّ.

(٢١) الزبيدي - تاج العروس - مرر.

(٢٢) مجمع القاهرة - المعجم الوسيط: مرر.

١٣ - مَلَمَل: جاء في لسان العرب: «قيل: قد تَمَلَمَل، وهو تَقَلَّبَهُ على فراشه... وأتاه خَبْرٌ فَمَلَمَلَهُ...»^(٢٣). وفي الوسيط: «مَلَمَل الرجلُ: أَسْرَع، ومَلَمَل فلاناً قَلْبَهُ»^(٢٤). فالفعل رباعي مجرد على زنة (فَعْلَل).

١٤ - مَأْمَأ: ورد في لسان العرب: «المَأْمَأة: صوت الشاة أو الطَّيبي إذا وصلت صوتها»^(٢٥)، ولم يَذكر اللسان الفعل (مَأْمَأ) نَصًّا، ولكنه أورد مصدره (المَأْمَأة). فالفعل رباعي مجرد على وزن (فَعْلَل).

١٥ - مَسَمَس: لم يرد الفعل (مَسَمَس) نَصًّا، ولكن ورد في تاج العروس: «والمِسْمَاسُ والمَسْمَسَةُ: اختلاط الأمر والتباسه» وجاء فيه أيضاً المَسُّ بمعنى الاختلاط في تفسير قوله تعالى (لا مِساسَ) في قصة السَّامري: «تقول لا مِساس، أي لا أَمْسُ ولا أَمَسَّ، حرَّم مخالطة السامريِّ عقوبةً له»^(٢٦)، أي إن المَسْمَسَةُ مأخوذة من المَس، وعلى هذا فالفعل رباعي مجرد مضاعف وزنه (فَعْلَل)، أخذاً من الثلاثي المَضَعَف (مَسَّ) كما سماه ابن القطاع^(٢٧).

١٦ - مَهْمَه: جاء في تاج العروس: «مَهْمَه: قال له مَه مَه، أي اكْفُف»^(٢٨) فالفعل رباعي مجرد على زنة (فَعْلَل) مأخوذ من اسم الفعل (مَه).

١٧ - مَدَمَد: لم أجد هذا الفعل إلا في تهذيب اللغة وتاج العروس. جاء في تهذيب اللغة: «ومَدَمَد إذا هَرَب»^(٢٩) ومثله في التاج. وهو كما يرى من الرباعي المجرَّد على زنة (فَعْلَل). إذ لا صلة له بالثلاثي المَضَعَف (مَد).

(٢٣) ابن منظور - لسان العرب: ملل.

(٢٤) مجمع القاهرة - المعجم الوسيط: ملّ.

(٢٥) ابن منظور - لسان العرب: مَأْمَأ.

(٢٦) الزبيدي - تاج العروس: مسمس.

(٢٧) ابن القطاع - كتاب الأفعال ٢: ٢١٠.

(٢٨) الزبيدي - تاج العروس: مَهه.

(٢٩) الأزهري - تهذيب اللغة: مَد.

١٨ - مَنَهَجَ: لم أجد هذا الفعل نصًّا في المعاجم القديمة والحديثة، ولكنَّ معجم اللغة العربية المعاصرة أورد مصدره فقال: «مَنَهَجَةٌ [مفرد]: وَضَعُ خُطَّةٍ مرسومة: مَنَهَجَةُ البَحْثِ، التَّعْلِيمِ، مَنَهَجَةُ العَمَلِ فِي المَشْرُوعِ»^(٣٠). وورود المصدر دليل على إمكان ورود فعله (مَنَهَجَ) بمعنى وَضَعُ خُطَّةٍ مرسومة. وعلى هذا فالفعل مشتق من المصدر الميمي واسم المكان (منهج) وميمه زائدة. ولَمَّا كان وزن (مَنَهَجَ) على (مَفْعَل) فإن وزن الفعل المأخوذ منه هو (مَفْعَل) وميمه زائدة، ويكون من الملحق بالرباعي المَجْرَد.

١٩ - مَذْرَقَ: جاء في تاج العروس: «مَذْرَقَ: رَمَى بِالشَّيْءِ، وَكَذَلِكَ ذَرَقَ بِهِ، وَالكَلَامَ عَلَى المِيمِ هُنَا هُوَ بَعِينُهُ مَا مَرَّ فِي المَحْرَقَةِ»^(٣١). أي إن الميم زائدة هنا على الفعل الثلاثي (ذرق) كما هي زائدة في الفعل (مَحْرَقَ). ويُفْضِي هذا إلى أَنَّ هذا الفعل هو على بناء (مَفْعَل) الملحق بالرباعي المَجْرَد وميمه زائدة للإلحاق.

٢٠ - مَذَحَجَ: مما جاء في تاج العروس: «وقد قال بعضهم: إن مَذَحَجَ قبائل شتَّى مَذَحَجَتْ أَي اجْتَمَعَتْ، فإن كان هذا ثبتاً في اللغة، فلا بُدَّ أن تكون ميمه زائدة، وتكون الكلمة (مَفْعَلًا)، فإن جعلت الميم أصلاً كان وزن الكلمة (فَعْلَلًا)، وهذا خطأ، لأنه ليس في الكلام اسم مثل (جَعْفَر) فثبت أنه (مَفْعَل) مثل مَنَبِج»^(٣٢). ويفضي هذا إلى أن وزن مَذَحَجَ هو (مَفْعَل).

٢١ - مَزَمَزَ: جاء في تهذيب اللغة: «قال الأصمعي: مَزَمَزَ فلاناً إذا حَرَّكَه وهي المَزَمَزَةُ»^(٣٣)، وزاد في تاج العروس: «مَزَمَزَهُ: حَرَّكَه وَأَقْبَلَ بِهِ

(٣٠) د. أحمد مختار عمر وفريقه - معجم اللغة العربية المعاصرة ٣: ٢٢٩١.

(٣١) الزبيدي - تاج العروس: مذرق.

(٣٢) المصدر السابق: مذحج.

(٣٣) الأزهرى - تهذيب اللغة: مز ٤: ٣٥٢.

وَأَدْبَرَ^(٣٤) ليصحو من نوم أو سُكِر. ولمَّا لم يرد لفعل (مَزَّ) ما يقرب من هذه الدلالة لِيُحْمَلَ هذا الفعل عليه، فيكون من الرباعيِّ المضاعف، كان (مَزَّمَز) رباعياً مجرداً على زنة (فَعَّلَل).

٢٢- مَغْنَطَ: هذا الفعل مشتق من الاسم المعرَّب (مغناطيس). ومعنى الفعل: «زَوَّد بالقُوَّة المغناطيسيَّة»^(٣٥). ومعلوم أن أحرف المعرب كلها أصول، ولذا فإن الفعل على زنة (فَعَّلَل) الملحق بالرباعي المجرَّد.

٢٣- مَدَّمَد: جاء في القاموس المحيط: «مَدَّمَد: كَدَب»^(٣٦) ومثله في تاج العروس، ولم يرد في المعاجم الفعل الثلاثي (مَدَّ)، ولذا فالفعل رباعيُّ مجرد على زنة (فَعَّلَل).

٢٤- مَصْطَكَ: جاء في لسان العرب: «وأما المَصْطَكا العلك الرومي فليس بعربي، والميم أصلية والحرف رباعي»^(٣٧)، وفي المعجم الوسيط: «مَصْطَكَ الدَّوَاء: جعل فيه المَصْطَكا، والمَصْطَكا والمَصْطَكا: شجر من فصيلة البطميات يستخرج منه علك معروف»^(٣٨). والميم كما جاء في اللسان أصلية، فوزنه هو (فَعَّلَل)، لأن أحرف المعرَّب كلها أصول كما قدَّمنا.

٢٥- مَحْمَح: ورد في اللسان: «مَحْمَح الرجل: أَخْلَص مودَّتَه». وعلى هذا فالفعل من الرباعي المجرَّد على وزن (فَعَّلَل) وميمه أصلية، وهو ليس من الرباعي المضاعف، لأنه لم يرد الفعل (مَحَّ) الثلاثي المضعَّف بهذا المعنى أو قريباً منه. والذي ورد هو «مَحَّ الثوب: أَخْلَق، ومَحَّ الكتاب: دَرَس»^(٣٩).

(٣٤) الزبيدي - تاج العروس - مزز.

(٣٥) د. أحمد مختار عمر وفريقه: معجم اللغة العربية المعاصرة ٢: ٢١١١.

(٣٦) الفيروز آبادي - القاموس المحيط - باب الذال.

(٣٧) ابن منظور - لسان العرب: مصطك.

(٣٨) مجمع القاهرة - المعجم الوسيط - باب الميم.

(٣٩) ابن منظور - لسان العرب: مَحَّ.

٢٦- مَرَطَلٌ: في لسان العرب: «مَرَطَلَةٌ بالطين: لَطَّخَهُ، وَمَرَطَلُ الْعَمَلِ: أَدَامَتُهُ، وَمَرَطَلَةُ الْمَطْرُ: بَلَّه»^(٤٠)، وليس له صلة بالجذر (رَطَل)، فهو من الرباعي المجرد ووزنه (فَعَلَل).

٢٧- مَخْرَقٌ: جاء في مستدرک التاج: «المَخْرَقَةُ: إظهار الخُرْقِ تَوْصِيلاً إلى حيلة، وقد (مَخْرَقَ)، والمُمَخْرَقُ: المُمَوَّه، وهو مستعارٌ من (مخاريق)، هنا أورده صاحب اللسان، وهو على شرط المُصنِّف، فإنه ذكر فيما بعد مَذْرَقَ به، وهي لغة في ذَرَقَ، فبالأحرى أن تذكر المَخْرَقَةُ هنا. أما الجوهري، فإنه أورده في (خرق)، وحكم على أنها مولدة، والميم عنده زائدة»^(٤١) والواضح من هذا النص أن الفعل (مَخْرَقَ) مسموع عند الزبيدي ومولّد عند الجوهري، وأن الأصل فيه (خَرِقَ) وأن ميمه زائدة، أي إنه من الملحق بالرباعي المجرد، ووزنه (مَفْعَل).

٢٨- مَكَنَّ: لم أجد هذا الفعل في المعاجم الحديثة كالوسيط ومعجم اللغة العربية المعاصرة^(*). وهو كما نرى فعلاً رباعيٌّ مشتق من الاسم المعرَّب (ماكنة، أو ماكينه أو مَكَنَة) بمعنى الآلة، ويعني جعل الشيء يتمُّ باستعمال الماكنة^(٤٢)، أي إن هذا الفعل رباعي مجرد على بناء (فَعَلَل)، لأنه مشتق من اسم معرَّب وأحرف المعرب كلها أصول.

٢٩- مَرَهَمٌ: جاء في الوسيط: «مَرَهَمَ الجُرْحَ: وَضَع عَلَيْهِ المَرَهَمَ»^(٤٣)

(٤٠) المصدر السابق. مرطل.

(٤١) الزبيدي - تاج العروس: م خ ر ق.

(*) أورده (معجم الغني) تأليف د. عبد الغني أبو العزم. (٢٠١٣) «مَكَنَّ الحديد: استخدمه آلياً بواسطة الآلة. مَكَنَّ الزراعة. مَكَنَّ الإنتاج».

(٤٢) د. أحمد عمر وفريقه - معجم اللغة العربية المعاصرة: مَيِّن.

(٤٣) مجمع القاهرة - المعجم الوسيط: باب الميم.

وجاء في القاموس المحيط: «المَرْهَم كَمَقْعَد: طلاء يُطَلَى به الجُرْح، مشتقُّ من الرَّهْمَة لِلينِه»^(٤٤)، وفي اللسان: «المَرْهَم مشتقُّ من الرَّهْمَة لِلينِه، والرَّهْمَة: المطر الخفيف الدائم، وقيل: هو معرَّب»^(٤٥) والراجح عندي أنه عربيٌّ مأخوذ من (الرَّهْمَة)، ذلك أن كتب المعرَّب والدخيل: كمعرَّب الجواليقي وحاشية ابن برِّي عليه، وشفاء الغليل للخفاجي (والمعرب والدخيل في المعاجم العربية)^(٤٦) - لم تذكره، كما لم يشر المعجم الوسيط إلى أنه معرَّب. وما دام الراجح أن (المرهم) ليس معرَّباً فالراجح أيضاً أنه مشتق من الرَّهْمَة كما ذكر، وبذلك يكون وزنه (مَفْعَل) وميمه زائدة.

٣٠- مَتَمَّت: جاء في لسان العرب: «مَتَّتْ إِلَيْهِ بَرِحِم، أي مَدَدَتْ إِلَيْهِ وَتَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ... وَمَتَمَّتَ الرَّجُلُ إِذَا تَقَرَّبَ بِمَوَدَّة»^(٤٧). وعلى هذا فالفعل رباعي مجرد مضاعف مأخوذ من الفعل الثلاثي المَضَعَف (مَتَّ) ووزنه (فَعْلَل).

ثالثاً: أبنية الأفعال الرباعية والملحقة بها المبدوءة بميم:

يُتَّضَح مما تقدم أن هذه الأفعال تُسَلِّك في نوعين من الأبنية:

أ- بناء (فَعْلَل) الرباعي وهو ثلاثة أَضْرُبُ.

١- (فَعْلَل) الرباعي المجرَّد: وجاء عليه أربعة عشر فعلاً هي: مَشْمَش، مَزْمَز، مَعْمَع، مَغْمَغ، مَحْمَح، مَخْمَخ، مَدْمَد، مَرَطَل، مَضْمَض، مَكْمَك، مَلْمَل، مَأْمَأ. مَهْمَه.

٢- (فَعْلَل) الرباعي المجرد المضاعف. وهو ما يسميه ابن القطاع

(٤٤) الفيروز آبادي - القاموس المحيط: باب الميم.

(٤٥) ابن منظور - لسان العرب: رهم.

(٤٦) د. جهينة نصر علي - المعرب والدخيل في المعاجم العربية - دار طلاس (٢٠٠١).

(٤٧) ابن منظور - لسان العرب: متت.

الثنائي المكرر^(٤٨)، وجاء عليه سبعة أفعال هي: مَدَمَدَ من مَدَّ، وَمَطَمَطَ من مَطَّ، وَمَثَمَتَ من مَثَّ، وَمَسَمَسَ من مَسَّ، وَمَجَمَجَ من مَجَّ، وَمَقَمَقَ من مَقَّ، وَمَرَمَرَ من مَرَّ. وقضينا بأنها من الرباعي مضاعف الثلاثي، لأن لها أصلاً ثلاثياً مُضَعَّفاً كما ذكرنا، وجاءت المضاعفة بتكرير فائه.

٣- (فَعَلَل) الرباعي المجرد المشتق من الأسماء المعرَّبة، وجاء عليه ثلاثة أفعال هي: مَكَنَّ^(٤٩) من (الماكنة)، وَمَعْنَطَ من (المغناطيس)، وَمَضَطَكَ من (المصطكا). وقضينا بأنها على (فَعَلَل) أو ملحقة ببناء (فَعَلَل) لأنها مشتقة من أسماء معرَّبة، وحروف المعرَّب كلها أصول، فالميم فيها حرف أصلي يقابل بفاء الميزان عند إلحاقه ببناء عربي، ذلك «أن الأسماء الأعجمية لا توزن لتوقُّف الوزن على معرفة الأصلي والزائد، وذلك لا يتحقَّق في الأعجمية»^(٥٠).

ب- بناء (مَفْعَل) الملحق بالرباعي المجرد، وجاء عليه خمسة أفعال، هي:

١- (مَنْهَجَ): وهو فعل مشتق من المَنْهَج أو المنهاج، والميم زائدة في ما اشتقت منه، إذ إن وزن الاسمين: مَفْعَل ومِفْعَال، وبالتالي فإن فعلهما لا يجوز إلا أن يكون على وزن (مَفْعَل).

٢- (مَخْرَقَ): وسواء أكان هذا الفعل من الثلاثي (خَرِقَ) بمعنى حَمَقَ، أم من المِخْرَاق، وهو من أدوات اللعب، فميمه زائدة ووزنه هو (مَفْعَل).

٣- (مَذْرَقَ): وهو من الفعل الثلاثي (ذَرَقَ) إذا رمى بالشيء، وكذا (مَذْرَقَ) به. ونذكر بما جاء في التاج: «والكلام على الميم هنا هو بعينه ما مرَّ في المَخْرَقَة. فتأمل»^(٥١)، أي إن وزن هذا الفعل هو مَفْعَل، مثل (مَخْرَقَ).

(٤٨) ابن القطاع - كتاب الأفعال ٢: ٢٠٩.

(٤٩) جعله معجم اللغة العربية المعاصرة (مَيَنَّ) أي وزن (فَيْعَل) الملحق بالرباعي.

(٥٠) الخفاجي - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: ٢٣.

(٥١) الزبيدي - تاج العروس: مخرق.

٤ - (مَرَّهَم): وهو على وزن (مَفْعَل)، ما دام الراجح أنه مشتق من الرّهمة كما قدّمنا، فميمه زائدة ومن حقها أن تزداد في الميزان.

٥ - (مَذْحَج): وهو على وزن (مَفْعَل)، والميم فيه زائدة، سواء أكان هذا الفعل من (ذَحَجَت المرأة): إذا رمت بولدها، أو من اسم العلم (مَذْحَج) لقبيلة أو قبائل عربية. على أن معناه صار (اجْتَمَعَ)، بدليل ما جاء في تاج العروس: «وقد قال بعضهم إن مَذْحَج قبائل شَتَّى مَذْحَجَت أي اجْتَمَعَت»^(٥٢).

نستنتج مما سبق أن خمسة أفعال جاءت تحقيقاً على وزن (مَفْعَل) في العربية، وقد قضينا بذلك لأن ميمها حرف زائد لا أصلي، والحرف الزائد يُوزَن بمقابلته بلفظه لا بفاء الميزان، مثله في ذلك فعل (تَمَسَّكَن) الذي وزنه على (تَمَفْعَل)^(٥٣). ويدخل هذا الوزن في أبنية الملحوق بالرباعي المجرّد من الأفعال على غرار: فَيَعَل وفَوَعَل وفَعِيل، وفَعُول وفَعَلَى...^(٥٤).

رابعاً: جواز صوغ أفعال على بناء (مَفْعَل):

الذي نراه أنه يجوز صوغ أفعال مؤلّدة على بناء (مَفْعَل) الملحوق بالرباعي المجرّد، قياساً على الأفعال السابقة المذكورة التي سُمِعَت أو وُلِدَت وعددها خمسة. وما يدعوننا إلى ذلك أشياء:

١ - ضرورة الاصطلاح العلمي: وذلك كأن تدعو الحاجة إلى توليد فعل (مَحْرَق) لدلالة تنويعية على الفعل (حَرَق)، فَيُشْرِك الفعلان حَرَق وأحرق لدلالة الإهلاك بالنار، ويُولَد الفعل (مَحْرَق) لدلالة الإهلاك بمادة كيميائية مثلاً أو للإحراق بالبرودة الشديدة، أو لدلالة وَضَع مادّة ما في (المَحْرَق) وهو البؤرة الضوئية تجتمع فيها الأشعة فتعظم حرارتها.

(٥٢) الزبيدي - تاج العروس: مذحج.

(٥٣) الحملاوي - شذا العرف في فن الصرف: ٢٨.

(٥٤) أبو حيان الأندلسي - ارتشاف الضرب من كلام العرب: ١٦٨ - ١٧٠.

٢- تعدية ما جاء لازماً من الأمثال على بناء (تَمَفَعَلَ):

وردت في العربية أفعال كثيرة على وزن (تَمَفَعَلَ) وهي أفعال لازمة. وبهذا البناء الجديد يمكن تحويلها إلى أفعال مُتَعَدِّية، فما دام قد ورد في العربية: «تَدْرَع مَدْرَعَتَهُ وَأَدْرَعَهَا وَتَمَدْرَعُهَا»^(٥٥)، فمن الجائز تعدية الفعل تَمَدْرَع كأن يقال: تَمَدْرَعَتِ الْبِنْتُ، وَمَدْرَعَتِ الْأُمُّ ابْنَتَهَا إِذَا أَلْبَسَتْهَا الْمَدْرَعَةَ. وما دام قد ورد في العربية «أَنْتَطَقَ بِالنُّطَاقِ وَالْمِنْطَقَةِ وَتَمَنَطَقُ»^(٥٦) وورد: «كَمَا بُنِيَ تَمَنَطَقُ مِنْ لَفْظِ الْمَنَطَقِ بِزِيَادَتِهَا [أَيِ الْمِيمِ]»^(٥٧) فمن الجائز تعدية هذا الفعل كأن يقال: مَنَطَقَ الْغُلَامَ إِذَا شَدَّ لَهُ وَسَطَهُ بِالْمِنْطَقَةِ. وإذا قيل تَمَرَّكَزَ الْجُنُودُ فِي الْقِمَّةِ، جاز تعدية هذا الفعل، كما في قولنا مَرَّكَزَ الْقَائِدُ الْجُنُودَ فِي الْقِمَّةِ.

٣- توليد أفعالٍ وكلماتٍ لدلالاتٍ شاعت في العصر الحديث: ومثال ذلك أنه شاع في الاستعمال اللغوي المعاصر كلمة (المَرَجَلَةُ)، وهي كلمة غير معجمية، ويعنون بها الرُّجولة الخُلُقِيَّة والشجاعة، فيقولون مثلاً: ظهرت مَرَجَلَةٌ زَيْدٌ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ. وجمعوها على (مراجِل)، فيقولون: زَيْدٌ لَيْسَ مِنْ مَرَاجِلِ خَالِدٍ، أَي لَيْسَ نَظِيرًا لَهُ فِي الرُّجُولَةِ الْخُلُقِيَّةِ وَالشَّجَاعَةِ. وإذا كان القدماء قد قالوا: «تَوَبُّ مُمَرَّجَلٌ: عَلَى صَنْعَةِ الْمَرَاجِلِ مِنَ الْبُرُودِ... أَوْ أَنْ عَلَيْهَا تَمَثَالِ الرِّجَالِ»^(٥٨)، فإن عبارتهم مؤدبية إلى أن ثَمَّةً فِعْلًا هُوَ (مَرَجَلٌ) التَّوَبُّ: إِذَا جَعَلَ عَلَيْهِ تَمَثِيلَ الرِّجَالِ، وَرَبْمَا مِنَ الْمَقْبُولِ أَنْ نَصُوغَ وَنَوَلَّدَ فِعْلَ (مَرَجَلٌ) عَلَى بِنَاءِ (مَفْعَلٌ) الْمَلْحَقِ بِالرَّبَاعِيِّ الْمَجْرُودِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا هُوَ أَلْصَقُ بِصِفَةِ الرِّجَالِ مِنْ مَرُوعَةٍ وَشَجَاعَةٍ.

(٥٥) ابن منظور - لسان العرب: درع.

(٥٦) المصدر السابق: نطق.

(٥٧) المصدر السابق: تبل.

(٥٨) ابن منظور - لسان العرب: مرجل.

ولعلّ من هذا القبيل كلمة (المَنْظَرَة) التي وردت في المعاجم بمعنى حُسْن المَنْظَر والهيئة، ثم شاعت بمعنى الشكل الظاهري الحَسَن، بصرف النظر عن المضمون، ومن الممكن أخذ فِعْلٍ من هذه الكلمة التي جاءت على بناء (مَفْعَلَة)، كأن يُقال: (تَمَنْظَر الرَّجُل) إذا اتَّصَفَ بذلك، أو أن يُقال: (منظَر الرجل) إذا جعله كذلك، وهو على بناء (مَفْعَل).

٤- طُرُد قواعد الميزان الصرفي على جميع الأفعال، فلا يُعقل أن تكون كلمة (مِنْهَاج) على وزن (مَفْعَال)، ثم يكون الفعل المأخوذ منها وهو (مِنْهَاج) على وزن (فَعْلَل) ^(٥٩).

كما لا يجوز أن تكون (مَذْحِج) على وزن (مَفْعَل)، ثم يكون الفعل المأخوذ منها على وزن (فَعْلَل) لا مَفْعَل، متوهِّمين أن الميم في الفعل (مِنْهَاج) أصلية، في حين هي في الاسم (مِنْهَاج) زائدة.

مما قد يرد علينا في تجويز هذا البناء الفعلي اعتراضان:

الأول: أننا أدخلنا في أبنية العربية بناءً لم يأت عليه إلا خمسة أفعال، ولا يجوز فيما كان كذلك من القلّة أن يُصنّف في أبنية الأفعال: ونردُّ بحجَّتَيْن.

أ- لقد جعل الصرفيون في عداد هذه الأبنية ما ورد عليه أربعة أفعال ليس غير، وهو بناء (يَفْعَل) ^(٦٠)، وعدّوه من الملحق بالرباعي، وذكروا منه يَزْنَأ: إذا صبغ باليُرْتَاء وهي الحِنَاء، ويَأْيَأ: إذا أظهر الإلطف، ويَهْيَه: إذا دعا الإبل، ويَعْيَع ^(٦١). حتى إن الفارابي في ديوان الأدب، المعجم القائم على

(٥٩) أ. مروان البواب وشركاؤه - البرنامج الحاسوبي اللغوي (نظام الاشتقاق والتصريف في اللغة العربية).

(٦٠) ابن عصفور - الممتع الكبير في التصريف ١: ١١٦.

(٦١) أ. مروان البواب ود. محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان - إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي: ٥٠٩. ولم أتهدأ إلى من ذكر (يَعْيَع) ولا معناه.

الأبنية لم يذكره. ونقل ابن منظور عن ابن جني قوله عن هذا البناء: «هذا (يَفْعَل) في الماضي، ما أغربُهُ وأطرفُهُ»^(٦٢).

ب- كما جعلوا في عداد أبنية الأفعال ما لم يرد عليه إلا فعلا، وهو بناء (تَفَعَّلَت) الذي عدُّوه ملحقاتاً بالمزيد على الرباعي بحرف^(٦٣). وهذان الفعلان هما: (تَعَفَّرَت) بمعنى أظهر الدهاء أخذاً من العفريت، وهو النافذ في الأمر، والمبالغ فيه مع دهاء. والفعل الثاني (تَكَنَّبَت) بمعنى تداخل بعضه في بعض، وقد انفرد به المُخَصَّص دون غيره من المعاجم^(٦٤).

الثاني: أننا قلنا بما لم يُقَلَّ به أحدٌ من اللغويين أو الصرفيين القدماء في هذا البناء. فنقول: بل ورد هذا البناء عَرَضاً في قول لابن جني: «وقد قال بعضهم إن (مَدْحَج) قبائل شتَّى مَدْحَجَتْ، أي اجتمعت، فإن كان هذا ثبثاً في اللغة، فلا بد أن تكون الميم زائدة، وتكون الكلمة (مَفْعَلَتْ)^(٦٥)، أي إن وزن مَدْحَج هو (مَفْعَل).

وخلاصة القول:

١- ثمة بناء صرفي من أبنية الأفعال على وزن (مَفْعَل)، لم يُعَدَّه الصرفيون القدماء ولا المحدثون بناءً مستقلاً في أبنية الأفعال. ويمكن سَلْكُهُ في أبنية الأفعال الملحقة بالرباعي المجرّد من مثل: فَيَعِل وفَوْعِل وفَيَعِل..

٢- يمكن صوغ أفعال على هذا البناء لأغراض ثلاثة:

أ- ضرورة الاصطلاح العلمي للدلالة على فروق تنويعية على المعنى

العام للجذر.

(٦٢) ابن منظور - لسان العرب - رناً.

(٦٣) ابن عصفور - الممتع الكبير في التصريف ١: ١١٦.

(٦٤) ابن سيده - المخصّص ٣: ٣٢٩.

(٦٥) ابن جني - المنصف في التصريف للمازني ١: ١٠٨.

ب- تَعَدِيَةٌ ما جاء على بناء (تَمَفْعَل) من أفعال لازمة مثل: مَدْرَعٌ ولازمه تَمْدَرَعٌ.

ج- قَبول بعض الكلمات المولدة المعاصرة الشائعة التي يمكن تخريجها على فِعْلٍ من هذا البناء ككلمة (مَرَجَلَةٌ) بمعنى الرُّجولة.

٣- أظهر معاني هذا البناء الفعلي هو ملابسة ما اشْتُقَّ منه أو أُخِذَ، نحو: مُنْطَقَ الأُمُورِ إذا حاكمها بِالْمَنْطِقِ والعقل.

٤- يُدْرَس كل فعلٍ يولَّد على هذا البناء على حَدِّثِهِ قبل إقراره، لمعرفة مدى الحاجة إليه وانسجامه مع الذائقة الصوتية العربية.

«اللهم علِّمنا ما يَنْفَع، وأنْفَع بما علِّمنا»

المصادر والمراجع

أ- الكتب:

١- إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي - أ. مروان البواب، د. محمد مراياتي ود. يحيى مير علم ود. محمد حسان الطيّان - مكتبة لبنان ط ١ (١٩٩٦).

٢- تاج العروس من جواهر القاموس - المرتضى الزبيدي/ معجم.

٣- تهذيب اللغة - أبو منصور الأزهري - تح محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ١ (٢٠٠١)/ معجم.

٤- شذا العرف في فن الصرف - الشيخ أحمد الحملاوي - ضبطه وعلق عليه علاء الدين عطية - مكتبة دار البيروتي ط ٥ (٢٠٠٢).

٥- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - الشهاب الخفاجي - تح عبد المنعم الخفاجي - القاهرة (د.ت).

٦- القاموس المحيط - الفيروز آبادي/ معجم.

- ٧- كتاب الأفعال - ابن القطاع الصقليّ علي بن جعفر - عالم الكتب - ط ١ (١٩٨٣).
- ٨- كتاب العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي - تح د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال (د.ت).
- ٩- لسان العرب - ابن منظور المصري / معجم.
- ١٠- المخصّص - ابن سيده علي بن إسماعيل - تح خليل إبراهيم الجفال - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ١ (١٩٩٦).
- ١١- معجم اللغة العربية المعاصرة - د. أحمد مختار عمر وفريقه - عالم الكتب - ط ١ (٢٠٠٨).
- ١٢- المعجم الوسيط - مجمع القاهرة / معجم.
- ١٣- المستقصى في علم التصريف - د. عبد اللطيف الخطيب - دار العروبة - الكويت - ط ١ (٢٠٠٢).
- ١٤- المعرّب والدخيل في المعاجم العربية - د. جهينة نصر علي، دار طلاس - دمشق ط ١ (٢٠٠١).
- ١٥- المُمتّع الكبير في التصريف - ابن عصفور الإشبيلي - مكتبة لبنان ط ١ (١٩٩٦).
- ١٦- المُنصف شرح التصريف للمازني - ابن جني - دار إحياء التراث القديم - ط ١ (١٩٥٤).

ب- الدوريات:

- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٨٧ ج ٤.

ج- البرامج الإلكترونية:

- نظام الاشتقاق والتصريف في اللغة العربية - أ. مروان البواب وشركاؤه.

* * *

نظرات في (مختصر النحو) لابن سعدان الكوفي (١٦١-٢٣١هـ) دراسة وتحقيق د. حسين أحمد بوعباس

د. عبد الناصر إسماعيل عسّاف (*)

صدر كتاب (مختصر النحو) لابن سعدان الكوفي (١٦١ - ٢٣١هـ) سنة ٢٠٠٥، في حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - في جامعة الكويت: حقّقه د. حسين أحمد بوعباس عن مخطوطة يتيمة في مكتبة المشهد الرضوي بمدينة مشهد الإيرانية، قُدِّرَ تاريخُها في المكتبة بأوائل القرن الرابع الهجري؛ وقَدِّمَ له بدراسة تناول فيها ترجمة المؤلف، ومولده ووفاته، وشيوخه، ومن أخذَ عنه، ومصنّفاته، وبعض أخباره وما قيل فيه، وأثره في الخالفين، ودرسَ فيها المخطوط، فبيّن أهمّ سماته، ووثّق نسبة الكتاب إلى المؤلف وحدّد عنوانه، ثمّ ختمَ بوصف المخطوط، وبيان منهجه في التحقيق.

و(مختصر النحو) كما بيّن محقّقه ودلّت مادّته مصنّفٌ في النحو الكوفي، يشهد لذلك ويدلّ عليه ما تردّد فيه من مصطلحات وعلل وأحكام وآراء نحويّة كوفيّة بينها المحقّق، ومثّل لها؛ وموافقة الفراء في بعض الأبواب لفظاً ومعالجة كما قدّر المحقّق. وهو كتابٌ في النحو التعليمي.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

وقد استدلَّ المحقِّقُ لهذه الصبغة بما كان عليه الكتابُ من صِغَرِ حجمه، إذ كان المخطوط، على كثرة أبوابه التي بلغت ستة وخمسين باباً، في خمس وثمانين صفحة من القطع الصغير؛ ومن قِصرِ أبوابه، إذ لم يزد بعضها على سطر ونصف؛ ومن قلة تفصيلات المادة النحويّة التي كانت مسائل الخلاف فيها تأتي عرضاً، وسهولة عبارة المؤلِّف ووضوحها، والاقتصار على الشواهد القرآنيّة التي كانت قليلة.

وقد قرأتُ الكتاب حين صدر، وقيدتُ على حواشيه ما بدا لي فيه، ثم دعاني إلى قراءته ثانية منذ بضعة أشهر ما دعاني، فبدا لي فيه ملاحظاتٌ أخرى، حتى إذا جمعتُ هذه إلى تلك كانت هذه الكلمة التي أحببت أن يفيد منها المحقِّق والقارئ.

* الدراسة:

- فات المحقِّقُ إذ ترجم المؤلِّفَ (ابن سعدان) [ص ١٦] التنبية على ما انفرد به الذهبي في كنيته، حين ذكره فقال: «محمد بن سعدان أبو عبد الله النحويّ المقرئ الضرير، أحد الأئمة بالعراق»^(١)؛ لأنّ تكنية ابن سعدان بـ«أبي عبد الله» لم يقع مثلها في سائر مظانّ ترجمته، أو مواضع ذكره.

- ذكر المحقِّقُ إجماع المصادر على وفاة ابن سعدان يوم عرفة من سنة إحدى وثلاثين ومئتين، ونصّ في الحاشية على أنّ ياقوت انفرد بذكر وقوع الوفاة في عيد الأضحى.

وفحصُ ذلك يدعو إلى بعض التعقيب؛ لأنّ ياقوت ذكرَ أنّ ذلك قولُ ابن عرفة (نفطويه)^(٢)، فكان بذلك ناقلاً؛ وذكره الداني عن محمد بن

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩١٦/٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٢٥٣٧/٦.

الحسن النقاش^(٣). وبه يتبين أن ياقوت لم ينفرد بذلك.

على أن الإجماع على وفاة ابن سعدان سنة إحدى وثلاثين ومئتين شدّ عنه الهذلي، إذ نصّ في كتابه (الكامل)^(٤) على أن ابن سعدان توفي سنة تسع ومئتين!

- ذكر المحقق [ص ١٦ - ١٧] في شيوخ ابن سعدان خمسة عشر شيخاً، وقد بدا لي بعد نظر وبحث ومراجعة أن قد فاته نحو ذلك، وخالط كلامه على بعضهم ما يقتضي التعقيب. وهذا ما أذكره هنا:

- فات المحقق أن يذكر في شيوخ ابن سعدان هؤلاء الأربعة الذين هداني إليهم البحث، ووافقت في الأول والأخيرين منهم ما ذكره محقق كتاب ابن سعدان (الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل)^(٥):

- حجاج بن محمد، أبو محمد الأعور المصيصي، ت ٢٠٦^(٦).

- عبد الله بن عمر: روى القراءة عن يحيى بن آدم^(٧).

- محمد بن عبيد الله الضرير أبو عاصم الكوفي، يُعرف بالمسجدي^(٨).

- يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المدني^(٩).

على أن في من ذكر محقق كتاب (الوقف والابتداء) من مشيخة ابن سعدان زيادة ثلاثة عشر شيخاً، اهتدى إلى تسعة منهم فيما كان في كتاب (الوقف والابتداء) وغيره من أسانيد^(١٠).

(٣) الداني، جامع البيان، ١/٢١٧.

(٤) الهذلي، الكامل في القراءات، ص ٨٦.

(٥) ابن سعدان، الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، مقدّمة المحقق: ص ١٥، ١٧، ١٩.

(٦) ابن الجزري، غاية النهاية، ١/١٨٦.

(٧) ابن الجزري، المصدر السابق، ١/٣٩٢.

(٨) ابن الجزري، المصدر نفسه، ٢/١٧٢.

(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام ٤/١٢٥٥، وابن الجزري، غاية النهاية ٢/٣٣٨-٣٣٩.

(١٠) انظر: ابن سعدان، الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، مقدّمة المحقق: ص ١٤-١٩.

- ذكر المحقق في شيوخ ابن سعدان: سليم بن عيسى بن سليم، وعقب بحاشية توثق ذلك، ختمها بقوله: «وذكر ابن الجزري أنه توفي سنة ٢٨٨، وقيل: ٢٨٩. وقال ابن سعدان: سنة ٢٠٠. والأرجح قول ابن سعدان لأنه جاء في ترجمته أنه ولد سنة ١٣٠، فالقولان الأولان يجعلانه عمراً ١٦٠ سنة، ثم إن ابن سعدان أقرب إلى تحديد وفاته». ا هـ.

قلت: لم يكن وراء تعقيب المحقق في هذه الحاشية إلا الغفلة والسهو؛ لأن ابن الجزري نصّ على أنّ وفاته كانت سنة ١٨٨ أو ١٨٩. قال: «توفي سنة ثمان وثمانين، وقيل: سنة تسع وثمانين ومئة. وقال ابن سعدان: سنة مئتين، عن سبعين سنة وستة أشهر»^(١١).

- ذكر المحقق في من ذكر من شيوخ ابن سعدان: «محمد بن حازم، أبو معاوية الضرير، ت ١٩٤». هكذا ذكر أباه «حازم» بالحاء المهملة، وأحال في الحاشية على تاريخ بغداد (٣٢٤ / ٥) ونزهة الألباء ص ٢٣، ومعجم الأدباء (٢٥٣٧ / ٦). وقال في تلك الحاشية: «وأبو معاوية لا يُذكر إلا بكنيته، ولكن وجدت اسمه في معجم الأدباء (٢٥٣ / ١) وله ترجمة في نكت الهميان ص ٣٤٧».

وقد أخطأ في ذلك مرتين: الأولى حين ذكر والد أبي معاوية بالحاء المهملة (حازم)، وكان بذلك يقلد تصحيفاً كان في معجم الأدباء ونكت الهميان^(١٢). والصواب أنه حازم بالحاء المعجمة، وعلى ذلك نصّ غير واحد نصّاً، منهم العجلي وابن حجر^(١٣). ومن ثمّ كان ينبغي أن يتبّه المحقق

(١١) ابن الجزري، غاية النهاية ١/ ٢٨٩.

(١٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١/ ٢٥٣؛ والصفدي، نكت الهميان، ص ٣٤٧.

(١٣) العجلي، معرفة الثقات، ٢/ ٢٣٦، وابن حجر، تقريب التهذيب، ص ٤٧٥.

على أنّ ورود اسم أبيه بالحاء المهملة (حازم) في بعض المصادر من قبيل التصحيف أو خطأ الطباعة.

والثانية: حين نصّ نصّ حصر على أنّ أبا معاوية «لا يُذكر إلا بكنيته»، وأنه وجد اسمه في (معجم الأدباء)، ووجد له ترجمة في (نكت الهميان). قلت: هذا غريب!؛ لأنّ أبا معاوية الضرير ذُكر في كتب التراجم وكتب الجرح والتعديل، وفي أسانيد بعض ما أخبر به ورواه كثيراً جداً باسمه «محمد بن خازم»، أو باسمه مقترناً بكنيته «أبو معاوية محمد بن خازم»، وكان أحياناً يُذكر باسمه وحده؛ وترجمته وردت في كتب كثيرة. ولا يبعد عندي أن يكون قول المحقق أثراً من ذلك التصحيف الذي قلّده ولزمه في اسم أبيه «حازم»، ولم يستطع منه فكاكاً، حتى قيّد بحثه في دائرته، ولم يبحث عن سواه، فلم يهتد لذلك إلى نتائج علمية موصولة بأبي معاوية الضرير محمد بن خازم. ومن ثمّ صار من الخطأ متابعة المحقق فيما قال مبالغة، والاطمئنان إليه.

ذكر المحقق [ص ١٧] في من أخذ عن ابن سعدان ثلاثة عشر، شاب كلامه على بعضهم ما يحتاج إلى التعقيب:

- ذكر المحقق في من أخذ عنه: إبراهيم بن محمد بن سعدان، ابن المصنّف؛ وأحال على (معجم الأدباء) ٦ / ٢٥٣٧، كما أحال في ترجمته على (الفهرست) ص ١٢٣، و معجم الأدباء (١ / ٩٧).

قلت: ليس فيما أحال عليه المحقق ما يدلّ على أخذ إبراهيم عن أبيه دلالةً صريحة واضحة. واحتمال ذلك، بما تقتضيه علاقة الولد بأبيه عادةً، وجوازه عقلاً، ولا سيّما أنّ إبراهيم بن محمد بن سعدان وُصِفَ بأنّه كان من أهل العلم؛ دليلٌ ظنيّ غير قاطع. وإذا كان المحقق على ذلك يتكئ فعليه أن

يقيّد كلامه بما يدلّ على الظنّ والاحتمال، وينصّ عليه نصّاً، لئلاّ يلتبس الظنّ بالقطع واليقين.

- ذكر المحقّق في مَنْ أخذ عن ابن سعدان: «أحمد بن محمّد بن واصل أبو العباس الكوفي»، وقال فيه: «وهو أجلّ أصحابه، واسمه في أكثر المصادر: محمد ابن أحمد بن واصل، وتبّه ابن الجزري على أنّه كما أثبتناه». وأحال على تاريخ بغداد (١/٣٦٧) ومعجم الأدباء (٦/٢٥٣٧) ومعرفة القراء الكبار (١/٢١٧)، (٢٦٢) وغاية النهاية (٢/١٤٣)، وذكر أن ترجمته في غاية النهاية (١/١٣٣).

وهذا من المحقّق خطأً غليظاً، قلب فيه اسم صاحب ابن سعدان باسم آخر؛ صدر فيه عن فهم كلام ابن الجزري على غير وجهه. قال ابن الجزري في ترجمة (محمد بن أحمد بن واصل): «ووقع في المستنير وغيره في رواية الكسائي عن حمزة: رواية ابن واصل عن الكسائي نفسه، وسماه أحمد. وصوابه محمد، وهو المتقدّم، عن أبيه أحمد عن الكسائي».

ومن الواضح أن المقصود ممّا ذكره ابن الجزري هنا أنّ المترجم، وهو محمد بن أحمد بن واصل، روى عن أبيه أحمد عن الكسائي عن حمزة، وأنّه لم يرو عن الكسائي بنفسه. وهذا ما ورد في أول ترجمة ابن الجزري محمد بن أحمد بن واصل، إذ قال: «أخذ القراءة سماعاً عن أبيه أحمد عن اليزيدي والكسائي...».

ومن الغريب أن ينسب المحقّق ما نسب إلى ابن الجزري، وابن الجزري نفسه يقول في ترجمة (أحمد ابن عبد الله بن محمد أبي الحسن الحربي الجوني): «والصواب أنّه محمّد بن أحمد بن واصل كما بيّناه في اسمه»، ويقول في ترجمة محمد بن أحمد بن واصل البغدادي: «... وصوابه محمّد»^(١٤).

(١٤) ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٧١، ٢/٨٢-٨٣، على التوالي.

وقد سبق ابن الجزري إلى شيء من ذلك الخطيب البغدادي، إذ قال في ترجمة (أحمد بن محمد بن واصل): «... ومحمد بن أحمد أصح»، وقال في ترجمة والده (أحمد بن واصل): «والذين قالوا: إنَّ أبا العباس هو محمد ابن أحمد بن واصل أكثر وقولهم أظهر»^(١٥).

هذا، وقد خلط المحقق هنا تخليطاً آخر؛ إذ خلط بين المقصود بكلامه: محمد بن أحمد بن واصل، وهو بغدادي، بآخر كوفي. والواجب في ضوء ذلك أن يذكر المحقق المقصود على الصحيح في موضعه من ثبت الآخذين عن ابن سعدان، ويقول:

- محمد بن أحمد بن واصل، أبو العباس البغدادي، وقيل: أحمد. قال الخطيب البغدادي: ومحمد ابن أحمد أصح، والذين قالوا: إنَّ أبا العباس هو محمد بن أحمد بن واصل أكثر، وقولهم أظهر. وقال ابن الجزري: والصواب أنه محمد بن أحمد. أجل أصحاب ابن سعدان، (ت ٢٧٣)^(١٦).

وأن يزيد في من أخذ عن ابن سعدان في موضعه:

- أحمد بن محمد بن واصل أبو العباس الكوفي. قال فيه ابن الجزري: «مقرئ حاذق، قرأ على الكسائي، وعلى محمد بن سعدان عن سليم والمسيبي»^(١٧).

- كان ممن ذكره المحقق في من أخذ عن ابن سعدان: حفص بن عمر ابن عبد العزيز أبو عمّر الدوري البغدادي الضرير (ت ٢٤٦)، وقد وثق ذلك

(١٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٦/٢٩٥، ٤١٦، على التوالي.

(١٦) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/٢٣٧، ٦/٢٩٥، ٤١٦، والذهبي، تاريخ

الإسلام، ٦/٥٩٢، ومعرفة القراء الكبار، ٢/٥١٩، وابن الجزري، غاية النهاية ٢/٨٢-٨٣.

(١٧) ابن الجزري، غاية النهاية ١/١٢٢.

في الحاشية بقوله: «- تهذيب الكمال (٣٦/٧) و غاية النهاية (١٤٣/٢) وجاء محرّفاً (أبو عمرو)، وترجمته في (١/٢٥٥)». ا.هـ.

وقوله إذ قال: «غاية النهاية (١٤٣/٢) وجاء محرّفاً (أبو عمرو)» قول من خلط بين علمين: أولهما حفص بن عمر بن عبد العزيز أبو عمّر الدوريّ البغداديّ الضريّر (ت ٢٤٦) الذي أرادَه هنا المحقّق وترجمه، والثاني أبو عمرو الضريّر الذي ترجمه ابن الجزري بقوله: «مقرئ روى القراءة عرضاً عن محمد بن سعدان عن سُليم، روى القراءة عنه عرضاً أحمد بن عبد الرحمن الولي». ^(١٨)، وقد ظنّه المحقّق الأوّل (حفص بن عمر أبا عمر الدوري) ظناً حمّله على الحكم بتحريف كنيته.

والصحيح أنّ الثاني علم آخر، وهو الذي دعا ابن الجزري أن يخصّه بترجمة تختلف عن ترجمة الأول، وإلا فقد كانت تكفيه ترجمة حفص بن عمر ابن عبد العزيز في الموضوع الأول عن الإعادة والتكرار. ومن هنا ينبغي أن يصحّح المحقّق كلامه، وأن يزيد أبا عمرو الضريّر في من أخذ عن ابن سعدان.

- ذكر المحقّق في من أخذ عن ابن سعدان «سعيد بن عمران بن موسى» الذي أحال فيه على كتاب ابن الجزري غاية النهاية (١٤٣/٢)، ثمّ عقّب ثمة بقوله: «ولم أعثر له على ترجمة». ا.هـ.

قلت: هذا غريب! فأين كان من قول ابن الجزري يترجمه بما تيسر له: «سعيد بن عمران بن موسى أبو عثمان الكوفيّ المقرئ، قرأ على محمد بن سعدان، وقرأ عليه أبو الحسن بن شنبوذ» ^(١٩)، أم لم يكن ذلك عنه ترجمة له، وتعريفاً به؟!.

(١٨) ابن الجزري، المصدر السابق، ١/٥٤٧.

(١٩) ابن الجزري، المصدر نفسه، ١/٣٠٧.

- ذكر المحقق أنّ عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، وهو ممن أخذ عن ابن سعدان، توفي سنة (٢١٣). وهذا سهو منه؛ لأنّ هذه سنة ولادته، أمّا سنة وفاته فكانت سنة (٢٩٠)، وقيل: سنة (٢٩١).

- ذكر المحقق أنّ محمد بن أحمد بن البراء توفي سنة (١٩١). وأحال في الحاشية على ترجمته في (غاية النهاية). والصحيح أن وفاته كانت سنة (٢٩١)، كما نصّ الذهبي^(٢٠). وما كان في (غاية النهاية ٥٣/٢) من أنه «مات في شوال سنة إحدى وتسعين ومئة». خطأ مصدره النسخ أو الطباعة.

- ذكر المحقق في من أخذ عن ابن سعدان: محمد بن جعفر بن الهيثم الذي نصّ ابن الجزري في ترجمة المصنّف أنّه روى القراءة عن ابن سعدان^(٢١)؛ وقال المحقق في الحاشية: «ولم أقع له على ترجمة».

وكلامه هذا صحيح. ومثل ذلك يدعو إلى السؤال عن احتمال أن يكون في سياق هذا العلم على هذا الوجه شيء. ولو قلب المحقق الاسم على وجه آخر: جعفر بن محمد بن الهيثم؛ لانتهى إليه احتمال أن يكون في اسمه خطأ ترتيب. ومما يزكي ذلك عندي أن ابن الجزري نصّ إذ ترجم «جعفر ابن محمد بن الهيثم،... توفي في حدود سنة (٢٩٠)» على أنه «قرأ على محمد بن سعدان»^(٢٢).

ومن هنا كان على المحقق أن يذكر احتمال كون المترجم (محمد بن جعفر بن الهيثم) هو جعفر بن محمد بن الهيثم، وأن يذكر هذا الأخير في عداد من أخذ عن ابن سعدان.

(٢٠) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦/١٠٠٨، ومعرفة القراء الكبار ٥٢٦/٢.

(٢١) ابن الجزري، غاية النهاية ١٢٧/٢.

(٢٢) ابن الجزري، المصدر السابق، ١/١٨٠.

- كان ممن أخذ عن ابن سعدان محمد بن يحيى بن سليمان أبو بكر المروزي، الذي ذكره المحقق في موضعه من الدراسة، وقال فيه ثمة: «وحكى ابن الجزري عن الداني أنه توفي في بغداد قريباً من سنة ثلاثمئة». وقد عقب على ذلك المحقق بقوله: «وهذا فيه نظر؛ لأنه يفضي إلى أنه عاش بعد ابن سعدان أربعين ومئة سنة تقريباً، فكم كان عمره حين قرأ عليه؟!».

قلت: هذا تعقيب فاسد، لا يكاد ينقضي منه العجب؛ لأنه قاس مدة بقاء المروزي بعد ابن سعدان من سنة ولادة شيخه ابن سعدان (١٦١هـ)، لا من سنة وفاته (٢٣١هـ)، فكانت النتيجة أن عاش المروزي أربعين ومئة سنة تقريباً!! ولو حسب المحقق المدة حساباً صحيحاً، وهو ممّا لا يخفى على أصاغر الناشئة، فقاسها من سنة وفاة ابن سعدان، لعرف أنّ مدة بقاء أبي بكر المروزي بعد شيخه كانت (٣٠٠ - ٢٣١ = ٦٩ سنة)، ولزال العجب الذي تملك المحقق وجعله يستفهم استفهام تعجب وإنكار: «فكم كان عمره حين قرأ عليه?!».

- افتقر كلام المحقق على مصنفات ابن سعدان [ص ١٨] إلى ما يجب من إحكام واستيعاب، فكان فيه ما يقتضي التعقيب والاستدراك. وهو ما أبينه هنا:

- ذكر المحقق فيما ذكر من مصنفات ابن سعدان كتابيه اللذين ذكرهما ابن الجزري في (غاية النهاية): (الجامع) و (المجرد)، اللذين لا يوحى اسمهما بموضوعهما؛ ولم يبين موضوعهما، أو العلم الذي يُصنّفان فيه. على أنه ذكر في الحاشية نصّ بعض المحدثين على أنهما في القراءات، وعقب على ذلك بقوله: «ولعله اعتمد في ذلك على أن ابن الجزري لم يذكر من مصنفاته إلا ما له علاقة بالقراءات لتعلقه بالمرجم لهم في كتابه...».

قلت: هذا التعقيب على صحته دال على أنّ المحقق لم يعلم موضوعهما

عِلْمَ قَطْعٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَّهَ فِي ذَلِكَ إِلَى يَقِينٍ يَقَرُّ بِهِ نَفْسًا. وَلَوْ نَظَرَ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْقَرَاءَاتِ لَعَرَفَ أَنَّهُمَا عَلَى الْقَطْعِ مِنْ كُتُبِ الْقَرَاءَاتِ، وَأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ مَصَادِرِ بَعْضِ تِلْكَ الْكُتُبِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ مِثْلًا أَنَّ الدَّانِي فِي كِتَابِهِ (جَامِعَ الْبَيَانِ) ذَكَرَهُمَا مَرَارًا، وَأَفَادَ مِنْهُمَا، وَنَصَّ عَلَيْهِمَا نَصًّا^(٢٣). وَبِذَلِكَ يَسْقُطُ تَقْدِيرُ بَعْضِ الْبَاحِثِينَ اِحْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ (الْمَجْرَدُ) هُوَ الْمَخْتَصَرُ فِي النُّحُو^(٢٤).

وَرَبَّمَا كَانَ (الْمَجْرَدُ)، لَمَا يُوحِي بِهِ اسْمُهُ، فِرْعَاً مِنْ (الْجَامِعِ) أَخَذَهُ مِنْهُ فَهَذَبَهُ وَشَدَّبَهُ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُنَاسِبِ الْإِشَارَةُ، وَلَوْ اِحْتِمَالًا، إِلَى صِلَةِ مَا كَانَ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ^(٢٥) مِنْ أَنَّ لَابْنَ سَعْدَانَ كِتَابًا فِي الْقَرَاءَاتِ، وَصِفَ بِأَنَّهُ كَبِيرٌ، بِكِتَابِهِ (الْجَامِعِ). وَمِنْ هُنَا رَبَّمَا كَانَ (الْجَامِعِ) هُوَ مَا سَمَّاهُ النَّحَاسَ وَغَيْرُهُ (كِتَابِ الْقَرَاءَاتِ)^(٢٦).

- ذَكَرَ الْمُحَقِّقُ فِي كُتُبِ ابْنِ سَعْدَانَ (الْحُدُودِ)، وَأَنَّهُ فِي النُّحُو، مَعْتَمِدًا عَلَى مَا قَالَهُ النَّدِيمُ «لَهُ قِطْعَةٌ حُدُودٍ عَلَى مِثَالِ حُدُودِ الْفَرَّاءِ، لَا يَرِغِبُ النَّاسُ فِيهَا»، وَمَعْتَمِلًا بِأَنَّ حُدُودَ الْفَرَّاءِ كِتَابٌ نَحْوِيٌّ.

قُلْتُ: فَاتِ الْمُحَقِّقِ أَنْ يَذَكَرَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمْ يَنْصَ عَلَيْهِ مِمَّنْ تَرَجَمَ ابْنُ سَعْدَانَ مِنَ الْقَدَمَاءِ إِلَّا النَّدِيمُ وَالْقَفْطِيُّ؛ وَأَنَّ عِبَارَةَ النَّدِيمِ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ ابْنَ سَعْدَانَ لَمْ يُتَمِّمْهُ، فَكَانَ قِطْعَةً حُدُودٍ؛ وَأَنَّ انْتِفَاءَ رِغْبَةِ النَّاسِ فِيهَا رَبَّمَا

(٢٣) انظر: الداني، جامع البيان، ٢/ ٩١٢، ٣/ ٩٩٣، ١٠٥٢، ١١١٩، ١١٧٩، ١١٩٨، ١٢٩٢، ١٣٣٦، ٤/ ١٥٥٥، ١٦٧٧، ١٦٧٩.

(٢٤) انظر: ابن سعدان، الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، مقدمة المحقق: ص ٢٣.

(٢٥) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣/ ٢٧١، والقفطي، إنباه الرواة، ٣/ ١٤٠، والصفدي، الوافي بالوفيات، ٣/ ٧٨.

(٢٦) انظر مثلاً: النَّحَّاسَ، إعراب القرآن، ٢/ ٣٤١، والقفطي، إنباه الرواة، ٣/ ١٤٠.

أخمل ذكرها، فلم يكن لها اشتها، حتى غاب أمرها عن معظم مترجميه؛ وأن هذا الكتاب ربّما كان موصولاً بأصول النحو صلةً يزكيها العنوان (الحدود)، وقولُ الزبيديّ فيما نقله ابن قاضي شُهبة من طبقاته، وليس في المطبوع منها: «له كتب في النحو مفيدة، منها كتاب في أصول النحو، وكتاب الموجز، مختصر في النحو»^(٢٧).

- ذكر المحقّق في مصنّفات ابن سعدان (مختصر النحو)، ونصّ على أنّ أكثر المصادر ذكرت أنّ له كتاباً في النحو، ولم تسمّه.

قلت: فات المحقّق أنّ لابن سعدان كما نصّ القاضي التنوخيّ المفضّل ابن محمّد بن مسعر^(٢٨) كتاباً كبيراً في النحو فواتاً جعله يظنّ أنّ كلّ ما كان في المصادر من كلام عن كتاب لابن سعدان في النحو موصولاً بهذا الكتاب (مختصر النحو). والذي أراه أنّ الموصول بهذا الكتاب من كلام تلك المصادر ما كان مبيّناً على التصريح بعنوانه أو صفته: مختصر النحو، أو مختصر في النحو، أو مختصر صغير؛ وأنّ ما خلا من التصريح بذلك، وجرى على الإجمال، فكانت عبارته: كتاب في النحو، أو كتاب مصنّف في النحو، يحتمل اتّصاله بالكتاب الآخر كما يحتمل اتّصاله بالمختصر؛ إلاّ أن يجتمع الأمران في موضع واحد، فينصرف الإجمال إلى الكتاب الكبير؛ ففي كلام القفطي مثلاً: «وله كتاب مصنّف في النحو،... ومن تصنيفه:... كتاب مختصر النحو»^(٢٩) ينبغي أن يُصرّف قوله «كتاب مصنّف في النحو» بإزاء قوله «كتاب مختصر النحو» إلى الكتاب الكبير.

(٢٧) ابن قاضي شُهبة، طبقات النحاة واللغويين، ١١٧.

(٢٨) القاضي التنوخيّ، تاريخ العلماء النحويين، ص ١٨٥.

(٢٩) القفطيّ، إنباه الرواة، ٣/ ١٤٠.

وكان على المحقق أن ينبّه على أنّ قولَ بعض العلماء في هذا الكتاب: مختصر في النحو، أو مختصر صغير، هو من قبيل الوصف لا التسمية. ومما يجب التنبيه عليه هنا ما فات المحقق من أنّ لهذا المختصر عنواناً آخر صرّح به الزبيديّ فيما نقله ابن قاضي شُهبة من طبقاته، وليس في المطبوع منها: «كتاب الموجز، مختصر في النحو». ومن الواضح أنّ عبارة «مختصر في النحو» وصف لما كان له (الموجز) عنواناً أو اسماً.

- ختم المحققُ مصنّفات ابن سعدان بكتابه (الوقف والابتداء)، اكتفى باسمه، ولم يزد عليه بشيء.

قلت: كان من المفيد أن يبيّن المحقق أنّ هذا الكتاب يُعنى بالوقف والابتداء في القرآن؛ لدفع ما قد يخطر ببال القارئ من الوقف والابتداء بمعناهما الصرفيّ. ويؤكد ذلك أنّ الكتاب طُبِع بعنوان (الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ) كما ورد في نسخته الخطيّة التي اعتُمدت في ذلك، سنة ٢٠٠٢، أي قبل أن يُطبع المختصر بثلاث سنوات. ولعلّ قرب الزمن بين طبع الكتابين حال دون أن يقف محققُ (المختصر) عليه، وأن يفيد منه تصحيحاً واستدراكاً، ولا سيّما في قسم الدراسة.

وهذا الكتاب كما بيّن محققه وشارحه أ. محمّد خليل الزروق أقدم ما وُجد من كتب الوقف والابتداء، وأنّه كان من مآخذ ابن الأنباري في كتابه (إيضاح الوقف والابتداء)^(٣٠).

- فاتَ المحققُ من مصنّفات ابن سعدان ما نصّ عليه القاضي التنوخيّ

(٣٠) انظر: ابن سعدان، الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، مقدّمة المحقق: ص ٥،

(ت ٤٤٢ هـ)، إذ قال: «له كتابٌ كبير في النحو، ومختصر صغير»^(٣١). وهو ما ربّما ذكره الخطيب في تاريخه، والقفطي بإزاء ما ذكره عن المختصر، بعبارة «كتاب مصنّف في النحو»، والصفدي بقوله: «كتاب في النحو». وبذلك يكون لابن سعدان ثلاثة كتب في النحو، لا كتابان كما قال المحقّق [ص ٢٦].

وربّما كان هذا الكتابُ هو الذي اختصره أبو العلاء المعريّ من كتب ابن سعدان لولد كاتبه أبي الفتح محمد بن عليّ بن أبي هاشم في (المختصر الفتحّي) كما نصّ على ذلك غير واحد^(٣٢)، لا كتاب (القراءات) كما قدّر المحقّق [ص ٢٠]؛ لا اشتغال أبي العلاء تأليفاً وتصنيفاً بالأدب والعربيّة وعلومهما، وفي مصنّفاته ما يدلّ على صلته بشرح بعض كتب النحو والتعليق عليها، وليس فيها ما له صلة بالقراءات تصنيفاً أو شرحاً واختصاراً.

* النصّ المحقّق:

- أقام المحقّق النصّ الذي حقّقه على وجهه، فكان خلواً من التصحيف والتحريف والسقط وأخطاء الضبط والرسم، ومخالفة أصول التحقيق في الغالب.

وتقييد ذلك أو بعضه بـ«الغالب» واجب؛ لما بدا لي فيه من ملاحظات ينبغي التنبيه عليها هنا.

- حرّف بعض من اطّلع على المخطوطة بعض ما في (باب تقديم فعل جميع المؤنث) [ص ٤٤] تحريفاً مصدره الوهم والخطأ في تفسير الكلام: اطّلع على قول ابن سعدان: «باب تقديم فعل جميع المؤنث: واعلم أنّ فعل

(٣١) القاضي التنوخيّ، تاريخ العلماء النحويّين، ص ١٨٥.

(٣٢) انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١/٣٣٢، والقفطي، إنباه الرواة، ١/٩٩.

جميع المؤنث إذا تقدّم وُحِدَ وُذُكِرَ. تقول: قامت أختك، وقامت أختاك، وللجميع: قام أخواتك. ذكّرتَ الفعل؛ لأنّ فعل جميع المؤنث إذا تقدّم ذُكِّرَ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠] «فظنّ أن «جميع» في هذا الكلام يُراد به كلّ ما كان مؤنثاً من مفرد ومثنى وجمع؛ وكان من أثر ذلك الظنّ أن حذَفَ من الأصل بالحكّ تاء التانيث في الفعل «قامت» ليناسب ما ورد في الكلام من أفراد الفعل المتقدّم وتذكيره، فأصبح الكلام بعد ذلك: «... تقول: قام أختك، وقام أختاك،...»، وعليه جرى النصّ المحقّق.

وهذا وهمّ محض؛ فلفظ «جميع» في كلام ابن سعدان يُراد به الجمع لا غير، وهو أحد ما عبّر به علماء العربيّة من مصطلحات عن الجمع، وعليه جرت عبارة ابن سعدان غالباً، ولم يستعمل مصطلح الجمع إلّا في موضعين^(٣٣)، وهو ما كان يحسن بالمحقّق أن ينبّه عليه في موضعه المناسب.

ويؤكّد ذلك الشاهد الذي استدلّ به ابن سعدان لقوله، وهو قوله تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾.

وقد لاحظ المحقّق ذلك التغيّر الناجم عن حكّ التاء من الأصل، وتبّه عليه في الحاشية ثمة. لكنّه ترك النصّ على ما عابه به ذلك المحرّف، وقبله ولم يتحفّظ منه، ورضي به رضياً يدلُّك عليه أنّه علّق على ما آل إليه الكلام في النصّ تعليق الموقن بصحّة التغيّر، ورأى أنّ تذكير الفعل إذا تقدّم مع المفرد والمشى والجمع مذهب كوفيّ، وأشار إلى أن ابن سعدان انفرد بذلك دون غيره.

قال: «أجاز البصريّون تذكيرَ الفعل مع جمع الإناث، وقصره بعضهم

(٣٣) انظر في المصطلح الأول مثلاً: ابن سعدان، مختصر النحو، ص ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٥٣،

٨٠، ٩٧، وفي المصطلح الثاني منه ص ٩٨، ١٠٠.

على جمع التفسير دون الجمع السالم. وأما تذكير الفعل مع المفرد المؤنث فلم يجيزوه في الفصيح إلا مع (نعم) و (بئس)..... وجاء في بعض المصادر أن بعضهم قال بجواز تذكير الفعل مع المفرد المؤنث دون تسمية القائل. ويبدو ممّا قاله المؤلف هنا أنّه رأي كوفيّ يجيز تذكير الفعل مع المؤنث المفرد والمثنى والجمع، ولم أعثر على قائل بهذا الإطلاق فيما اطّلت عليه من المصادر....».

وهذا الاستنتاج أو التقدير الذي انتهى إليه المحقق وهم بعيد من الصواب، مصدره دون شكّ متابعة ما كان في النصّ من تحريف حكّ، دون نظر أو تدبّر.

- خالف المحقق في مواضع معدودة ما بات معروفاً في التحقيق من مراعاة قواعد الكتابة والإملاء المتعارفة؛ فرسم بعض الكلمات على خلاف ما اتفق العلماء عليه رسماً. فمن ذلك أنّه كتب «لئلا» منفصلة في قول ابن سعدان [ص ٥٢]: «وتقول: أتيتك لأن لا تجد عليّ»؛ وعلّق على ذلك ثمّة في الحاشية بقوله: «كذا»، وقال الصولي في أدب الكتاب ص ٢٥٩: «وكتبوا (لئلا) موصولة، وهي (لأن لا) فجعلوها كالشيء الواحد». فهي هنا على الأصل فيها». اهـ.

وبذلك خالف المحقق ما عليه العلماء من كتابة «لئلا» موصولة. قال ابن الدهان مثلاً: «وكتبوا لئلاً حرفاً واحداً، وهو ثلاثة أحرف: اللام التي بمعنى كي، و(أن) المصدرية، و(لا) النافية. وإنما كان كذلك لأن اللام لا تقوم بنفسها، فوصلت ب(أن)، و(أن) هنا ناصبة، فوصلت ب(لا)»^(٣٤).

ثمّ كيف له أن يترك الكلمة «لأن لا» على ما هي عليه في الأصل، وكلام

(٣٤) ابن الدهان، باب الهجاء ص ٢٥.

الصولي الذي ساقه ثمة يدعو إلى الوصل، وتركها مفصولة كما وردت في المخطوطة ليس فيه فضيلة تدعو إلى الحفاظ على ما كان في الأصل؟! ومن ذلك أنه فصل «ما» في رسم اسمي الشرط «أينما» و«كيفما» في (باب الشرط والجزاء)، خلافاً لما نصّ عليه العلماء من وصل «ما» بهما^(٣٥).
- ورد في (باب الحكاية): «فإن قال قائل: هلاً حكيته؟ فقل: بطلت الحكاية لمجيء الواو». اهـ.

وعلامة الاستفهام (؟) بعد «هلاً حكيته» خطأ يدلّ على خطأ في فهم الكلام وتفسيره؛ لأنّ «هلاً» حرف تحضيض وحثّ، وعلى ذلك يدلّ الكلام في النصّ بسياقه، لا حرف استفهام.

- ختم ابن سعدان (باب النسبة) بقوله: «وإذا نسبوا إلى (حمراء) قالوا: حمراويّ، وإلى (أصفر): صُفْرِيّ».

وهذا فيه ما يدعو إلى النظر؛ لأن قواعد النسبة تقتضي كما هو معروف أن يكون الاسم المنسوب إلى الصفة أصفر هو «أصفريّ» بزيادة ياء النسبة. ومن ثمّ كان ينبغي أن يذكر المحقق الصواب في المتن، وينبّه في الحاشية على ما كان في الأصل، لكنّه ترك الأصل على ما كان عليه، وعلّق في الحاشية تعليقاً موصولاً بكلمة أخرى غير وجهة المتن، وخلع الصواب على ذلك الوجه المذكور في المتن، الذي شابه التخليط والوهم، إلّا أن يكون في الكلام سقط يحسن تقديره ليصحّ به الكلام ويستقيم.

قال المحقق في الحاشية: «الأصل: بفتح الصاد ولا وجه له. والصفريّ واحد الصفريّة، وهم جماعة من الخوارج. قال المبرد في الكامل ١٢٣٣:

(٣٥) انظر مثلاً: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٥ - ٢٣٧، والرضي، شرح الشافية،

«فأما قولهم: صُفِرِي فَإِنَّمَا أَرَادُوا الصُّفْرَ الْأَلْوَانَ، فَنَسَبُوا إِلَى الْجَمَاعَةِ... ولم يقولوا: (أصْفِرِي) فَيُنْسَبُ إِلَى وَاحِدِهَا، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الصُّفْرَ اسْمًا لِلوَاحِدِ، كَمَا تُسَمَّى الْقَبِيلَةُ بِالِاسْمِ الْوَاحِدِ»....».

- وقع في المخطوطة في ختام (باب الجواب فيما لم يُسَمَّ فاعله): «وإذا قيل: ما اسمك؟ فقل: محمَّدٌ؛ تريد: اسمي محمَّدٌ». كما تَبَّه المحقِّق في [الحاشية ٢١٦ ص ١٠٣]. وهو غريب عن الباب، فقدَّر المحقِّق أَنَّهُ مِنْ (باب الجواب بكم)، فنقله إليه، وجعله بين قوسين []، وعلَّق على ذلك في تلك الحاشية بقوله: «... ونقلته إلى هنا لمناسبته للكلام في هذا الباب. ولعلَّه كان في هامش الباب فأدخل في المتن في غير موضعه المناسب».

قلت: وهو غريب عن (باب الجواب بكم)؛ لأنَّ الباب يتناول الجواب عمَّا كان السؤال عنه بـ«كم»، وهو ليس منه. والمناسب في تقديري أن يكون [ص ١٠٢] في (باب جواب الكلام)، فهو منه، وبه ألصق؛ لأنَّ الجواب فيه يكون عمَّا سُئِلَ عنه بـ«مَنْ» و«ما».

* التعليقات:

حاول المحقِّق كما ذكر في بيان منهجه في التحقيق [ص ٢٨] تحرير النصِّ، معتمداً على ما وصل إلينا من كتب الكوفيين، يُفيد منها بما يوضِّح عبارة المخطوط أو يتممها؛ وسعى إلى تعيين ما كان في الكتاب من مسائل خلاف بين البصريين والكوفيين، يخرجها من كتب الخلاف وبعض كتب الفريقين؛ فكان من أمره أن يعلِّق على ما يقدر الحاجة فيه من النصِّ إلى تعليق، يحرِّر به عبارة أو مصطلحاً أو رأياً، أو مسألة من مسائل الخلاف، أو رسم كلمة هنا وهناك؛ أو ينبِّه به على ما ندَّ في النصِّ عن الجادة أو ما شابته منه شائبة، من تمثيل أو استدلال أو إحكام عبارة،.... وكان المحقِّق حريصاً

على بيان علاقة كلام ابن سعدان رأياً أو حكماً أو مصطلحاً بالمذهب الكوفيّ اتّصلاً أو انفصلاً، والتنبيه على ما يدلّ عليه النصّ من خلاف بين المذهبين الكوفيّ والبصريّ. وقد كان لاعتناء المحقّق بالمذهب الكوفيّ والخلاف بين المذهبين أثرٌ طاعٍ دفعه أحياناً إلى حشو بعض التعليقات بشيء موصول بذلك، وإن لم يُشعر به النصّ؛ أو جعل نفسه توسوس له بتفسير بعض كلام ابن سعدان وجوداً أو عدماً تفسيراً موصولاً بذلك المذهب، أو ذلك الخلاف، وإن لم يكن فيه بيّنة أو دليل ظاهر عليه.

ففي التعليق على قول ابن سعدان في (باب تقديم الفعل وتأخيره): «وتقول في تأخير الفعل: زيدٌ قام، والزيدان قاما، والزيدون قاموا. ثبّت (قام) وجمعه لأنّه متأخّر». قال المحقّق في الحاشية: «نُسب إلى الكوفيّين أنّهم أجازوا توحيد الفعل المسند إلى مثني أو جمع، فيقال: الزيدان قام، والزيدون قام. انظر الارتشاف (١٧٩/٢) والمصنّف هنا - وهو من متقدّمهم - لا يجيز ذلك». اهـ.

فالمحقّق إذ نسب هاهنا إلى ابن سعدان منَع توحيد الفعل المسند إلى مثني أو جمع، وأنّه خالف الكوفيّين بذلك = كان يحمّل كلام ابن سعدان ما لا يحتمل، ويُنطقه بما لا يدلّ عليه، ولو إشارة؛ لأنّ إهمال الشيء، ولو قصداً، ليس دليل منَع أو نفي وإنكار، ما لم يؤيّد دليل أو بيّنة واضحة.

- قال ابن سعدان في (باب حتى): «واعلم أنّ لك في (حتى) قولين: إن شئت رددت ما بعدها على ما قبلها. وإن شئت خفضت. تقول: لقيتُ القومَ كلّهم حتى زيدا، وحتى زيدٍ. فمن نصب (زيداً) أراد: لقيتُ القومَ كلّهم حتى لقيتُ زيدا. ومن خفض (زيداً) أراد: لقيتُ القومَ كلّهم حتى انتهيت إلى زيد. وكذلك: أتاني القومُ كلّهم حتى أبوك، وحتى أهلك...».

وقد علّق المحقق على ذلك بحاشيتين، بيّن في الأولى أنّ المصنّف يريد من قوله: «رددت ما بعدها على ما قبلها» مطلق الإتيان لا العطف، معتمداً على ما كان في كلام المصنّف من تقدير؛ وقال في الثانية: «تقديره فعلاً مضمراً يوافق ما جاء عن الكوفيين من أنّهم لا يجعلون «حتى» حرف عطف، وإنما يعربون ما بعدها بإضمار العامل. وأمّا جعلها عاطفة فهو قول البصريين...».

وفي ذلك عند التحقيق نظر من وجهين:

١- فحصّ عبارة ابن سعدان «إن شئت رددت ما بعدها على ما قبلها»، في ضوء ما اتّصل بهذا الوجه من أمثله، بما فيها من مطابقة ما بعد «حتى» لما قبلها في الحالة الإعرابية (القوم = زيداً - القوم = أبوك)، يدلنا على أنّه أراد ضرباً معيّنًا من ضروب الإتيان بمعناه النحويّ، لا الإتيان بمعناه اللغويّ. ولو عرضت ضروب الإتيان على هذه الأمثلة لانتفت جميعاً معنى وصناعة إلاّ العطف، ولانتهت بأخرة إلى أن مراد ابن سعدان العطف، فهو المناسب من حيث المعنى والصناعة، لا مطلق الإتيان. والتعبير عن العطف بـ «الردّ» وتصريفاته مصطلحٌ كوفيّ، استخدمه الفراء في مواضع من كلامه^(٣٦).

٢- تقدير ابن سعدان «أراد: لقيت القوم كلّهم حتى لقيت زيداً» تقديرٌ معنّى أراد منه تقريب المراد، لا تقدير صناعة، فلا يُبنى عليه أنّ المصنّف يقول بما نُسب إلى الكوفيين من إنكار مجيء «حتى» عاطفة؛ وانصرافهم إلى تقدير عامل يعمل فيما بعدها، وهو ما سعى إليه المحقق في تعليقه سعيًا.

ولو جاز للمحقق أن يحمل تقدير ابن سعدان ذلك على ذلك لجاز لغيره أن يحمل تقدير ابن سعدان لما كانت فيه «حتى» جازّة في قوله: «أراد: لقيت القوم كلّهم حتى انتهت إلى زيد» = على أنّ ابن سعدان يُنكر وقوع «حتى»

(٣٦) انظر مثلاً: الفراء، معاني القرآن: ١/٣١٣، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٨٦، ٥٨/٢، ٦٧، ٧١.

جازة، وأن الجارّ عنده «إلى» مقدّرة تليها. وهذا ما لا يرضاه أحد. ومن ثمّ ينبغي أن يسلم المرء أنّ «حتى» تقع عاطفة عند ابن سعدان، وأنّه لم ينكر ذلك، خلافاً لما نسب إلى الكوفيّين، إن صحّت تلك النسبة على إطلاقها.

- كان من خطأ المحقّق في الحكم والتقدير إذا افتقر إلى ما يفسّر به بعض ما يعرض له في النصّ المحقّق أو يستدلّ له، من رسم أو حكم، صحّ منه البحث فيه أو تسرّع فيه واستعجل = أن يلجأ إلى تقدير أن يكون ذلك الشيء من خواصّ الكوفيّين رسماً أو حكماً ورأياً. وهذا شيءٌ عرّضَ لي، من ذلك:

- علّق المحقّق [ص ٨٥] في الحاشية على كتابة «إلا» وصلاً بقوله: «كذا، ويريد: إنّ لا. ولم أجد من أجاز إدغام (إنّ) الشرطيّة في (لا) رسماً، وهذا يرد في (أنّ) الناصبة والمخفّفة، فلعلّ ما في الأصل من رسم الكوفيّين. وقد وجدتها برسم الأصل في التعليقة (١ / ١٧٤) واللسان (حظاً). انظر أدب الكتاب للصولي ص ١٥٨، وشرح الجمل لابن عصفور (٢ / ٣٥٠)». ١ هـ.

قلت: وصل «إنّ» الشرطيّة بـ«لا» رسماً ممّا نصّ عليه غير واحد من العلماء. قال ابن قتيبة مثلاً: «وتكتب: «إلا تفعل كذا يكن كذا» فلا تُظهر «إنّ»^(٣٧).

ووصل «أنّ» الناصبة والمخفّفة رسماً بـ«لا» ممّا تناوله العلماء، وقالوا فيه رأيهم، وكان لهم فيه خلاف ومذاهب؛ فمنهم من رأى الوصل إن كانت «أنّ» ناصبة للفعل نحو: «أردت ألا تفعل ذلك»، والفصل إن كانت مخفّفة من الثقلية نحو: «علمت أن لا خير عنده»، وبه قال ابن قتيبة وابن الدهان، واختاره ابن

(٣٧) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٣٩. وانظر: الرضي، شرح الشافية، ٣/٣٢٦، والسيوطي، الهمع ٣/٤٧٣.

السَّيِّد؛ ومنهم من فصل إذا أدغم بغنة، ووصل إذا أدغم بغير غنة؛ ومنهم من قال بالفصل مطلقاً، وآثره الصولي، وصحَّحه ابن عصفور وأبو حيَّان^(٣٨).

ومن الغريب أن ينفي المحقق في تعليقه وجدان من أجاز إدغام «أن» الناصبة بـ«لا» رسماً، وقد ورد ذلك في المصدرين اللذين أحال عليهما: أدب الكتاب للصولي، وشرح الجمل لابن عصفور!

ثم لو سلّم المرء بما نصَّ عليه المحقق من ذلك النفي، لما لزم منه ما استنتجه وقدّره من كون ذلك الرسم «إلاً» في الأصل من رسم الكوفيين؛ لأنّ ذلك في المخطوطة من رسم الناسخ أبي بكر محمّد بن عبد الصمد الكشمريّ، الذي لا يُعلم من أمره ما يدعو إلى وسم رسمه بالكوفيّ، لا من رسم المصنّف ابن سعدان الكوفيّ الضرير. على أنّ سياق المحقق تقديره ذاك مصدرّاً بـ«لعلّ» سياقةً من ينأى بنفسه عن الجزم، ليس شفيحاً له من الدفع والاعتراض.

- وإذا كانت في نفس المحقق نزعة قويّة تشدّه في بعض تعليقاته هنا وهناك إلى إلحاق ابن سعدان بالكوفيين بما اشتهر من آرائهم أو نسب إليهم؛ فإنّ ممّا يحلو له حيناً في بعض تعليقاته أن يُريح تلك النزعة، ويشدّ عن ذلك، ويحمل ابن سعدان على مخالفة الكوفيين في تلك الآراء، وإن لم يكن في كلامه ما يدعو إلى ذلك من دليل واضح أو بيّنة ظاهرة. وهذا شيء مما بدا في تعليقاته:

- قال ابن سعدان [ص ٦٨] في نداء العلم المفرد: «وإذا دعوت اسماً

(٣٨) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٣٩، وابن الدهان، باب الهجاء ٢٤، والصولي، أدب الكتاب ص ٢٥٨، وابن عصفور، شرح الجمل، ٤٩٥/٢، والرضي، شرح الشافية، ٣/٣٢٦، والسيوطي، الهمع ٣/٤٧٣.

مفرداً فارفعه ولا تنوّنه. تقول: يا زيدُ أقبِلْ، رفعتَ لأنّه مفرد...».

وقد علّق المحقّق على ذلك، فنبّه على خلاف الكوفيّين والبصريّين في ذلك، ثمّ قال: «إلا أن الأمر هنا لا يتيسّر القطع به لما سلفت الإشارة إليه من أنّ الكوفيّين لا يميّزون ألقاب الإعراب من ألقاب البناء، ولكن قوله: «فارفعه ولا تنوّن» يرجّح فيه أنّه يريد البناء، وعليه يكون المصنّف موافقاً لقول الفراء...». اهـ.

وما قاله المحقّق هنا من أنّ قول المصنّف «فارفعه ولا تنوّن» يرجّح إرادته البناء في نداء المفرد العلم، وموافقته في ذلك قول الفراء = تحكّم؛ لأنّ ترك التنوين من تمام البناء، ومن طبيعة المبنيّ؛ فإذا نُونَ فلا مَرِّ ما، وما كان جارياً على الأصل، فلا يُنبّه عليه، بل يُنبّه على ما كان خلاف الأصل، فما كان الأصل فيه أن يُنوّن، وهو المعرب، ثمّ ترك تنوينه، أحوج إلى التنبيه عليه بمثل ذلك القيد.

ومن ثمّ كان رأيي ابن سعدان في المنادى المفرد العلم جارياً على مذهب جمهور الكوفيّين أنّه معرب.

ومثل هذا يصدق في تعقّب ما قاله المحقّق تعليقياً في (باب التبرئة): قال المصنّف: «واعلم أن لا في التبرئة تنصب النكرة بغير تنوين».

فقال المحقّق: «لعله يريد البناء استثناساً بقوله: بلا تنوين، وكذا قد يفهم قول الفراء في معانيه...».

- قال ابن سعدان في (باب الشرط والجزاء): «إذا جئت بفعل لا يصلح للجزاء فأضمر له (يكن). تقول: إنّ عبدُ الله سائراً أسرُ معه؛ تريد: إنّ يكن عبدُ الله، رفعت (عبد الله) بـ (يكن) ونصبت (سائراً) خبراً لـ (يكن)، وجزمت (أسر) لأنّه جزء».

ومن الواضح أنّ مراد المصنّف الذي بيّنه المثال ويدلّ عليه دلالة قاطعة، بما يصحبه من تفسير؛ أنّ وقوع الاسم المرفوع بعد الشرط يقتضي أن تقدّر له فعلاً من جنس ما بعده، إن صلح ما بعده أن يكون جزءاً كالفعل، فإن كان الذي بعده اسم فاعل كـ «سائراً» في المثال، وهو المعنيّ بلفظ «فعل» في كلام ابن سعدان، ومثله لا يصلح للجزاء؛ أضمر له الفعل «يكن»، وكان اسم الفاعل خبراً له.

لكنّ ذلك على وضوحه اعتاص على المحقّق وفهم منه ما لا دليل عليه، إذ علّق فقال: «عندما يلي (إن) اسمٌ اشترط المصنّف لتقدير فعل الشرط المضمّر أن يكون الفعل المذكور غير صالح للجزاء، وهذا يفضي إلى أنّه إذا صلح فلا حاجة لإضمار غيره. وهذا موافق لقول الكوفيين في مثل (إن امرؤ هلك) إنّ فعل الشرط هو المذكور، فلا يقدّرون غيره، في حين يذهب البصريّون إلى أنّه محذوف يفسّره المذكور...» اهـ.

هكذا قال، فخلط وأغرب في التأويل. فكيف له أن يفسّر كلمة «فعل» في كلام ابن سعدان هنا بالفعل المعهود، وهو يريد اسم الفاعل إرادةً يقطع بها المثال والتعليق؟ وكيف يستقيم له ذلك، وقد فسّرها المحقّق قبل ذلك في تلك الصفحة بقوله: «يريد اسم الفاعل على مصطلح الكوفيين»؟! ثمّ كيف يرتّب على ذلك اقتضاء أنّه إذا كان الفعل بعد ذلك الاسم التالي «إن» صالحاً للجزاء، فلا حاجة إلى إضمار غيره، وأنّ هذا موافق لقول الكوفيين: إنّ فعل الشرط هو المذكور، فلا يقدّرون غيره، خلافاً لما يذهب إليه البصريّون من أنّه محذوف يفسّره المذكور، وهو ما لا يقتضيه كلام ابن سعدان؟ ثمّ كيف يُطمأنّ إلى هذا الاستنتاج، وهو مبنيٌّ على سهو وغفلة في تفسير مصطلح «فعل»؟

على أن مقتضى قوله «فلا حاجة إلى إضمار غيره» ومفهومه أن يُضمَر هذا الفعل نفسه بعد «إن» لا غيره. وإذا كان ذلك كذلك كان جارياً على خلاف ما نُسب في تعليق المحقق إلى الكوفيّين من أن الفعل المذكور بعد الاسم المرفوع هو فعل الشرط، فلا يُقدِّرون فعلاً.

- علّق المحقق على رسم «إذا» في (باب إذن) الذي رُسمت فيه «إذن» تارة بالألف، وكان ذلك أربع مرّات، وتارة بالنون، وكان ذلك أربع مرّات، فقال: «... ولولا موضع واحد في الباب لأمكن القول إن الكوفيّين يقفون بالنون»!

فأين هذا الحكم من الواقع الذي وصفته كما رأيته في النصّ الذي حافظ فيه المحقق على رسم الناسخ في المخطوطة؟ على أن الرسم في المخطوطة هنا لا يدلّ على مذهب بعينه؛ لأنّ الناسخ لا يُعلّم من أمره ما يدلّ على ذلك.

- جمع ابن سعدان مصطلح القطع والحال في عبارة واحدة في (باب القطع) إذ قال: «فانصب النعت على القطع والحال». وكان يحسن بالمحقق أن ينبّه على ذلك في تعليقاته التي علّق بها ثمّة، وأن يبيّن أن ابن سعدان لم يستعمل مصطلح «الحال» في كلامه إلّا في هذا الموضوع، وأن يُبين، ولو بالسؤال، عن دلالة الجمع بين اللفظين في عبارته: هل كان جمّع توضيح وتفسير، أم كان جمعاً دالاً على اختلاف بين القطع والحال عند ابن سعدان؟ وهل كانت حاله في ذلك كحال الفراء الذي يُشعر بعض كلامه باختلاف القطع عن الحال بعض الاختلاف^(٣٩)، وأنهما لا يصلان إلى حدّ المطابقة؟ ومثّل ذلك يُعدّ مدخلاً مناسباً يدخل منه المحقق إلى تحقيق ما علّق به ثمّة في قوله في الحاشية: «ويبدو ممّا حكاه ابن الأنباري في شرح القصائد ص ٢٤ عن الفراء أن دلالة القطع لم يكن متّفقاً عليها».

(٣٩) انظر مثلاً: الفراء، معاني القرآن، ١/٣٠٩، ٢/٤٢٥.

وقد تناول أبو حيان ذلك، ونصّ على ما كان عند الفراء من اختلاف بين الحال والقطع، وما كان عليه حال القطع من اختلاف بين الفراء و سائر الكوفيّين. وهو ما كان ينبغي أن يطلع عليه المحقّق، ولو كان ذلك لقطع الشكّ باليقين. فقد ذكر أبو حيان في كتابه (منهج السالك) مثلاً أنّ الحال عند الفراء لا تكون إلّا مبنية، فلا بدّ فيها من تجدد فائدة نحو: «عبد الله في الدار قائماً»، وأنّ المنصوب على القطع يراد به التأكيد، ويدلّ عليه ما قبله نحو: «عبد الله على الفرس راكباً»، ويجوز أن يكون في نحو: «قام زيد ظريفاً» إذا كان «زيد» لا يُعرف إلّا بالظريف. وذكر أنّ النصب على القطع عند غير الفراء من الكوفيّين يجوز حيث يراد التأكيد، وحيث لا يراد^(٤٠).

- استعمل ابن سعدان في كلامه مصطلح «الفعل» لغير معنى الفعل المعهود سبعاً وثلاثين مرّة، يريد به اسمَ الفاعل أو ما كان نحوه كالصفة المشبّهة بالفاعل [ص ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧، ٨٢، ٨٧]. وقد تبه المحقّق معلقاً [ص ٥٦] حيث ورد أوّل مرّة أنّه «يريد اسم الفاعل خاصّة أو المشتقّ عامّة، وهذا مصطلح كوفيّ، وقد يوصف بالدائم...»؛ وظهر له في الموضع الثاني [ص ٥٨] حيث اقترن في (باب ظنّ) بالمفعول الثاني لـ «ظنّ» وأخواتها، «أنّه يريد به الخبر، لأنّه سيسميه قريباً خبراً للظنّ».

وفي بعض ما علّق به المحقّق في هذين الموضعين نظر. ففي قوله: «أو المشتقّ عامّة» إطلاقٌ لا يناسب الواقع، فمراد ابن سعدان كما يدلّ كلامه بسياقه، وما اكتنفه من تبين وتفسير وتمثيل، مقيّدٌ باسم الفاعل وما كان نحوه كالصفة المشبّهة لا غير.

والذي ظهر للمحقّق في (باب ظنّ) من أنّه أراد بـ «الفعل» الخبر، رأيي

(٤٠) أبو حيان الأندلسي، منهج السالك، ١/ ١٨١-١٨٢.

لا يستند إلى دليل قاطع أو راجح. والنظرة الكليّة في كلام ابن سعدان في تلك المواضع العشرة التي ورد فيها هذا المصطلح سبعاً وثلاثين مرّة تدلّنا على أنّه كان يريد منه المفهوم الصرفيّ، ذلك النوع المعيّن من المشتقات: اسم الفاعل و ما إليه، ولم يعبر عن حالة إعرابيّة.

ولو أراد منه ذلك في رأيي لقيده تقييداً يدلّ على تلك الحالة، ولقال مثلاً في نحو: «ظننت عبد الله عالماً»: ونصبت «عالماً» لأنّه فعل للظنّ؛ كما قال في «عبد الله» نُصِبَ لأنّه اسم للظنّ. دليلي على ذلك أنّ ابن سعدان استعمل مصطلح «فعل» في موضعين آخرين غير تلك المواضع، استعمالاً بعيداً عن استعمال ذلك المصطلح الأوّل «الفعل»، أراد به الدلالة على حالة إعرابيّة فقط، وهو ممّا فات المحقّق التنبّه عليه؛ فقال في (باب ما لم يُسمّ فاعله): «تقول: أُعطي عبدُ الله دينارين. نصبت (الدينارين)، جعلتهما فعل ما لم يُسمّ فاعله». يريد بذلك المفعول.

وقال في (باب الجواب فيما لم يُسمّ فاعله): «وإذا قال: كم ضُرب عبد الله؟ فقل: سوطين، نصبت لأنهما فعل ما لم يُسمّ فاعله». يريد به النيابة عن المصدر، أو كأنّه ظنّ فيه المفعوليّة.

- كان من كلام ابن سعدان في (باب الاستثناء) أن بيّن حكم «إلا»: أن يُنصب بها في الخبر (الإثبات)، ويُتبع ما قبلها في الجحد (النفي). وكان ممّا قاله فيها جحداً: «وتقول في الجحد: ما لقيت أحداً إلاّ زيداً، نصبت (زيداً) ردّاً على (أحد)..» وتقول: ما سار أحد إلاّ زيداً، رفعت (زيداً) ردّاً على (أحد). وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣].

وقد علّق المحقّق ثمة على قول ابن سعدان من النصب بـ «إلا» خبراً،

والإتباع جحداً، بما فيه نظر.

قال: «... ومن جانب آخر فإنّ عبارته تقبل الحمل على القولين في العامل الناصب للمستثنى: أحدهما - وهو للكوفيين - أنّ الناصب هي «إلا». والآخر - وهو للفراء ومن تابعه - أنّ «إلا» مركبة من «إن» و«لا» فنصبوا بها اعتباراً بـ «إن»....».

وفي نسبة القول الثاني إلى الفراء نظر؛ فهو خلاف ما كان عليه كلامه في كتابه (معاني القرآن). وقد نظر بعض الباحثين فيه، فوجده يقول بتركيب «إلا» من «إن» النافية(*) و«لا» العاطفة، وأنكر بذلك أن يكون ناصب المستثنى عنده «إن» المركبة مع «لا» كما نسب إليه^(٤١).

وقال المحقق يعلّق على ما قاله ابن سعدان عن الإتياع: «اقتصر على الإتياع في النفي في حين أنّ الفراء أثبت في معانيه (١/١٦٦ - ١٦٨) جواز الإتياع والنصب على الاستثناء...».

وفي هذه العبارة ما يوهم بخلاف الواقع من وجهين؛ فهي توهم بأنّ الحكم بجواز النصب على الاستثناء مذهب الفراء لا غير، وأنّه يجيز ذلك على إطلاقه. والصحيح أنّ النصب على الاستثناء إذا كان الاستثناء تاماً منفياً متصلاً جائز فصيح، حكاه سيبويه لغة لبعض العرب، ورأى بعض النحاة أنّ النصب هو الوجه؛ وشرط الفراء لجواز النصب أن يكون المستثنى منه معرفة^(٤٢). والأمثلة التي ساقها ابن سعدان لم تجرِ على شرط الفراء، فلا

(*) نصّ ابن يعيش وغيره على أنّ الفراء يرى أنّ «إلا» مركبة من «إن» التي تنصب الأسماء، انظر شرح المفصل: ٣/١٨٧ والمصادر في حاشيته. [المجلة].

(٤١) د. حمدي الجبالي، ما تعدد فيه النقل عن الفراء في ضوء معاني القرآن، ص ٢٥-٢٦. وكلام الفراء الذي استند إليه الباحث في كتابه (معاني القرآن) ٢/٣٧٧.

(٤٢) انظر مثلاً: سيبويه، الكتاب ٢/٣١١، ٣١٩، والفراء، معاني القرآن، ١/١٦٦-١٦٧، ٢/٢٩٨، والمرادي، الجنى الداني، ص ٥١٥، والسيوطي، الهمع ٢/١٨٩.

وجه للنصب فيها على الاستثناء على رأي الفراء.

وإلى هذا وذاك ترك المحقق التعليق على مصطلح «رد» الذي وقع في عبارة ابن سعدان في هذا الباب أربع مرّات - وهو ما ورد مرة أخرى في (باب كم)، دون أن يبيّنه المحقق -، فكان ينبغي أن يبيّن أنه مصطلح كوفيّ أراد به البديل، وهو أحد المصطلحات التي استعملها الفراء في كتابه (معاني القرآن) للتعبير عن البديل^(٤٣)؛ وفاته أن يبيّن أنّ الآية الكريمة التي استدلّ بها ابن سعدان ﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣] لا تناسب الأمثلة التي اكتفتها؛ لأنّ الاستثناء فيها من قبيل الاستثناء المفرغ، و«ذريّة» فيها فاعل «آمن» لا بدل، خلافاً لتلك الأمثلة التي قامت على الاستثناء التام المنفي المتّصل، وفيه يكون ما بعد «إلا» بدلاً من المستثنى منه على المشهور.

- نصّ ابن سعدان في (باب كان) على الإحالة في دخول «إلا» على «لم يزل»، إذ قال: «وإذا أدخلت «إلا» على «لم يزل» فهو محال».

وقد وقف المحقق على ذلك وقفة لا تُغني؛ إذ لم يبيّن المقصود من ذلك، واكتفى بقوله: «جاء هذا المعنى في احتجاج الكوفيين لإجازة تقدّم خبر «ما زال» عليها في الإنصاف ص ١٥٦».

وكان الواجب أن يبيّن المحقق أنّ ذلك باطل لا يصحّ، فلا يقال: لا يزال زيد إلا قائماً، كما لا يقال: يزال زيد قائماً؛ لأنّ ذلك لا يستعمل إلا بلفظ النفي، فإذا استثيت صار النفي إيجاباً، وانتقض المعنى بعضه ببعض، فكان محالاً، عدل به عن وجهه، وتحول من حال إلى حال.

- نصّ ابن سعدان في (باب كان) على نصب ما بعد (بل) و(لكن) إذا كانتا مع «ما كان» ونحوها، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ

(٤٣) انظر مثلاً: الفراء، معاني القرآن، ١/٥٦، ١٩٢، ٤٢٧، ٢/٦٥، ٧٧، ٤٠٧، ٣/١٠٤.

رَجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﴿[الأحزاب: ٤٠].

وعلق المحقق على ذلك تعليق سهو وغفلة بقوله: «وقد صرح الفراء في المعاني (١/ ١٧٠ - ١٧١، ٤٦٥) بتقدير (كان) في تفسير نصب «أبا»، ولم يحمله على العطف، ولم يفعل المصنف ذلك هنا. إلا أن النحاس وأبا حيان وغيرهما نقلوا عن ابن سعدان موافقة الفراء في هذا التقدير فيما هو كآيتنا، وهو قوله تعالى في [يونس: الآية ٣٧]: ﴿وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾».

فالسهو بادٍ فيما قاله عن تقدير «كان» تنصب كلمة «أبا». والصحيح تقدير «كان» ناصبة ما بعد «لكن»، أي كلمة «رسول».

على أن في بقية كلام المحقق ما يدعو إلى التوقف؛ لما فيه من نفي ما لا يحسن أو يجوز في الآية عند المصنف غيره، إذ نفى عن ابن سعدان في قوله: «ولم يفعل المصنف ذلك هنا. إلا أن النحاس وأبا حيان وغيرهما نقلوا عن ابن سعدان موافقة الفراء في هذا التقدير فيما هو كآيتنا...» = تقدير «كان» تُصَبُّ بها كلمة «رسول» في هذه الآية. وهو من قبيل نفي اللزوم؛ لأن انتفاء وجه العطف بـ «لكن» هنا عند ابن سعدان؛ لأن «لكن» ممّا لم يذكره في (باب حروف النسق)، يوجب أن يكون النصب على تقدير عامل يدلّ عليه السياق، وهو «كان». وليس تزكُّ ابن سعدان التصريح بذلك والنصّ عليه دليل منع أو قرينة إنكار، لأنّ اللزوم لا يلزم النصّ عليه أو التصريح به. والله أعلم.

- ذكر ابن سعدان في (باب النسبة) أن النسبة إلى ما كان مضافاً تكون إلى المضاف إليه، ومثّل لذلك فقال: «تقول إذا نسبته إلى (أبي جعفر): جعفري، وإلى (عبد شمس) أو (عبد القيس) أو (عبد الدار): عبدي».

وقد لاحظ المحقق في ذلك اختلافاً، فعقب بقوله: «المثالان الأخيران

خارجان [قلت: كذا. والصحيح: الأمثلة الثلاثة الأخيرة خارجة، وفي ضوء ذلك تصحح الضمائر التالية] عن قوله: «فانسبه إلى الذي أضفته إليه»، وكان ينبغي أن تسبقهما عبارة تميزهما مما قبلهما كقول المبرد في المقتضب (٣/ ١٤١): إذا كان المضاف علماً والمضاف إليه من تمامه فالباب النسب إلى الأول». اهـ.

على أن ذلك وحده، على صوابه، غير كافٍ؛ فقد كان يحسن بالمحقق أن ينبه على أنه من الجائز النسبة إلى الثاني في تلك الأمثلة الأخيرة، فيقال مثلاً: داريّ في النسبة إلى عبد الدار، كما قيل منافي في النسبة إلى «عبد مناف» خوف اللبس^(٤٤)؛ وأن المحفوظ فيها، وهو الأوضح، عبشمي وعبقسي وعبدري، كما نصّ أبو حيان، بصياغة اسم من الاسمين، ليرتفع اللبس^(٤٥).

- وقال ابن سعدان في الباب نفسه: «وإذا نسبوا إلى (مَفْعَل) من ذوات الياء نسبه بالواو. قالوا في النسبة إلى (مرمي): مرموي، وإلى (مغزى): مغزوي، وإلى (علي): علوي. وقالوا: هذه إبل نووية؛ إذا كانت تأكل النوى». وفي هذا القول ما يحتاج إلى التعليق، وقد كان على المحقق أن ينهض له كما ينبغي، جرياً على ما كان عليه في التعليق على كلام ابن سعدان في هذا المختصر هنا وهناك. ولو فعل ذلك لقال:

١ - «مغزى» ليس من ذوات الياء، بل من ذوات الواو، فهو مثال غير مناسب لما نصّ عليه ابن سعدان. فهل كان في الكلام سقط، وكان الكلام في أصله قبل ذلك: «وإذا نسبوا إلى (مَفْعَل) من ذوات الياء [و الواو] نسبه بالواو»؟

(٤٤) انظر: سيبويه، الكتاب ٣/ ٣٧٦، والمبرد، الكامل، ١٢٣٢، وابن السراج، الأصول

٣/ ٦٩، والرضي، شرح الشافية، ٢/ ٧٥.

(٤٥) أبو حيان الأندلسي، الارتشاف، ص ٦٠٣. وانظر: الجرجاني، المقتصد في شرح

التكملة، ١/ ٤٧٠.

٢- «عليّ» و«نويّ» التي نُسب إليها في قولهم: إبل نوويّة، ليس على وزن «مَفْعَل»، فالأول وزنه «فَعِيل» والثاني «فَعَل».

٣- من تمام التعليق في رأيي التنبيه على جواز الحذف في النسبة إلى مرمي ومغزى وملهي، فيقال: مرمي ومغزّي وملهيّ، فقد أجازته سيبويه والمبرد، واختاره بعض المتأخرين، وإن كانت النسبة بقلب الألف واوًا: مرمويّ ومغزويّ وملهويّ، الوجه^(٤٦).

- نصّ ابن سعدان في (باب الجمع بالتاء) على جمع فُعْلة بالثقل «نحو ظُلْمة وظُلّمات، وإن شئت خَفُفت»؛ كما نصّ على جمع فِعْلة بالتخفيف «نحو كِسرة وكِسرات، وربّما ثَقَلوه».

وقد عقّب المحقّق على ذلك بحاشيتين، قال في أولاهما: «وفي الارتشاف (٢٧٦/١) أن الإِتباع في فُعْلة مضمومة العين ومكسورتها قصره الفراء على المسموع. وعبارة المصنّف تبيّن أن التسكين والإِتباع جائزان على الإطلاق، مع مراعاة أنّه بدأ بالضم أي الإِتباع، وعكس مع مكسور العين».

وقال في الأخرى: «وجاء في دقائق التصريف ص ١٣٠ أنّ التسكين أولى. وجاء في الارتشاف (٢٧٦/١): وفي كتاب أبي الحسن الهيثم: لا يجيز الكوفيّون كِسرات يعني بكسر السين في جمع كِسرة». وهذا النقل ينبغي أن يكون خاصًا بهذا اللفظ؛ لأنّ إطلاقه في (فِعْلة) مكسورة الفاء يناقض ما جاء عن الكوفيين من إيرادهم الكسر، فقد سلفت الإشارة في التعليق السابق إلى قول الفراء.....

وفي تعليق المحقّق في هاتين الحاشيتين ما يدعو إلى التعقيب:

(٤٦) انظر: سيبويه، الكتاب ٣/٣٥٢-٣٥٣، والمبرد، المقتضب ٣/١٤٧-١٤٨، وابن السراج، ٣٧٧/١، والفارسي، التكملة ٥٤.

١- ليس من المناسب أن يزيد المحقق في تعليقه جمع «فُعلة» فيما قصر الفراء الإبتاع فيه على السماع. بل الواجب أن يقيّد ذلك بجمع «فِعلة» بكسر الفاء؛ لأنّ أبا حيان في (الارتشاف) لم يصرّح بما قصر الفراء الإبتاع فيه على السماع، لكنّ سياق الكلام دالٌّ على أنّ الفراء قصرَ الإبتاع على المسموع في جمع «فِعلة» بكسر الفاء؛ لأنّه جاء في سياق الكلام على جمع فِعلة على فِعلات نحو سِدرة وسِدرات. ذكر ذلك، ثمّ قال: وهي لغة نصّ عليها الأخفش وغيره، ونصّ سيبويه على جواز ذلك واطّراده، وقصره الفراء على المسموع.

ويؤيّد ذلك عندي، ويدلّ عليه أنّ الإبتاع في جمع «فُعلة» كان بمنجاة ممّا شاب الإبتاع في جمع «فِعلة» وخالطه عند الكوفيّين. ففي قول ابن سعدان في جمع «فِعلة»: «وربّما ثقلوه» = ما يدلّ على أنّ الإبتاع في جمع «فِعلة» قليل غير مطّرد، لا يُقاس في كلّ لفظ من هذا الباب.

والنصّ الوارد في كتاب أبي الحسن الهيثم، الذي ساقه أبو حيان في (الارتشاف): «لا يجوز الكوفيّون كِسرَات» يعني بكسر السين في جمع كسرة = يُشعر أنّ مذهب الكوفيّين في ذلك السماع لا القياس.

وليس ببعيد من هذا وذاك أن ترى أبا القاسم محمد بن سعيد المؤدّب ينصّ على أنّ بني أسد يقولون: سِدرات وخرقات، فيتبعون الكسرة الكسرة؛ ثمّ يذكرُ الفتح عن بعض العرب «سِدرات»، والسكون عن بعضهم «سِدرات»، ثمّ يقول: «وهذا أولى أن يُسكّن لتثقيل الكسرة»^(٤٧).

٢- بات من الواضح في ضوء ما قلت أنّ عبارة المصنّف لا تدلّ على أنّ الإبتاع في جمع «فِعلة» جائز على الإطلاق، خلافاً لما صرّح به المحقق. وإلّا فكيف يفسّر قوله في ذلك: «وربّما ثقلوه»؟

(٤٧) ابن سعيد المؤدّب، دقائق التصريف، ١٣٧.

٣- رأي المحقق في الحاشية الثانية المبني على تقييد منع الإتياع الذي جاء فيما نُقِلَ من كتاب أبي الحسن الهيثم، بلفظ «كِسِرَات»، دون إطلاقه في جمع «فِعْلة»، لما يقتضيه من مناقضة ما جاء عن الكوفيين من إيراد الكسر = لم يبلغ التمام. فلو نظر فيه عميق نظر لانتهى إلى أن الكوفيين ينكرون «كِسِرَات» بالإتياع، لأنه لم ينته إليهم فيه سماع، ولو كان لهم فيه سماع لآمنوا به واطمأنوا إليه؛ ولتبيّن له بأخرة أن الإتياع في جمع «فِعْلة» عند الكوفيين مبني على السماع، لا القياس. وهو الموافق رأي الفراء، وقول ابن سعدان، والله تعالى أعلم.

- ذكر ابن سعدان في (باب إنّ) الفعل شهد في أخوات ظنّ، إذ قال: «فإذا جئت بـ «ظننتُ» وأخواتها فافتح (أنّ). تقول: ظننتُ أنّ أخاك خارجٌ، وشهدت أنّ عبد الله مرتحل».

وقد كان على المحقق أن يعقب على ذلك بما ينبغي؛ لأنّ ذلك غير معروف، ولم يقل به أحد فيما أعلم، فكأنّه قاسه على «علم»، شام ما فيه من معناه - وهو معنى ثابت له نصّ عليه بعض العلماء نصّاً - فحكم عليه بحكمه.

- ذكر ابن سعدان في (باب حروف الرفع) فيما ذكر من أدوات يجيء ما بعدها مرفوعاً «كم» وعدّها فيما «يرفعن الأسماء لا غير».

وقد بين المحقق ثمّة أنّه «يريد الاستفهاميّة لتقدّم قوله في الخبريّة إنّها تخفض، ولقول السيرافي في كلامه عن الخبريّة في شرحه» إنّ أهل الكوفة يخفضون ما بعد كم في كلّ حال بـ (من) ظاهرة أو مقدّرة.

واستدلال المحقق في هذه الحاشية بقول السيرافي لا يناسب الظاهر من كلام ابن سعدان [ص ٥٤] أنّ «كم» الخبريّة حرف خافض يخفض الأسماء؛ لأنّ الخفض مع وجود «من» الظاهرة بعد «كم» يكون بـ «من» لا بها.

على أنّ المحقق ترك في رأيه ما يجب التعليق عليه من قَصْرٍ لا ينبغي

في قوله: «يرفعن الأسماء لا غير»؛ لأنَّ الأصل الواجب في كم الاستفهامية نصب ما بعدها على التمييز، وربّما جُرِّ إذا جُرَّت، والرفعُ بعدها خلاف الأصل، وإذا قيس بالنصب كان كالشاذ لا يكاد ينصره السماع، وربّما لم تختلف في الرفع عن كم الخبرية، بل إنَّ ما أحال عليه المحقق ثمة من مصادر دالٌّ على ورود الرفع بعد كم الخبرية وروداً تؤيِّده شواهد صحيحة، بخلاف الاستفهامية التي بُني الرفع بعدها على جواز ظني محض.

هذا بعض ما بدا لي في (مختصر النحو) دراسة وتحقيقاً، أرجو أن يكون فيه ما يُفيد المحقّق إذا ما نهض لطبعه مرّة أخرى. والله أدعو أن يغفر لي زلّتي، والحمد لله أولاً وآخراً.

* * *

المصادر والمراجع

- أدب الكاتب، ابن قتيبة، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٩٩٩.
- أدب الكتاب للصولي، اعتنى به محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٤١ هـ.
- ارتشاف الضرب، أبو حيان الأندلسي، تح: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ١، ١٩٩٨.
- الأصول، ابن السراج، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٣، ١٩٩٦.
- إعراب القرآن، النحاس، تح: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب - بيروت، ط ٢، ١٩٨٥.

- إنباه الرواة، القفطي، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط ١، ١٩٨٥.
- باب الهجاء، ابن الدهان، تح: د. فائز المدرس، مؤسسة الرسالة - بيروت، دار الأمل - إربد، ط ١، ١٩٨٦.
- تاج العروس، الزبيدي، ج - ١٥، تح: مجموعة من المحققين، الكويت، ط ١، ١٩٧٥.
- تاريخ الإسلام، الذهبي، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.
- تاريخ العلماء النحويين، القاضي التنوخي، تح: د. عبد الفتاح الحلو، جامعة الإمام - الرياض، ١٩٨١.
- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، عني به محمد عوامة، دار القلم - دمشق، ط ٣ - ١٩٩١.
- التكملة، أبو علي الفارسي، تح: د. حسن شاذلي فرهود، جامعة الرياض، ط ١، ١٩٨١.
- جامع البيان في القراءات السبع، الداني، تح: جماعة من الباحثين، جامعة الشارقة، ط ١، ٢٠٠٧.
- الجنى الداني، المرادي، تح: د. فخر الدين قباوة وصاحبه، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٢.
- دقائق التصريف، ابن سعيد المؤدّب، تح: د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر - دمشق، ط ١، ٢٠٠٤.
- شرح الجمل، ابن عصفور، عني به: فواز الشعار، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٨.
- شرح الشافية، رضي الدين الأستراباذي، تح: محمد نور الحسن وصاحبيه؛ دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٥.

- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط ٢.
- طبقات النحويين واللغويين، ابن قاضي شهبة، تح: د. محسن غياض، مطبعة النعمان - النجف، ١٩٧٤.
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تح: برجستراسر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٦.
- الكامل، المبرد، تح: د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٣، ١٩٩٧.
- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، أبو القاسم الهذلي، تح: جمال السيد رفاعي الشايب، سما للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٧.
- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب - بيروت.
- لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله الكبير و صاحبيه، دار المعارف - القاهرة.
- ما تعدد فيه النقل عن الفراء في ضوء معاني القرآن، د. حمدي الجبالي، مجلة الجامعة الإسلامية - غزة (سلسلة الدراسات الإنسانية)، م ٦، ع ٢٤، يونيه ١٩٩٨.
- مختصر النحو، ابن سعدان، دراسة وتحقيق: د. حسين أحمد بوعباس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة ٢٣٧، الحولية ٢٦ - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.
- معاني القرآن للفراء، تح: محمد علي النجار وصاحبيه، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٩٩٣.
- معرفة الثقات، العجلي، دراسة وتحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٩٨٥.
- معرفة القراء الكبار، الذهبي، تح: د. طيار آلتى قولاج، مركز البحوث الإسلامية - إستانبول، ط ١، ١٩٩٥.
- المقتصد في شرح التكملة، الجرجاني، تح: د. أحمد الدويش، جامعة الإمام - الرياض، ط ١، ٢٠٠٧.
- المقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة، ط ١، ١٩٩٤.
- منهج السالك، أبو حيان الأندلسي، عني به: سدني جليزر، الجمعية الوطنية الأمريكية - نيوهافن، ١٩٤٧.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، تح: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار - الزرقاء، ط ٣، ١٩٨٥.
- نكت الهميان، الصفدي، وقف على طبعه أحمد زكي، المطبعة الجمالية - القاهرة، ١٩١١.
- همع الهوامع، السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط ١، ١٩٩٨.
- الوافي بالوفيات، الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وصاحبه، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠٠.
- الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، ابن سعدان، تح: محمّد خليل الزروق، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي، ط ١، ٢٠٠٢.

نظرات نقدية تحقيقية في كتاب (رياض الألباب) للسيوطي (ت ٩١١هـ)

د. عباس هاني الجراخ (*)

من نافلة القول بيان أهمية تحقيق المخطوطات الغميسة التي لم تُفترَع، وإخراجها إلى النور لتُضاف إلى النتاج العلمي المطبوع والمحقق من تراثنا الخالد، وقد تنادى مُقعدو التحقيق وواضعو مناهجه إلى أن يجري ذلك على أسس علمية سليمة، فبرز أعلامٌ كثرٌ من العرب والمستشرقين، أصدرت لهم المطابعُ أعلقَ النصوصِ المُحقَّقة ونفائسها في مختلف ميادين العلوم والمعارف. وأرى أن التحقيق الصحيح هو الذي يقومُ به المُتخصِّصون؛ كُلُّ واحدٍ في الفن الذي يبرعُ فيه، والعصر الذي يعرفُ مصادره ورجالاته وألفاظه، ليكونَ النتاجُ مُثمرًا، وليس لغاياتٍ تجاريةٍ أو دعائيةٍ.

وبينَ يديَّ كتاب (رياض الألباب بمحاسن الآداب) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق د. يحيى الجبوري، صدر عن دار مجدلوي في عمّان، ٢٠١٣ - ٢٠١٤م، ووقَّع في ٢٨١ صحيفة.

والكتابُ من كُتب الاختيارات، وضمَّ خمسة أبواب، هي:
الباب الأول: في المحبَّة.

الباب الثاني: في الغزل والنسيب وطرائف التشبيب.

(*) باحث من العراق.

الباب الثالث: في الخمريات والرّوضيات.

الباب الرابع: في الأدبيات والنبذ والزهريات.

الباب الخامس: في ما لا يلزم من غير ما تقدم.

وكلُّ بابٍ يضمُّ خمسة فصولٍ متنوّعةٍ، ويغلُبُ عليه الشُّعرُ الذي اختاره المؤلفُ على وَفْق تلك الفُصولِ، وقليلٌ منه نُصوصٌ نثريةٌ، فيها أحاديثٌ نبويّةٌ، وأقوالٌ، وقصصٌ، وحكمٌ.

وهذا الكتابُ هو الحادي والثلاثون الذي يُحقِّقه د. الجبوريُّ، بعدَ جهودٍ طويلةٍ، امتلَكَ فيها خبرةً كبيرةً في تحقيق المخطوطات، وله أيضاً كتابٌ بعنوان (منهج البحث وتحقيق النُّصوص)، صدر في تونس مرّتين، ١٩٩٣ و ٢٠٠٨م، وقد وَضَعَ في قسمه الثاني قواعد تحقيق النُّصوص ومناهج المحققين، فجمعَ بذلك بين التنظير في هذا الكتاب، والتطبيق في تحقيقاته تلك.

وقد سعيْتُ إلى اقتناء هذا الكتابِ المُحقَّقِ للإفادة منه في توثيق نُصوصٍ قد تكون فيه، ولمّا أخذتُ أجوسُ في صَفَحَاتِهِ، ودَقَّقْتُ في عمله وَجَدْتُهُ مَمْلُوءاً بالأخطاء والهفواتِ، ووَدَدْتُ ألاَّ يَخْرُجَ بهذه الصُّورة، ومن ثَمَّ كان حديثُهُ التنظيريُّ في كتابه الخاص بقواعد التحقيق في وادٍ، وتطبيقُهُ لها في هذا التحقيق في وادٍ آخر.

وفيما يلي ملاحظاتٌ نقديةٌ تحليليةٌ مَسُوقةٌ على الفقر الآتية:

أولاً: تحقيق عنوان الكتاب واسم المؤلف:

وَصَفَ د. الجبوري عمله في تحقيق كتاب السيوطيِّ بـ «دراسة وتحقيق»، وهي عبارةٌ طنانةٌ مطّاطةٌ، وغيرُ دقيقةٍ في الواقع، فكلمةُ (الدراسة) ما كان يصحُّ أصلاً أن تُثبَّتَ على طرّة الغلاف، فهي في خمس صحائف فقط! ومن الطبيعيِّ جدّاً أن يكتبَ المُحقِّقُ - في مقدّمة يصنعها، طالت أو قصّرت - شيئاً عن

المؤلف والمخطوط، ما دام قد اختار كلمة (دراسة).

فهو لم يتحدّث عن قيمة الكتاب، وما فيه من جديد، ومكانته، ومن ذكره، ومنهج المؤلف ومصادره، أو عن المخطوط نفسه، ونسخه، وخطّ النّاسخ، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة، وهل عليها سماعات أو تملّكات، إلى آخر ما يجب على أيّ محقّق أن يناقش هذه الأمور المعروفة وغيرها، ولم يوضّح منهجَه في تحقيق الكتاب، فضلاً على تركه أشياء ضروريّة، وهي:

١ - ذكر أنّ المخطوط الوحيد الذي اعتمد عليه في التحقيق من باريس برقم M ١٥٥٩، في ١٢٩ ورقة، وهو ناقصُ الأوّل، ويبدأ النصُّ هكذا: «الرضاب وأعذب من الماء الجاري، وأطيب من هجعة الساري...»، وهي بداية ناقصة كما ترى.

قلتُ: المخطوط الآن يحملُ رقم ٣٤١٩، في فهرس مخطوطات باريس الذي وضعه البارون دي سلان^(١).

وقد ورد في هذا الفهرس أنّ مؤلّفه هو: «محمّد بن أبي بكر السيوطي». وأما السيوطي (ت ٩١١هـ) الذي نسب المحقّق إليه الكتاب فاسمه «عبد الرحمن» لا «محمّد»، وهذا الاختلاف الواضح في الاسم لم يسترع انتباه المحقّق، لذا رأيناهُ يَضَع اسمه الكامل على الغلاف، ويترجم له ولأحواله ما يقرب من أربع صفحاتٍ من المُقدّمة، ورجع فيها إلى مقدّمة تحقيقه السابق لكتاب السيوطي (المحاضرات والمحاوَرات)!

(١) فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس ٥٩٦، ويُنظر: الفهرس العام للمخطوطات العربية الإسلاميّة في المكتبة الوطنية بباريس ٦١٣. وكتبْتُ إلى د. جليل العطية في ١٤/١٢/٢٠١٥م، ليصوّر لي صفحة العنوان والمقدّمة، فأجابني في ٢١/١٢/٢٠١٥م أنّه رجّع إلى المخطوط نفسه، وكانت صفحة العنوان ساقطة، وأنّ التصوير متوقّف في المكتبة الوطنية بباريس.

لقد احتفل المحققُ وابتهجَ بهذا المخطوطِ، ورأى أَنَّهُ سيضيفُ كتاباً
آخر للمؤلفِ نفسه، ولكن لم يكن صحيحاً!

والناسخ يعرفُ السيوطيَ حتماً، ولكنه لم يعرفِ أو يسمعُ بالأسيوطيِّ،
أو لعلهُ قرأهُ باللقبِ الأخيرِ - بزيادةِ الهمزة في أولِهِ - فظنَّهُ خطأً، فصحَّحهُ
جهلاً منه إلى السيوطيِّ!

وإذا كان أمرُ صحَّةِ اللقبِ قد خفيَ على الناسخِ فوجبَ ألا يخفى على
المُحَقِّقِ؛ لأنَّهُ من صميمِ عمله، في قضيَّةِ صحَّةِ نسبةِ المخطوطِ إلى صاحبهِ.

وكان عليه أن يهرعَ إلى كتب الفهارس والبيلوغرافيات للبحثِ عن
نسخةٍ أخرى، أو عمَّن أشار إليه، لكنه لم يفعل!

وقد ظفَرنا بثلاثِ مخطوطاتٍ لم يطلعَ عليهما المحققُ الفاضلُ، وهي:

١- (رياض الألباب بمحاسن الآداب)، مكتبة نور عثمانية، رقم
٣٩٢٧، ووقع في ١٦٦ ورقة، ومن المؤسف سقوط الصفحة الأولى، وفيه
جزءٌ من المُقدِّمة، مع سقوط أوراق من نهايته، شملت الفصل الأخير،
ونهاية الفصل الذي يسبقهُ.

وهذا المخطوطُ نفيسٌ ذو حَظٍّ جميلٍ مشكولٍ - برغم ما به من خرمٍ -
وكانت عنوانات الفصول والأبواب وأسماء الشعراء بالألوان الأحمر
والبرتقالي والأخضر والأصفر!، وما فيه من إضافات وإحاقات كثيرة على
الحواشي، بالألوان أيضاً!

٢- (رياض الألباب وموشحات بما من أحسن كذا) ما قيل من
الألغاز من الشعر والقوافي وما جرى وتناشدته على التمام والكمال)،
لمؤلفٍ مجهولٍ في دار الكتب المصرية برقم ٨٦٧/ شعر تيمور، ويقع في
١٤٤ صحيفة، وعليه تملك سنة ١٢١٠هـ.

ويبدأ المخطوطُ على النحو الآتي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعينُ

الحمدُ لله الكريمِ الحليمِ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على نبيِّه الممدوحِ بالخلقِ العظيمِ، وعلى سائرِ الأنبياءِ والمرسلينَ، والملائكةِ المُقَرَّبِينَ، وآلِ كُلِّ والصَّحابةِ والقِرابَةِ والتابعينَ وتابعيهم على الصراطِ المستقيمِ، وبعدُ، فقد منَّ اللهُ بِتَوْفِيقِهِ عَلَيَّ أَنْ سَنَحَ لِي أَنْ أَجْمَعَ فِي هَذِهِ الْأوراقِ مِمَّا حَسُنَ مِنَ الشُّعْرِ وِراقًا، وَمِنَ الحِكاياتِ المُسْتَطَرَفَةِ، والمُلحِ المُسْتَطَرَفَةِ، ثُمَّ تَوَقَّفْتُ فِي ذَلِكَ كَوْنِ إِنِّي (كذا) لَسْتُ مِنْ أَوْلئِكَ الرَّجَالِ، وَلَا مِنْ فُرسانِ هَذِهِ المِجالِ، ثُمَّ أَلزَمَتْنِي المُرُوءَةُ أَنْ أَجْمَعَ فِيهَا مِمَّا يَحْسُنُ، إِذْ هُوَ يُسْتَجَلَى، وَيَعذِبُ إِذَا اسْتُعِيدَ وَيُسْتَحَلَى، وَإِذَا كُرِّرَ عَلَى المِسامِعِ لَا يَمَلُّ بَلْ يُسْتَمَلَى، وَيَحُلُّ وَيُخَيَّلُ فِي العُيُونِ والقُلُوبِ وَقَعًا، وَتَوَدُّ كُلُّ جَارِحَةٍ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَمْعًا، مِنَ المُقَطَّعاتِ المِذكُورَةِ المِشمولَةِ التي هِيَ أَحسَنُ مِنَ مِقطَّعاتِ النَّيْلِ، والنَّوادرِ والأشعارِ المُطَرَبَةِ بِتَشبيهِها على المِواصلِ، بِلِفظِ أرقٍّ مِنَ الشُّكُوى لِلحِبيبِ، إِذا غَفَلَ وَاشِ وَرَقِيبَ، وَأَلذَّ مِنَ الشُّكْرِ المُذابِ، وَمِنْ رَشْفِ/ الرُّضابِ، وَأَعذِبَ مِنَ المِماءِ الجارِي، وَأَطِيبَ مِنَ هِجِعةِ السارِي...».

فهذه هي بداية المخطوط التي أهملها المحقق، ولم يسعِ إلى معرفتها،

وإلى مكانها!.

ووجدتُ أشياء قليلة من الاختلاف بين المخطوطين، خاصَّة في المقدِّمة، منها أنَّه ورد في المطبوع ص ١٧: «وهذا حين عدد نسق الأبواب»، وهي نفسها في نسخة نور عثمانية ٢ أ، ولكن ورد في نسخة التيمورية ص ٤: «وهذا هو عدد نسق الأبواب»، ولعلَّ ناسخه لم يعرف المراد بكلمة «حين» فغيَّرها إلى «هو».

وفي نور عثمانية ص ١: «سنح لي أن أجمع»، وفي التيمورية ص ٣:

«سَنَخَ لِي أَنْ أَجْمَعَ»، وهو تَصْحِيفٌ وَاضِحٌ، وفي المقدمة أيضاً أخطاءٌ في الضبط، وكذلك في بعض الأشعار.

ثمَّ إنَّ مخطوطَ التيموريَّة طابقَ مخطوطَ نور عثمانية، وكذلك المطبوع، في الباب الأول بفصوله وشواهدِه مُطابِقَةٌ تَامَّةٌ، لكنَّهُ خالفهُما في باقي صفحاته!

٣- للأسيوطي أيضاً (المرج النَّضْر والأرج العِطْر)، مخطوطٌ في الدار العراقية للمخطوطات ببغداد، برقم ٦٢٠٧،

وقد عمدَ - فيما بعد - إلى الزيادة عليه فصنَّفَ (رياض الألباب). فهذه ثلاثُ مخطوطاتٍ لم يَرَجِعْ إليها المُحَقِّقُ، أو يبحث عنها، للمقارنة، وللإفادة ممَّا فيها من نصوصٍ.

ويبقى سؤالٌ: هل المخطوطُ الذي نَشَرَهُ د. الجبوريُّ هو للأسيوطيُّ؟ قلتُ: لم يُبَيَّنْ ذلك في مقدِّمته المبتسرة، ولا وَصَفَ مَا وَرَدَ على طُرَّةِ صفحة العنوان، بل لم يثبت الصفحة الأولى منه، وقد وعدَ بذلك، ولعلَّها لم تظهرْ لأُمُورٍ فنيَّةٍ، بدليل أنَّ هذا مذكورٌ في الفهرس، لذا كان عليه مُراجَعَةُ ذلك قبل دفع الكتاب للطبع.

وأياً كان فقد خلصَ لدينا ما يأتي:

١/ - إنَّ مخطوطَ نور عثمانية يُوافقُ المَطْبُوعَ تَمَاماً، لكنَّهُ يزيدُ عليه في الإضافات الملحقة على حواشيه، وضبطه، وتنسيقه، وخطِّه الجميل.

٢/ - ثَمَّةُ مخطوطٍ آخرٍ يحملُ الاسم نفسه (رياض الألباب ومحاسن الآداب) لمحمد بن حسن النواجي (ت ٨٥٩هـ)، في مكتبة الأزهر برقم ٢٧٩، وجاء في ثمانية عشر باباً، وقد نَبَّهَ د. عبد الرازق حويزي في مقالٍ له^(٢) على أَنَّهُ

(٢) مجلة (العرب)، ج ٣ و ٤/٢٠٠٨م، ص ٢٢٨ - ٢٥٠، وتفضَّلَ د. عبد الرازق حويزي فأرسلَ لي بعضَ الصَّفَحَاتِ منه.

لمحمد بن أبي بكر بن عليّ المعروف بالشريف الأسيوطي (ت ٨٥٩هـ) (٣)، فكان على المحقق على أقلّ تقدير الإشارة إليه، أو الرجوع إليه لمناقشة التشابه في الاسم.

٣/ - إنَّ مخطوطَ التيمورية المنسوبَ لمجهول، ومخطوطَ الأزهر المنسوبَ للنواجي، يحملان المادة نفسها.

وتهدّيتُ بعد تفكيرٍ وتدقيقٍ إلى أن الذي نشره د. الجبوري ما هو إلاّ مختصرٌ من كتاب الأسيوطي، قام به مجهولٌ، ودليلي على هذا:

أولاً: إنَّ هذا الشخصَ المجهولَ قامَ إلى كتابِ الأسيوطي الآخر (المرج النَّصر)، القائم على خمسة فصولٍ، واختصره، بعد أن أُعجِبَ بِمَوْضُوعَاتِهِ، وهذا واضحٌ في عنوانات الأبواب والفصول والأشعار، ولكن سَمَّى ما اختصره (رياض الألباب بمحاسن الألباب)، وأخذ من الأخير اسمه، بعد أن أبدلَ حرف الواو الذي يسبق كلمة «محاسن» بالباء، فهو بهذا العملِ أو همَّ الباحثين على أيّهما اعتمدَ، وعلى أيّهما قامَ اختصاره!، ولعلّه أثبت لقبَ المؤلِّفِ الحقيقيِّ من باب الأمانة العلميّة!

ثانياً: وَرَدَتْ تُتْفٌ للأسيوطي صُدِّرَتْ باسمه في الصَّفَحَاتِ ٤٦ و١٢١-١٢٢ و١٣٩، ولو كان الكتابُ له لَصَدَّرَهَا بِعِبَارَةٍ: «وقلت».

ثالثاً: وَصَفَهُ حَاجِي خَلِيفَةَ فِي: كَشَفِ الظُّنُونِ ١/٩٣٥، بِكَلِمَةٍ «مختصر»، وإن لم يذكر اسم مؤلِّفه.

رابعاً: نعم! بمقدورِ السّيوطي اختصار الكتاب، ولكن هذه الفرضيّة - هنا - نَصَطَدُّمُ بِأَمْرَيْنِ:

(٣) ترجمته في: الضوء اللامع ٧/١٧٩، نظم العقيان ١٤١-١٤٢، هدية العارفين ٢/١٩٠، تاريخ الأدب العربي ٦-١٠/٢٠٨، الأعلام ٦/٥٧-٥٨، معجم المؤلفين ١٠/٣١١-٣١٢.

الأمر الأوّل: ليس للسيوطي مؤلّف له يحمل هذا الاسم، على كثرة ما راجعت، وقد جمع بعضُ الباحثين والمُفهرّسين مؤلّفاته - ومنها مخطوطات قليلة الصفحات - فلم أرهم أثبتوه.

والأمر الثاني (الأخير): إنّ مخطوط باريس نصّ صراحةً على أنّ مؤلّفه هو «محمّد»، وهو اسم السيوطي، وليس «عبد الرحمن» اسم السيوطي!، فلماذا أثبت الأخير، وعلى أيّ أساس؟
أخلص من هذا إلى إبعاد نسبة الكتاب إلى السيوطي إبعاداً قاطعاً.

تحقيق الكتاب:

قال د. الجبوري في مُقدّمته ص ٧: «وكثير من الشواهد الشعرية في الكتاب لشعراء معروفين ولهم دواوين، وهم قلة».

قلت: أفترض أنّ المحقّق قد أنهى تحقيق الكتاب سنة ٢٠١٢م، وطبع بعد سنة من ذلك، وقبل هذا الوقت صدرت دواوين كثيرة كانت ستُعني التحقيق، وتُفيد في توثيق النصوص، أو نسبتها إلى آخرين.

وبلغ عدد الشعراء في الكتاب (٧٨) شاعراً طبع دواوينهم، والغريب أنّ المحقّق الكريم وصفهم بـ«القلة»!

وقد أحصيت عدد القطع أو القصائد التي نسبها المؤلّف إلى أصحابها في الكتاب فكانت ٤١٩ نصّاً، وقد تركت من له ديوان محقّق في رسالة جامعيّة غير مطبوعة.

أمّا الشعراء المجهولون، أو الذين لم يُسمّمهم المؤلّف، فكان لهم ٣٣٣ نصّاً. وأرجو ألاّ يظنّ القارئ أنّهم مجهولون حقّاً؛ لأنّ المؤلّف لم يذكر أسماءهم، ولكنّ المحقّق تركهم هملاً ووصفهم بـ«المجهولين»، ولو بذل أدنى جهدٍ في تخريج نصوصهم لأدرك أنّهم معروفون في المصادر

الأخرى، بل مشهورون جداً، ولهم دواوين معروفة، وهذا الأمر ينطبق على مصادر العصر العباسي الثاني والعصور المتأخرة التي وجب أن يعرفها وهو يُحقق كتاباً مؤلفاً في هذه المدّة، كي يلغي وجود هؤلاء الشعراء، ويصفهم بالمجهولين أو المغمورين!

وثمة شيء آخر له علاقة هؤلاء «المجهولين أو المغمورين الذين لم ترد أشعارهم في الدواوين أو المجاميع الشعرية»، فهذه العبارة غير صحيحة البتة، فإذا كان الشاعر مجهولاً أو مغموراً فكيف له ديوان أو مجموع شعري؟ فتلك العبارة تنطبق على الشعراء المعروفين لا المجهولين أو المغمورين، فضلاً عن أن أشعارهم موجودة في مظان آخر، لكن المحقق أحجم عن مراجعتها، مثل (الوافي بالوفيات) للصفدي - وكتبه الأخرى، و(مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري، و(فوات الوفيات) و(عيون التواريخ) لابن شاكر الكتبي، و(حلبة الكميت) للنواجي، وغيرها كثير، وتعرف شعرائها وأشعارهم الموثقة فيها، من قضايا التحقيق المعروفة.

وإذا افترضنا أنه يعني بتلك العبارة الشعراء أصحاب الدواوين، فكيف عرف هذا وهو لم يستقص تخريجات أشعارهم، وهي مبذولة، بل لم يرجع إلى دواوينهم أصلاً، سوى رجوعه إلى دواوين: المتنبي، وأبي تمام، والبحري، ومحمود الوراق، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد، وبشار بن برد، والطغرائي! فهذه ثمانية دواوين فقط، وأهمل أكثر من سبعين شاعراً، وحتى بعض هذه الدواوين التي رجع إليها لم يكن تخريجها منها دقيقاً، على ما سنذكر بعد قليل، فما قيمة عبارته تلك؟

تخريج النصوص:

كان د. الجبوري قد قال في كتابه الخاص بتحقيق النصوص: «وللمحقق

أن يكتب في الحواشي (الهوامش) ما تدعو إليه الضرورة التي تخدم النصّ وتوضّحه، وتزيل إبهامه، وتثريه بما يترجم لأعلامه، وما يربط فقره وأفكاره من إشارات وإشارات، وبيان القراءات في النسخ، واختلافها وفروقاتها، وتوثيق النص بتخريج أشعاره ونصوصه من كتب التراث^(٤)، وانظر إلى قوله هذا وقارنه بما فعله في (تحقيقه) هذا الكتاب، من خروج على ما قرره وأثبت من قبل، وسنذكر أشياء منها - من غير استقصاء - خوف الإطالة والإملال!

ولا أعرف كيف لم يستطع معرفة صاحب هذا البيت الذائع غير المعزوّ في الصحيفة ٢٢٧:

مَنْ راقِبَ النَّاسَ ماتَ غَمًّا وفازَ باللذّةِ الجَسورُ

وقد خرّجه على: الدر الفريد ١٣٢ / ٥، وأهمّل مصادير كثيرة أوردها، ثمّ راجعت المصدر الذي ذكره فوجدته فيه: «سلم بن عمرو الخاسر»، الشاعر العباسي المشهور، فلماذا لم يذكره؟.

وأضيف أن البيت له في مصدر قديم هو: وفيات الأعيان ٣٥٢ / ٢، ومزج حديث هو: شعراء عباسيون ١٠٤.

وأزيد على هذا أكثر، أنه ورد على الصّحيفتين ٢٢٣ - ٢٢٤ أحد عشر بيتاً للمتنبي، وذكر ذلك المؤلف صراحةً، فقام المحقّق بتخريج ثلاثة أبيات فقط، وترك الباقيات.

وجاء في ص ١٧٠ بيتان غير معزّوين، جاء الثاني:

لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدنيا ابتسام
والبيت مشهور للمتنبي أيضاً، وسكت المحقّق عن تخريجه على ديوانه ٩٦، كما سكت - كعادته - عن ذكر اسم الشاعر الذي ضمّن البيت، وهو

(٤) منهج البحث وتحقيق النصوص ١٥٠.

مجير الدين ابن تميم.

وفي ص ٧٤ خَرَجَ نَصًّا لابن المعتز، وترك تخريج نص آخر في ص ١٣١، ونصين في ص ١٤٨.

وخرَجَ قطعةً لأبي تمام في ص ٣٠، ولم يُخَرِّجْ نُفْتَةً لَهُ على ص ٦٣، ولعلَّ سَبَبَ ذلك يعودُ إلى أَنَّ المؤلِّفَ سَبَقَهُ بكلمة «حبيب»، وليس «قال أبو تمام»!

بل أزيدُ على هذا أَنَّهُ جاء في الصحيفة ٢٢٦: «وقال آخر، مفرد:

ولو كانتِ الأرزاقُ تجري على الحَجِّي هلكنَ إذا من جهلَهَنَ البهائمُ»

وترك المُحَقِّقُ البيتَ من غيرِ تَخْرِيجٍ؛ لأنَّ المؤلِّفَ لم يذكر اسم الشاعر، وهو مشهورٌ لأبي تمام في: ديوانه ١/١٧٨.

فلماذا؟ وعلى أيِّ منهج؟ لا أعرف! والأمثلةُ كثيرةٌ، وأكتفي بهذه،

ويكفي من القلادة ما أحاطَ بالعنق!

وبإمكاني أن أُخرِجَ نصوصَ الكتاب جميعها، ولكنني أخشى الإطالة، إذ إنها

ستكون بمقدارِ نصفِ حجمِ المطبوعِ منه!، ولكن سأكتفي ببعضِ التَّخْرِيجاتِ في مواضعٍ مختلفة من الصفحات الآتية لِصِلَتِها بما سترُدُّ من قضايا.

ففي ص ٥١ وردت قصيدةٌ من ستة عشر بيتاً لجمال الدين بن نباتة، مطلعها:

خذوا قودي من أسير الكللِ ؟ فواعجباً لأسيرِ قتلِ

قلتُ:

١/ الشكُّ في الكلمة الأولى من العجز - ووضعُ علامة الاستفهام -

ليس في محلِّه.

٢/ القصيدة ليست في ديوان ابن نباتة المصري.

٣/ القصيدة للشاب الظريف في: ديوانه ٢٠١-٢٠٢، مع أبياتٍ أُخر،

وتنسبُ لجمال الدين ابن مطروح في: ديوانه ١٧٣-١٧٤.
وفي ص ١٤٩ وردت قصيدة لأبي نواس، مطلعها:
سُلافةٌ دَنٌّ كدمعِ جَفْنِ وماءٌ مُزِنٌ كخمرِ دَنٍّ
وقال المُحَقِّقُ في المتن!: (لم ترد الأبيات في ديوان أبي نواس)،
ورجعتُ إلى مصادره فرأيتُ أَنَّهُ اعتمدَ على طبعة الغزاليِّ فقط.
قلتُ: كانَ الأوَّلَى أنْ يعتمدَ على الطبعة الصادرة بتحقيق (إيفالد فاغنز)،
والقصيدة فيه ٣/٣٣٣-٣٣٤.

التحريف والنقص:

في الكتاب تحريفاتٌ وتصحيفاتٌ جازتُ على محققه الكريم، وكان
منهجه إذا شكَّ في قراءة كلمة، أو لم يستطع قراءتها، أن يضع مكانها أو
بعدها علامة استفهام (؟)، وسنذكرُ جملةً من تلك الأخطاء والهفوات،
وشملَ هذا تصحيحَ الخطأ في الكلمة أو الضبط، وهذا بيانٌ بها:

النصوصُ النثريةُ:

- ص ١٧ جاء كلام نثري، وفيه: «فأول ناس أول الناس».
- قلتُ: القولُ من بيتٍ لأبي الفتح البستي، في ديوانه ٢٠٨:
نسيْتُ عَهْدَكَ، والنَّسيانُ مُعْتَفَرٌ فَاغْفِرْ، فَأَوَّلُ نَاسٍ أَوَّلُ النَّاسِ
- ص ١٤١: «الباب الثالث في الخمریات والروضیات وفيه خمس فصول». والصواب: «خمسة».
- ص ١٤٧، عند حديثه عن القدح: «التبن أكبر منه». والصواب: «الذن».
- ص ١٥٤: «أم زبرق؟». الصواب: «أم زبيق».
- ص ٢٥٠/السطر ١٨: «أنا غير مُحَقَّرٍ ذِمَّتِي».
- قلتُ: «مُحَقَّرٌ» هنا غير صحيحة، والصواب «مُخْفِرٌ».

- ص ١٩٧: «وضع اسم المنهي؟».

قلت: لم يُدرك المُحَقِّقُ معنى كلمة «المنهي»، ولم يعرف ضَبَطَهَا فوضع بعدها علامة استفهام، ومعناها متَّصِلٌ ببداية الفِقرةِ الخَاصَّةِ بِالمُكاتبَةِ، وهي بِضَمِّ الميم وسكون التُّون، أي الذي يُنهي إليه كاتبُ الرسالة الطَّلَب.

- ص ٢٣٩: «اطلب ما عندك بالا..... إذا استحقته»، وذكر في الهامش «جملة مطموسة بالحبر».

قلت: هي «بالاستحقاق له»، واستأن به وإن طالت الأناة منه، فإنك». الأديب الكبير ٢٥٦.

أسماء الشعراء وألقابهم

- ص ٢٥: «وقال.... ابن عمر الأمدي».

قلت: مكان التُّقاط هو «المظفر»، وهو ما ورد في: مخطوط نور عُثمانيَّة ٧ ب، المرج النضر ١٤ أ.

- ص ٤٥: «القاضي أبو الفتح محمود بن الموفق بن قادور»، الصواب: قادوس.

- ص ٩٠: «سعد الدين بن عربي (عزني؟)».

كذا، والصواب: «عربي». وهو شاعرٌ مشهورٌ، تُوفِّي سنة ٦٥٦ هـ.

- ص ٥٣: «عبد العظيم بن عبد الواحد العداوي المصري». الصواب: «العدوي».

- ص ٧٣: «أبو بكر بن تقي الأندلسي».

والصواب: أبو بكر بن بقي الأندلسي، وهذا ليس من أخطاء الطباعة، لوجود الخطأ نفسه في مخطوط نور عثمانية ٣٤ ب، و«المرج النضر» ٣٤ ب، ولكن كان عليه إيراد الصحيح في المتن، والتنبيه على الخطأ في الهامش.

- ص ٧٤: «النور الأشعري». والصواب: «الأسردي».

- ص ٨٠: «أبو يوسف يعقوب بن جابر»، الصواب: «صابر» (وهو المعروف بالمنجنيقي). تَرَجَمْتُهُ فِي: وفيات الأعيان ٧/ ٣٥ - ٤٦، الوافي بالوفيات ٢٨/ ٤٩٩ - ٥٠٦)، وقد جمعتُ شعره في مجلّة (المورد)، ج ٤٠، ع ٣، ٢٠١٣ م.

- ص ٨٢: «يحيى بن سلامة الحصفكي». والصواب: الحصفكي، نسبةً إلى حصن كيفا، وهذا الخطأ واردٌ في مخطوط نور عثمانية ٤١ أ، و«المرج النضر» ٣٩ ب.

- ص ١٠٤: «حسام الدين بن الجابري». قلت: ليس هناك شاعر يحمل هذا اللقب، فَصَحِيحُهُ: «الحاجري» في: مخطوط نور عثمانية ٥٢ أ، المرج النضر ٥١ أ.

- ص ١٢٥: «عبد الله بن محمد بن ايحيار؟ الأندلسي».

الصواب: «عبد الله بن مُحَمَّد بن سارة».

- ص ١٣٣: «ابن المرجل (المرحل؟)».

قلت: هو: ابن المرَّحَل.

- ص ١٣٧: «ابن أيبك الصندي؟».

قلت: الصواب: «الصَّفديّ»، فهو خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) الأديب والمؤرِّخ المعروف.

إنَّ التحريف بأسماء الشعراء لا يجوزُ مع شهرتهم، أو وفرة مصادر تراجمهم، ودواوينهم المطبوعة.

إدخال التعليقات في المتن

أدخل المحقِّقُ تعليقاته في المتن، وليس في الهوامش، وما فعله مُخالفٌ تماماً لقواعد التحقيق، فإثباتها يكونُ في الهامش فقط، ومن ذلك:

- ص ٥٠ «وقال خالد الكاتب: (هو خالد بن يزيد البغدادي المعروف بالكاتب: شاعر غزل من الكتّاب، توفي سنة ٢٦٢هـ)».

فما بين القوسين - برغم ضالته - مكانه الحاشية، وليس المتن!

- ص ٧٠، وردت ثلاثة أبيات لتقي الدين السروجي، وجاء بعدها:
«..... بيتان لغة أجنبية».

قلت: اللغة الأجنبية هي التركية، ولكن القافيتين وما قبلهما بالعربية!

والبيتان هما:

سَلَّمْ وَقُلْ: يَخْشَى مَسْنُ كَى مَسْنِ اشْتِ حَدِيثًا طَالَ كِتْمَانُهُ
كَنْكُمْ كَزْمِ سَاوِمِ اشَى أَطْ كَبِي فُحْبَهُ أَنْتَ وَأَشْجَانُهُ

الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٤، أعيان العصر ٢ / ٤١٧، فوات الوفيات

١٩٩ / ٢، شعره ١٤٢.

وكذلك في الصحيفة ١٠٥ بعد بيت أبي حيان، وفي ص ١١٣، ١٣٨.

وذكرنا قبل قليل تعليقه الخاص بأن قصيدة أبي نواس النونية ليست في ديوانه.

النُّصُوصُ الشُّعْرِيَّةُ

- ص ٢٤:

يا بَرْقُ لا تبتسم من ثغره عَجَبًا قد فات فضاك؟ منه الظلم والشنب

قلت: «فضاك» صوابها: «معناك».

- ص ٢٤:

إن كنت ركيت دمع العين حين جرى دمعا فشهد قلبي فيك قد جرحا

والصواب:

إن كنت زكيت دمع العين حين جرى دمعا، فشهد قلبي فيك قد جرحا

- ص ٢٨:

فهذا المُعْنَى حَسَنَ وَجْهَكَ نَازِمٌ وهذا لدمعي في تجنيك فائز
قلت: «فائز» خطأ، ولا معنى لها، والصواب «ناثر»، وهي تُناسب
«ناظم» في صدر البيت.

- ص ٢٩:

ويفتي في تيه الملاحه خاطراً فكلي خلي في هواه مخاطراً
وهو مضطرب الوزن كما ترى، الصواب:

ويفتن في تيه الملاحه خاطراً فكل خلي في هواه مخاطراً
- ص ٣٨: بيتان لآخر، جاء الثاني:

وأطلق..... دمع عيني فأصبح راتباً لي مُستقراً
وعلق في الهامش: «في الأصل كلمتان مطموستان بالحبر».

قلت: ولكن هذا لا يمنع من مراجعة المصادر ورم الصدر، وقد جاء في
«المرج النضر» ٢٣ ب:

وأطلق جارياً لي دمع عيني

- ص ٤٦: بيتان للشريف الأسيوطي، جاء الأول:

وما زلتُ أسقيه الذي أنا دائماً أصير... من الخدود به وردا
قلت: صواب العجز:

أصيرُ نسرين الخدود به وردا

- ص ٦٣:

بأبي غزال غالته مُقلتي بين العذيب وبين سبطي بارق
قلت: ضبط المُحَقِّق «العذيب» بفتح العين، وهو بالضَّم، و«سبطي»

خطأ، وصحيحها: «شطي»، لذا يكون صواب العجز

بَيْنَ الْعُدَيْبِ وَبَيْنَ شَطِّي بَارِقِ

- ص ٦٩:

فَإِذَا قَالَ.....؟ سَلامِ كَيْفَ حَالُ الْمُضْنَى الكَيْبِ العَلِيلِ
 قَلْ قَلْنِ.....؟ دِينَا دَنْ الِا بلامني تطويل؟
 كلسني كم مسكين شفهُ الوجدُ فأضحى حِلْفَ الضَّنَى والنحولِ
 قلت: صواب صدر الأوّل: «فإذا قال أوزي نَجك دُرُ سلام بَر».
 والبيتان الآخران:

قُلْ قُلْنُ خُشُّ دَا كُلُّ تَلَامَسِ دَنْ يَا دَنْ إِلا سِينِي بِلا تطويلِ
 كَالِ سِينِي كَرَمِ سَكِينِ كَشِي شَفَّهُ الوَجْدُ مَدْ فَأُضْحَى حِلْفَ الضَّنَى والتُّحُولِ
 - ص ٧٠:

قَدْ شَرَعَتْ بِيضُ الصَّوَارِمِ والقَنَا مِنْ حَوْلِهِ فهو المنيعُ جنابُهُ
 قلت: «شَرَعَتْ» خطأ، فالصوارم لا تَشْرَعُ وَحَدَهَا، والصَّوَابُ: «شُرَّعَتْ».
 - ص ٨٠:

فَانهَلَّ مِنْ خَدَّيْهِ فَوْقَ عِذارِهِ عِرْقُ يُحاكي الطَّلَّ فَوْقَ الآسِ
 قلت: لا معنى لـ«عِرْق»، والصَّحِيحُ: «عَرَقُ».
 - ص ٨١: وقال آخر:

رَشَفْتُ رِيْقَكَ جَاهاً؟ فَلَمْ يَكُنْ لِي صَبْرُ
 قلت: كذا «جَاهاً»، ولعلها: «جاماً»، وفي مخطوط نور عثمانية ٤٠ أ: «حُلواً».
 - ص ٨٤، قصيدة لصفى الدين الحلي، منها هذا البيت:

عَدُّوا صِفَاتِكَ فابْتَعَتْ؟ بِلومهم وَاللوم فِيهِ ما يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
 قلت: الكلمة التي شكَّ فيها هي: «فانتفعت». مخطوط نور عثمانية ٤٢ أ.

- ص ٨٩:

وفي الخيام ومن لي بالخيام ر...د؟ لا أحسب البدر في حسن يقاومه
قلت: «ر...د؟» لا معنى لها، والصواب: «رَشَأً».

- ص ٨٩: لشهاب الدين ابن الخيمي:

وإذا أتيت من الملام بفاطرٍ كفري؟ من ذكر الحبيب بغافرٍ
قلت: «كفري» لا يستقيم بها الوزن، وهي في مخطوط نور عثمانية ٤٦ ب:
«كَفَّرُهُ»، وفي ديوانه ٥٥: «كَفَّرَتْ».

- ص ٩١: بيتان لآخر، جاء الثاني هكذا:

أنهاك إن الحاسدين تحدّثوا فينا بشرّ حديثاً (شيئاً) لا خيرِه؟
قلت: هما لزين الدين الرعّاد في: المرجح النضر ٤٥ ب، برواية: «فينا
بشرّ حديثهم لا خيرِه»، ومخطوط نور عثمانية ٤٧ ب: «برواية:
فينا بسرّ حديثهم لا خيرِه»

- ص ٩٥:

حيّا بما شئت من وردٍ بوجتته نهبته بالشامي وهو متتهبي
قلت: «بالشامي» خطأ، فصواب العجز: «نهبته بابتسامي وهو متتهبي».

- ص ٩٧ - ٩٨، قصيدة لابن إدريس، جاء مطلعها:

يا حسنه والحسن بعض صفاته والسحر مقصور على لحظاته؟
القافية «حركاته» في: الوافي بالوفيات ١٦ / ٣٢٢، شعره (مجلة كلية
التربية، ع ١، ٢٠٠١م) ص ٢٠٤.

وجاء البيت الرابع:

يعطي ارتياح الحسّن غصناً أبلداً؟ حمل الصّباح فكان من زهراته

قلت: «أبلدأ؟»، صوابه: «أملدأ»، و«الصباح» حقه أن تكون بالنصب.

- ص ١٠٥:

وبعث رَشادي نعي الهدى لأجلك يا طلعة المشتري

قلت: «نعي» خطأ، والصواب: «بغير».

- ص ١١٢:

يا حبذا قمرٌ تزوفن صدغه واخضر شاربه فزاد جمالا

قلت: الصحيح: «تزرفن»، والزرفين هي حلقة الباب^(٥)، و(الصدغ)

بضم الصاد، فيكون صواب الصدر:

يا حبذا قمرٌ تزرفن صدغه

- ص ١١٤:

خذوا حذرکم من خارجي عذاره فقد جازها في كتيته الخضرا

غلام أراد الله إطفاء فتنة بعارضه فاشتافت فتنة أخرى

وصواب عجز الأول:

فقد جاء زحفاً في كتيته الخضرا

وصواب عجز الثاني:

بعارضه فاستأنفت فتنة أخرى

وهما لابن النبيه المصري (٦١٩هـ) في ديوانه ٢٧٨ - ٢٨٨، مع العلم

أن صدر الأول أورده الصفدي مضمناً في عجز البيت الثاني على الصحيفة

١٣٠، فلم يضعه المحقق داخل قوسين، لأنه لا يعرف لمن هو أصلاً، ولا

أشار إلى وروده من قبل!

(٥) المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة ١٢٠.

- ص ١١٨: بيتان لمُجِيرِ الدين ابن تميم، جاء الثاني هكذا:
ولم أرَ من قبلها (غير) أسمها يطيرُ اشتياقاً إليها الهدفُ
قلتُ: هما له في: ديوانه ٦٦، وليوسف بن لؤلؤ الذهبِيّ في: شعره، مجلة
(المورد)، ع ٢، م ٢٠٠٥، ص ٨٠.
وصدرُ البيتِ المُثَبَّتِ مَكْسُورٌ، وَصَوَابُهُ: «وَلَمْ أَرِ مِنْ قَبْلِهَا أَسْهُمًا»، وفي
شعره: «فَيَا مَنْ رَأَى قَبْلَهَا أَسْهُمًا».
- ص ١١٩:

ثم قالت أنت عندي في الهوى مثلُ عيني، صدقتِ ولكن سقاما
قلتُ: العجزُ مَكْسُورُ الوَزنِ، وَصَوَابُهُ:
مثلُ عيني صدقتِ؛ لكن سقامًا

- ص ١٢٤:

سلب القُضْبَ لِينَهَا إنْ غِيظًا واقفاتُ تشكوه بالأوراق
وعلق في الهامش: «الغيظ: صوت النار».
قلتُ: صدر البيت مختلٌ، والمعنى الذي ذكره لا صلة له بالمعنى المُرادِ،
فالكلمة التي أوردتها غير صحيحة، فصوابُ البيتِ في ديوانه ٢٩ مع ضبطه الكامل:
سَلَبَ القُضْبَ لِينَهَا فَهَيَ غِيظَى واقفاتُ تشكوه بالأوراق
- ص ١٣٣: «الوداعي ذر بيت، وأجاد: (م البسيط)

يا غُصن نقاً أينع بالأزهار يا ألطف من نسِمة الأسحار
ريحان عذارك الذي تيمني من ولده من قلم الأشجار»
قلتُ:

١/ ليس هناك شاعرٌ اسمه «الوداعي ذر بيت»، بل «الوداعي» فقط، ولم

يُترجمُ له.

٢/ صوابُ الكلمةِ الأخيرةِ «دوبيت»، فالسيوطي استشهد هنا بدوييت للوداعي المكوّن من أربعة مصاريع، ولكنْ ذُكِرَ خطأً أنَّه من مُخلع البسيط!!

٣/ صواب المصراع الرابع:

مَنْ وَلَدَهُ مِنْ قَلَمِ الْأَشْجَارِ

٤/ جاء بعده نصُّ لابنِ المَرَحَلِ، وإنْ شكَّ في الاسم!، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ (الطويل)، في حين أَنَّهُ مِنْ (الدوبيت) من غيرِ لبسٍ، ومن الغريب أنَّ المؤلفَ ذَكَرَ البحرَ نفسه صراحةً، ولكنْ ورد مفصلاً هكذا «دوبيت».

وجاء فيه:

يا عارضاً؟ بالشرع لا تقتلني فالشاهدُ فاتك وذا خَطَّكَ زور

قلتُ: «عارضاً؟» يختلُّ به وزنُ الدوبيت، وصَوَابُهُ: «عَارِضُهُ».

- ص ٢٠١: بيتان ذَكَرَ أَنَّهَا مِنْ (الطويل؟):

إذا أخلق الدهر ودَّ امرئ فودِّي لكم كلَّ يومٍ جديدُ

وإنْ نقضَ البينُ منْ وجده فوجدني بكم كلَّ يومٍ يزيدُ

الصواب: المتقارب.

والفعل «نقض»، في البيت الثاني خطأً، وصحيحه «نقص»، لئِناسب الطباق مع (يزيد) في القافية.

- ص ١٤٥:

ريحانة لنديمها درياقة لسليمها تشفي تشفي سقامَ سَقِيمِهَا

كذا ورد البيئُ، وصَوَابُهُ:

ريحانَةٌ لِنَدِيمِهَا دَرِيَاقَةٌ لِسَلِيمِهَا تَشْفِي تَشْفِي سَقَامَ سَقِيمِهَا

- ص ١٤٦:

شربنا فؤاد الدنِّ حَتَّى؟ تركنا الدن لَيْسَ لَهُ فؤاد
قلت: كذا ورد الصِّدْرُ، وهو مكسور، وصوابه: «شربنا من فؤادِ الدنِّ حَتَّى».

- ص ١٣٤:

وبي من التُّرك المائق؟ بذلتُ له رُوحِي وبعثُ وجودي فيه بالعدم
صواب الصِّدْر: «وبي مِنَ التُّركِ أَلَمَى قد بذلتُ لَهُ».

- ص ١٤٨:

ومشمولة في الكأسِ تحسبُ أنها سماء عتيقٍ رَضَعَتْ بالكواكبِ
قلت: عَجَزُ البَيْتِ غَيْرُ وَاضِحِ المَعْنَى لِتَصْحِيفِ فِيهِ، وَخَطَأً فِي الضَّبْطِ،
انكسرَ الوزنُ بِسَبَبِهِ، وَصَوَابُهُ:

سَما عَقِيقٍ رُضِعَتْ بِكواكبِ

- ص ١٤٨:

مُقَطَّبَةٌ ما لم يزرها... ها فإن زارها جاء التَّبْسُمُ والبِشْرُ
قلت: صواب الصِّدْر:

مُقَطَّبَةٌ ما لم يَزُرْها مزاجها

يُنظر: مخطوط نور عثمانية ٧٢ أ، التذكرة الحمدونية ٨ / ٣٦٣، التذكرة
الفخرية ١٩٤، خزانة الأدب ٣ / ٩٩.

- ص ١٨٦:

ورقاء قد أخذتُ فُنونَ الحُزنِ عن يعقوبَ والألحانِ عن إسحاق
ضَبَطَ المُحَقِّقُ (الألحان) بالكسر، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّها معطوفة على (يعقوب)
المننوع من الصرف، والمجرور بحرفِ الجَرِّ (عن)، والصحيحُ أَنَّها
منصوبة؛ لكونها معطوفةً على (فنون) التي وقعتُ مفعولاً به.

- ص ١٤٥: قال ابن الرومي: (لم أجد البيتين في ديوان ابن الرومي)، وأولهما:
لطفت فكادت أن تكون لطافة في الجوّ مثل شعاعها ونسيمها
قلت: عندما رأيت تعليق د. الجبوري بعدم وجود البيتين في (ديوان ابن
الرومي) هممت بإدخالهما في المستدرک الذي وَضَعْتُهُ على الديوان ثقةً بما
يقول، ولَمَّا رَجَعْتُ إلى مصادره وَجَدْتُهُ يُشِيرُ إلى نشرتين، الأولى التي
أخرجها د. حسين نصار، وأخرى في بيروت، ولكنني في ضوء ما رأيت من
خلل وتعجّل في إخراج الكتاب شككت في كلامه بخلو الديوان منهما،
وامتحنته، وتصفّحت الديوان فوجدتهما في نشرة د. حسين نصار
٦/ ٢٢٣٧، وفي طبعة (بسج) في بيروت ٣/ ٢٤٤، ضمن مقطعة، فَصَدَقَ
ظني عدم دِقَّتِهِ حتّى في التخريجات، مع ضآلتها.

- ص ١٨١: بيتان لابن قرناص:

تثنى الغصن إعراضاً وعجباً على نهرٍ يذوبُ أسى عليه
فَرَقَ لَهُ النَّسِيمُ فَجَاءَ يَسْعَى يُلاطفُهُ فَمَيْلُهُ إِلَيْهِ؟ (ناقص)
قلت: في البيت الأول وردت «الغصن» خطأً مطبعياً «الغصم»،
فصححناها هنا، و«أسى» بتنوين السّين بالفتح.

أما عجز البيت الثاني فليس ناقصاً كما ذكّر المحقّق في المتن لا
الهامش!، فَصَوَّابُهُ: «يُلاطفُهُ، فَمَيْلُهُ إِلَيْهِ».

- ص ١٩٨، ورد البيتان:

يُقْبَلُ الأَرْضَ ذَا وَجِدٍ وَذَا قَلْقٍ حليف سقمٍ وأشواقٍ وأشجانٍ
يُنْهِي إِلَيْكُمْ صَبَابَاتٍ بِمَهْجَتِهِ وفي حشاه من الأشواق نيرانُ

وردت بعدهما عبارة: «(تأكد من حركات البيت الأول؟)».

فالتعليق جاء بعد البيتين في المتن مباشرة، وأكبر الظن أن الطباع كتبها - وغيرها - لا المحقق!

- ص ٢٤٥ قصة أبي أيوب وحبسه، وجاء فيها: «فكتب له؟ مطموسة بالأصل». قلت: وعبرة (مطموسة في الأصل) لا يصح إثباتها هنا، بل في الهامش، ومكانها كلمة «رقعة»، وتخريج القصة وما فيها من أبيات في: الفرج بعد الشدة ١/ ١٨٧، أنس المسجون ١٥٧، المستطرف ٢/ ٣٤٩.

- ص ١٢٧: ثلاثة أبيات من غير عزو، جاء الأول:

كَأَنَّ قَضِيًّا لَهُ آنَاءٌ؟ وَكَأَنَّ بَدْرًا لَهُ ضِيَاءٌ

قلتُ:

١/ كلمة «آناء» التي شكَّ فيها المحقق ووضَع بعدها علامة استفهام خطأً، وصوابها «انثناء».

٢/ البيت على هذه الرواية مختلٌ، ف(كأنَّ) صوابه (كانَ) ليستقيم وزن مخلع البسيط، فيكون صواب البيت:

كَانَ قَضِيًّا لَهُ انْتِئَاءٌ وَكَانَ بَدْرًا لَهُ ضِيَاءٌ

٣/ الأبيات لأبي فراس الحمداني، في ديوانه (تحقيق الدهان) ص ٥، وهو من مصادره، ولكن لم يرجع إلى هذه النشرة، وهي أفضلُ نشراته، ولم يستفد منها!

- ص ١٥٩: بيتان في اللون، من غير عزو، هما:

حَجَّ إِلَى الزُّهْرِ لِتَسْعَى بِهِ وَأَدِمَّ جِمَارَ الهَمِّ مُسْتَنْفَرًا

مَنْ لَمْ يُطْفَ بِالزُّهْرِ فِي وَقْتِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُحَلِّقَ قَدْ قَصَّصَا

قلتُ: هذان بيتان مُحَرَّفَانِ مَعْدُولَانِ عَنْ مَعْنَاهُمَا، وهما لشرف الدين

أحمد بن أحمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٩٤هـ) في: الوافي بالوفيات ٢٣٢/٦، فوات الوفيات ١/٥٩، المنهل الصافي ١/٢٣١، شذرات الذهب ٧/٧٤٢، والصحيح في إيرادهما مع الضبط:

احجج إلى الزهر لتسعى به وارم جمار الهيم مستنفرًا
من لم يطف بالزهر في وقته من قبل أن يخلق قد قصصًا
- ص ١٦٢/السطر ٩-١٠: «عن مهجتي تتحدث الزهرات، وإلى احمراري

تنسب الوجنات، فانظر إلى المحمر ثم تأمل، المسود فيه كأنه حالات».

قلت: هذا الكلام الثري الذي أثبتته المحقق هو في حقيقته بيتان، هما:
عن مهجتي تتحدث الزهرات وإلى احمراري تنسب الوجنات
فانظر إلى المحمر ثم تأمل الـ مسود فيه كأنه حالات

- ص ٢٠٤: قطعة لمجهول، جاء الثاني هكذا:

تحن إلى لقاكم القلوب فهل لي في ربايكم؟ نصيب
قلت: الكلمة التي بعدها علامة استفهام خطأ، فصواب العجز:
فهل لي في زيارتكم نصيب

والقطعة كلها للأmir عيسى بن أياز بن عبد الله (ت ٦٩٠هـ) في: تاريخ
حوادث الزمان ١/٩٧، تاريخ الإسلام ١٥/٦٧٠، عيون التواريخ
٢٣/١٠٤، عقد الجمان ٢/١٠٢.

- ص ٢٠٧:

إن فاتي تقييل ككك سيدي وقت الرحيل ولم أنل ما يولي!
قلت: «ما يولي» خطأ، والصواب: «مأمولي»، والتصحيح من نسخة نور
عثمانية ١١٨ ب.

- ص ٢٢٠:

إِنَّ الدَّوَالِيَّ فِي الدَّوَا؟ لِي أَثْمَرَتِ بِالْعَنْبِ
وصواب البيت:

إِنَّ الدَّوَا لِي فِي الدَّوَا لِي أَثْمَرَتِ بِالْعَنْبِ
والبيت مدوّر، وكلمة (الدَّوَالِي) تعني عرائش العنب.

- ص ٢٠٠:

وما تصر؟ مُذْ فَارَقْتُهَا غَيْرَ لَفْظَةٍ فَرَدَّ عَلَيْهَا اللَّهُ مِنْ قُرْبِكَ الْمَعْنَى
وصواب الصّدر: «وما مصرُ مُذْ فَارَقْتُهَا غَيْرَ لَفْظَةٍ».

الخطأ في تفسير بعض الألفاظ:

- ص ١٠٤:

«جعلت فداء الطبي الذي جاء لحظه إلى قتله العشاق تحمل تركشا؟
وعلق على كلمة القافية بقوله: «تركشا: لعلها، ما شاء الترك؟».
قلت: هذا تعليقٌ أُقْحِمَ في المتن بعد البيت مباشرة، وليس في
الهامش!، وهو تفسيرٌ خطأً.
والصحيح أنها: لفظةٌ فارسيّةٌ بمعنى الكنانة أو الجعبة التي يوضع فيها
النشاب^(٦).

مع ملاحظة أن كلمة «فداء» خطأً يَنكسرُ بها الوزن، وصوابها: «فدى».
- ص ١٧٢:

وافى بشيراً بالربيع وقربه يختال في السنجاب والبرطاس
وعلق في الهامش: «البرطاس: كذا، ولم أجد لها معنى هنا».

(٦) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ٤٤، المعجم الجامع ٥٨.

قلت: البرطاسُ ضَرَبُ من الفِراء يُصنعُ بمدينة بهذا الاسم تقع شمالي بحر قزوين^(٧).

- ص ١٠٧: ورد بيتان، جاء الثاني هكذا:

ليت الرقيب ابتلاه الله فانبجست؟ منه الجفونُ بدمعِ هامِلٍ يَدُمِ
قلت: «فانبجست» واضحة المعنى في البيت، ولكنَّ المحقِّق شكَّ فيها،
ووضع بعدها علامة استفهام، وقد نسيَ أنَّ هذا البيت وردَ - مع الذي قبله -
قبل صفحات قلائل، وتحديدًا في الصحيفة ٩٠ في ضمن قطعة، ووردت
«فانبجست» نفسها من غير علامة استفهام!، وكأنَّه فهمَ معناها في المرَّة
الأولى، ولم يفهمه في المرَّة الثانية، وهناك خلافٌ في الموضعين، ففي
المرَّة الأولى وردت القافية «بِدَمِ»، وفي الثانية - هنا - جَاءَتْ «يَدُمِ»،
والضَّبْطُ في المرَّتَيْنِ منه!

ولم يُشير إلى هذا التكرار في إيراد البيتين، أو الخلاف!

- ص ١٢٨:

فالنملُ؟ عارضُهُ وقلبي فاطرٌ والنون مبسمُهُ وحاجبهُ سبا
ووضع علامة استفهام بعد «النمل» لِشكِّه في مكانها، ولا شكَّ هناك،
فالكلمة صحيحة، وهنا توجيهٌ بأسماء السُّور القرآنيَّة: (النمل) و(فاطر) و(سبا).

- ص ٢٨:

قال الوشاة تسلَّى عن أحبِّته يا ويحهم جهلوا فوق الذي علموا
وعلقَ في الهامش: «في الأصل: قالوا الوشاة تسلي عن أحبته».
قلت: لقد قام بتغيير «قالوا» إلى «قال»، وقد فاتَهُ أنَّ هذه لغة مشهورة

(٧) تكملة المعاجم العربية ٢٩٣، ويُنظر: وفيات الأعيان ٧ / ٩١.

تُعرف بـ(أكلوني البراغيث)^(٨)، وواردة في القرآن الكريم والشعر العربي، فلا يصح تغيير النصِّ إلاَّ لأسبابٍ قليلة ومحدّدة، وليس هنا سببٌ معيّن.

مصادر الكتاب:

رَجَعَ المؤلّف إلى عددٍ من المصادر التي أشار إليها صراحةً، لكنّ المحقّق لم يُحرِّك ساكناً إزاءها، فلم يبحث عنها لتخريج النصوص منها، ولم يُشر إلى أماكنها!

- ففي الصحيفة ٤٣ ورد ما يأتي: «وقال في المصون في سر الهوى

المكنون، صدق القائل:

إنَّ الليالي للأنامٍ مناهلٌ تُطوى وتُبسطُ بينها الأعمارُ
فقصارهنَّ مع الهمومِ طويلةٌ وطوالهنَّ مع السرورِ قصارُ»
قلت: بيد المحقّق مفتاح لم يحسن استخدامه، وهو الرجوع إلى (المصون في سر الهوى المكنون) للحصريّ القيروانيّ (ت ٤٥٣هـ)، إذ لم يضعه داخل قوسين، وأهمّل تخريج البيتين عليه.

والبيتان فيه ص ١٤٤، من غير عزو.

- في الصحيفة ٢١٣ نقل المؤلّف قصّةً من كتاب (موقد الأذهان

وموقظ الوسنان)، فلم يذكر اسم صاحبه، ولا النّصّ المنقول منه.

قلت: هو لابن هشام الأنصاريّ، ومنه نسخة في مكتبة الملك عبد الله بن عبد

العزيز الجامعية (٤٤٢-١٢)، ضمن مجموع، والنّصُّ فيه ص ٣٠٣ ب - ٣٠٤ أ.

- على الصفحات ١٦١-١٦٤ أورد المؤلّف نصّ (رسالة الأزهار)

لابن الأثير، وكنا نأمل أن يرجع إليها مُحقِّقاً، وقد صدرت في الموصل،

(٨) وهي لغة بني الحارث وبعض القبائل. يُنظر: أوضح المسالك ١/٣٤٥، وقد كتبتُ بحثاً

خاصّاً عن لغة بني الحارث.

١٩٨٣م، ويؤرد اختلاف الروايات والألفاظ بينهما، لكنّه لم يفعل.
وكذلك (ثمرات الأوراق) لابن حَجَّة الحَمَوِيّ (ت ٨٣٧هـ)، إذ نقل منه
خَبَر إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك الوارد على الصحيفتين ٢٤٩-٢٥٠،
فهو فيه ص ٢٤٧-٢٤٨.

إهمال الأبيات المدوّرة:

- ص ٥١:

وأذنتُ حينَ تجلّى الصّبا حُحِ بِحَيِّ على خيرِ هذا العملِ
والصحيح أن يُلحق حرف الحاء بالصّدر (الصّباح).

- ص ١٢٤: بيتان، جاء الثاني:

لكَ قَدْ لولا جوارِحُ جَفَنِيكَ لغنّتَ عليه وُرقُ الحَمَامِ
قلت:

١/ هما ليوسف بن لؤلؤ الذهبِيّ في: عقود الجمان ٣٢٨ أ، شعره،
مجلة (المورد)، ع ٣، ٢٠٠٥م، ص ٦٤.

ولمحمّد بن محمود بن دمرداش (ت ٧٢٣هـ) في: الوافي بالوفيات
١/ ٢٣٣، الشعور بالعور ٢٢٧، أعيان العصر ١٣٨/٥، الدر المصون
المسمّى بسحر العيون ٢/ ٢٢٣، وفيه تحرّف اسمُ الشّاعرِ إلى: شهاب الدين
ابن مراش، وورد فيه البيتان مُصحّفين.

٢/ البيت مدوّرٌ، لذا يُنقلُ حرف الكاف من الصدر إلى العجز.

- ص ١٢٤:

ما أنت عندي والقضيبِ اللدنِ في حالٍ سوى
والبيتُ مدوّرٌ، فتكون الباء من (القضيب) في بداية العجز.

- ص ١٨٠:

أما ترى الأغصانَ لمّا أتى النّسيمُ بالبُشرى من المَغربِ

والبيتُ مُدَوَّرٌ، فيكونُ:

أَمَا تَرَى الْأَغْصَانَ لَمَّا أَتَى النَّدَى نَسِيمٌ بِالْبُشْرَى مِنَ الْمَغْرِبِ

- ص ١٨٩:

خَضَبَتْ كَفَّهَا وَطَوَّقَتْ الْجَيْدَ وَغَنَّتْ وَمَا الْحَزِينُ كَذَلِكَ

والبيتُ مُدَوَّرٌ، فيكونُ حَرْفُ الدال من (الجيد) في بداية العجز.

مَلاحِظَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ:

١- العنوان (رياض الألباب بمحاسن الآداب للسيوطي)، و«السيوطي»

لا داعي لها هنا؛ لأنَّه سيذكر لقب المؤلف في أسفل العنوان مباشرةً.

٢- لم تُخَرِّج الآيات القرآنية في الصحيفة ١٦٥/السطر ٢٠، والصحيفة

٢١٢/السطر ٨، والصحيفة ٢١٣/السطر ٤-٥، والصحيفة ٢٣٠/السطر ٤.

٣- تخريج الأحاديث النبوية مضطرباً، فكثيرٌ منها جعلها داخل النصِّ

في المتن!، وهذا لا يصحُّ، وبعضها في الهوامش، كما في الصحيفتين

٢٤٣-٢٤٤، وسها عن تخريج حديثٍ نبويٍّ ص ٢٥٣.

اضطرابُ مصادر التحقيق ومراجعته:

احتلَّ فهرسُ (مصادر التحقيق ومراجعته) الصفحات ٢٦٥ - ٢٧٧،

وضمَّ (١٧٥) كتاباً، ويُلاحظُ عليه:

١- رجع المُحقِّقُ إلى أكثر من نشرةٍ لكتابٍ واحدٍ، ولم يُبيِّن في

التحقيق كيفية التفريق بينها، مثل (أخبار القضاة) و(أشعار أولاد الخلفاء)

و(أمالي المرتضى)، وغيرها، والغريبُ في الأمر أنَّ إحدى طبعات واحدٍ من

تلك الكتب علميَّةٌ، والأخرى تجاريَّةٌ، فكيف يصحُّ الجمع بينهما؟!!

٢- الرجوعُ إلى طبعات غير علميَّة، منها: (تاريخ الإسلام) للذهبي (ت

١٧٤٨هـ)، في مطبعة السعادة بمصر، وأهمل النشرة العلمية التي قام بها د. بشار عواد معروف.

و(ديوان الشافعي) بتحقيق عبد المنعم خفاجي بالقاهرة، في حين أن تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت المطبوع بدمشق سنة ١٩٩١م هو الأفضل علمياً. و(ثمار القلوب) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم بالقاهرة، والأولى تحقيق إبراهيم صالح في دمشق.

و(الحماسة البصرية) بتحقيق مختار الدين أحمد، وهي نشرة غير علمية وناقصة، وتفضلها النشرة العلمية الكاملة التي قام بها د. عادل سليمان جمال في القاهرة.

٣- كانت بعض المصادر ناقصة المعلومات البيوغرافية، مثلاً:

* «المعجم الكبير - الطبراني، ط العراق، بغداد».

قلت: الكتاب لم يُطبع في بغداد، والصواب أن يكون:

- المُعجمُ الكبيرُ: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق الشيخ حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤/١٩٨٣م.

٤- ذكر أن وفاة الزركلي كانت في (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، والصحيح (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).

٥- جاء في ص ١٥٠ (ديوان ديك الجن)، وفي ص ٢٢٨ (ديوان النابغة الذبياني)، لكنّه لم يُوردَهما في قائمة المصادر، كما فاتته مصادر أُخرى، لم نثبتها هنا للاختصار.

٦- أوردَ مَصَادِرَ لم يرجع إليها على الإطلاق، وليس لها أثرٌ في الكتاب كُله، ومن أشهرها (الوافي بالوفيات) للصفدي، ولو رجع إليه عند تحقيقه

الكتاب لَصَحَّ كثيراً من النُصوص المعدولة عن أصلها، وبعد تَأَنُّ وبحثٍ رَأَيْتُهُ قد سَرَدَ المصادرَ من قبل حَذْوِ القَدَّةِ بالقَدَّةِ، وذلك في تحقيقه كتابي السيوطي (المحاضرات والمحاورات) و(ذيله)، وإذا كان قد أفادَ منها في ذينك الكتابين فلا ضرورة لها هنا، إلا من قبيل الزينة!

وملاحظتنا على هذا الفهرس - بطبيعة الحال - تشمل الكتابين السابقين معاً أيضاً!

فالمحققُ أوردَ (٩٧) مصدراً لم يرجع إليها، وفي الوقتِ نفسه أهمل إيراد (١٣) مصدراً رجع إليها، عدا ما وَرَدَ في المقدمة البسيطة المتعجّلة، وهذا من غرائب الأيام في إخراج الكُتب، ولا أقول تحقيقها!

الأخطاء الطباعية:

فَشَتِ الأخطاءُ الطباعيةُ بِصُورَةٍ كبيرةٍ، شوّهتِ الكتابَ - علاوةً على ما فيه من اضطراب ونقصٍ! - إذ لم يجرِ تصحيحها، ولا مراجعتها، فأثرت في محتواه، فَمُنْضِدُ الحُرُوفِ - في مواضع كثيرة - لم يضغط (Shift) لإظهار علامات الترقيم الثانوية، كالنقطتين (:)، فظهر مكانها حرف (ك)، أو يضغطها لإظهار النقطة (.) التي صارت حرف (ز)، وهكذا، وقُلْ مثل ذلك عن الشدة، أو لم ينتبه إلى تقارب الحُرُوفِ على لوحة مفاتيح الحاسوب (Keyboard)، فَرَأَهُ - لِعَجَلَتِهِ - يضغط حرف الباء، وهو يريد التاء، أو يضغط الهاء، وهو يعني العين، وغير ذلك، وكنا صنعنا جدولاً مفصلاً للأخطاء الطباعية، ضمَّ (٩١) كلمة، ثم حذفناه رعاية للاختصار.

وسقطت ثلاث قوافٍ خَرَجَتْ عن الجدول الخاص لطباعة الشعر، وهي قافية البيت الثاني من قطعة علي بن طاهر الخباز في الصحيفة ١٤٩، وهي «الشكر»، وقافية البيت الثاني لآخر في الصحيفة ٢١٦، وهي «حضراً»،

وقافية البيت الأوّل للصفدي في الصحيفة ٢٢١، وهي «ينتشي»، واعتمد على رسم المخطوط لـ (١٢) كلمة، ولم يأخذ بالرسم الحديث، منها: ص ٨٨ «يرا»، والصواب «يَرَى»، وفي ص ١٩١ «تجلا»، والصحيح «تَجَلَّى»، وفي ص ١٨٨ «الحجى»، وصوابها «الحِجَا».

وبعد، فهذا ما سمح به الوقت والحال من تبيان بعض الملاحظات النقدية على كتاب (رياض الألباب) الذي ظهر بتحقيق د. يحيى الجبوري، وتركت أشياء أخرى كثيرة وطويلة، وقد وضح في ضوئها أنه لم يُحقَّق، أو يُخدم بل خرج العمل على قواعد التحقيق ومناهجه المعروفة.

وثبت لنا أنه مُختصرٌ - قام به مجهولٌ - من كتاب لمحمد بن أبي بكر الأسيوطي (ت ٨٥٩هـ)، وليس لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، وفيما سقناه أدلة قاطعة على هذا، والحمد لله رب العالمين.

* * *

المصادر والمراجع

المخطوطة:

- الدرُّ الفريد وبيت القصيد: محمد بن أيدير (ت ٧١٠هـ)، أشرف على تصويره فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، ١٩٨٨ م.
- رياض الألباب بمحاسن الآداب: مجهول، مكتبة نور عثمانية، تركيا، رقم ٣٩٢٧.
- رياض الألباب ومحاسن الآداب: محمد بن حسن النواجي (ت ٨٥٩هـ)، مكتبة الأزهر، رقم ٢٧٤/أباظة.

- رياض الألباب وموشحات بما من (كذا) أحسن ما قيل من الألفاظ من الشعر والقوافي: مجهول، دار الكتب المصرية، رقم ٨٦٧/ شعر تيمور.
 - عقود الجمان؛ تذييل وفيات الأعيان: مُحَمَّد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، مكتبة الفاتح بتركيا، رقم ٤٤٣٥.
 - المرج النضر والأرج العطر: الشريف صلاح الدين محمد بن أبي بكر بن عليّ الأسيوطي (ت ٨٥٩هـ)، الدار العراقية للمخطوطات، بغداد، رقم ٦٢٠٧.
 - موقد الأذهان وموقف الوسنان: ابن هشام الأنصاري، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية، جامعة أم القرى، رقم (٤٤٢-١٢).
- المطبوعة:**
- الأدب الكبير: عبد الله بن المقفّع (ت ١٤٢هـ)، ضمن (آثار ابن المقفّع)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
 - أعيان العصر وأعوان النصر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
 - أنس المسجون وراحة المحزون: أبو الفتح عيسى بن البحّري الحلبي (ت بعد ٦٢٥هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
 - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
 - تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م)، ترجمة حسن إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٥م.
 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، حَقَّقَهُ وضبط نصّه وعلّق عليه د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- تاريخ حوادث الرّمان وأنبائه ووفيات الأكابر من أبنائه؛ المعروف بتاريخ ابن الجَزَرِي: محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت ٧٣٨هـ)، تحقيق د. عمر عبد السّلام تدمري، المكتبة العصريّة، صيدا - بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- تكملة المعاجم العربية: رينهارت دوزي (ت ١٨٨٣م)، نقله إلى العربية وعلّق عليه د. مُحمّد سليم النعيمي، بغداد، ١٩٨١م.
- ثمرات الأوراق: أبو بكر بن عليّ بن مُحمّد بن حجّة الحمويّ (ت ٨٣٧هـ)، تحقّق وتعليق مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- خزّانة الأدب وغاية الأرب: أبو بكر بن عليّ بن حجّة الحمويّ (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م.
- الدرّ المصون المُسمّى بسحر العيون: أبو بكر تقيّ الدين البدريّ الدمشقيّ (ت ٨٩٤هـ)، تحقيق سيد صديق عبد الفتاح، دار الشّعب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ديوان ابن الخيميّ (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق هلال ناجي ود. زهير زاهد، مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعريّة، الكويت، ٢٠٠٨م.
- ديوان ابن الروميّ، تحقّق د. حسين نصّار، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٣م.
- ديوان ابن الروميّ، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ديوان ابن مطروح، تحقيق د. حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- ديوان ابن نباتة المصري (ت ٧٦٨هـ)، نشره محمد القليلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ديوان ابن النبي المصري (ت ٦١٩هـ)، تحقيق د. عمر محمد الأسعد، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ديوان البُستيّ (ت ٤٠٠هـ)، حَقَّقَهُ وصنَعَ ذيلَهُ، وعلَّقَ الفوائد عليه شاعر العاشور، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٦م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق د. عبد الوهاب عزّام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م.
- ديوان أبي فراس الحمداني، عُنِيَ بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهرسه سامي الدّهّان، بيروت، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م.
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي (ت ١٩٨هـ)، تحقيق إيفالد فاغنز، وغريغور شولر، وفرانز شتاينر، فيسبادن، ١٩٨٢ - ٢٠٠٦م.
- ديوان الشاب الظريف، حَقَّقَهُ وأعدَّ تكملته وفسَّرَ ألفاظه شاعر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ديوان مُجير الدين ابن تميم، تحقيق هلال ناجي و د. ناظم رشيد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩م.
- ذيلُ مرآة الزمان: موسى بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق د. عبّاس هاني الجوّارح، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠١٣م.
- رسالة الأزهار: ابن الأثير، تحقيق هلال ناجي، جامعة الموصل، ١٩٨٣م.
- شذراتُ الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن

- العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، حَقَّقَهُ محمود الأرنؤوط، خَرَّجَ أحاديثُهُ عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الشعورُ بالعور: خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، حَقَّقَهُ واستدركَ عليه د. عبد الرزاق حسين، دار عمار، الأردن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- الصَّوئُ اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
- طبقاتُ النحويين واللغويين (المحمَّدون): تقيِّ الدين ابن قاضي شُهبه الأَسدي الشَّافعي (ت ٨٥١هـ)، تحقيق د. محسن غِيَّاض، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٤م.
- عقدُ الجُمان في تاريخ أهل الزمان: بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.
- عيونُ التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، ج ٢٣، تحقيق نبيلة عبد المنعم، بغداد، ١٩٩١م.
- الفرُجُ بعدَ الشدَّة: المحسن بن عليِّ القاضي التُّوخي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق عبود الشَّالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
- الفهرس العام للمخطوطات العربية الإسلامية في المكتبة الوطنية بباريس: جورج فاجدا، فرنسا، ١٩٥٣م.
- فهرسُ المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس: M.le baron de slane، باريس، ١٨٨٣-١٨٩٥م.
- فوات الوفيات والذيل عليها: مُحمَّد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. إحسان عَبَّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
- كشفُ الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشهرير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، إستانبول، ١٩٤١م.

- كنز الدرر وجامع الغرر (الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب): أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (ت ٧٣٦هـ)، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م.
- المستطرف في كل فن مستظرف: محمد بن أحمد الأبهري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- المصون في سر الهوى المكنون: إبراهيم بن علي بن تميم الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، دراسة وشرح وتحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٩م.
- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي: محمد أحمد دهمان، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية: د. حسن حلاق و د. عباس صباغ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقّي، دمشق، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م.
- المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: د. صلاح الدين المنجد، مطبوعات بنيا د فرهنك، إيران، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- منهج البحث وتحقيق النصوص: د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق د. محمد أمين ونبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٨٥ - ٢٠٠٦م.

- نظم العقيان في أعيان الأعيان: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق فيليب حنّي، المطبعة السورية الأمريكية بنيويورك، مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٢٧م.
- الوافي بالوفيات: خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق مجموعة من المستشرقين والعرب، جمعية المستشرقين الألمانية، فرانز شتاينر، إسطنبول وبيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد محمّد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

المقالات:

- شعر تقي الدين السروجي: جمع وتحقيق ودراسة د. عباس هاني الجراح، (آفاق الثقافة والتراث)، العدد ٦٧، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- شعر صفوان بن إدريس المرسي، تحقيق د. أحمد حاجم الربيعي، مجلة كلية التربية - الجامعة المستنصرية، العدد ١، ٢٠٠١م.
- شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي: جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراح، (المورد)، المجلد ٣٢، العدد ٣، ٢٠٠٥م.
- مخطوط رياض الألباب ومحاسن الآداب، تصحيح نسبه، وبيان أهميته: د. عبد الرازق حويزي، (العرب)، ج ٣ و ٤، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- يعقوب بن صابر المنجنيقي حياته وما تبقي من شعره: جمع وتحقيق ودراسة د. عباس هاني الجراح، مجلة (المورد)، ج ٤٠، ع ٣، ٢٠١٣م.

الصنعة العقلية عند أبي تمام

«مقدمة لقراءة جمالية في شعر الطائي»

أ.د. أحمد علي محمّد (*)

شغلت قضية الصنعة في الشعر القديم نفراً غير يسيرٍ من نقدِ الشعر وأعلام الكلام، ومن تكلم على الصنعة الشعرية قديماً وحديثاً لم يجز في كلامه ثلاث فكرٍ أساسية:

الأولى: الصنعة الفنية التي تُعنى بثقيف الشعر وتهذيبه وتحكيكه، إذ جرت في هذا المضمار طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام، لم تكن تثق بمقدرات الطبع والسليقة، بل عمدت إلى ضرب من التهذيب وإعادة النظر فيما صدر عن القرائح من كلام منظوم، وكان من السابقين إلى ذلك الصنيع من شعراء الجاهلية زهير بن أبي سلمى ثم تبعه في ذلك الحطيئة وغيره، فقال الأصمعي فيما أورده الجاحظ: «زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر، وكذلك كل من جوّد في جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر، حتّى يُخرَجَ أبيات القصيدة كلّها مستوية في الجودة»^(١)، ثم قال الجاحظ معلقاً: «وكان يقال: لولا أنّ الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتّى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب

(*) عميد كلية الآداب الرابعة بالقنيطرة - جامعة دمشق.

(١) الجاحظ (البيان والتبيين) ص: ٢١١ / ٢.

الصنعة، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتبه المعاني سهواً ورهواً، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً»^(٢).

والثانية: الصنعة البديعية المتصلة بتنميق الكلام وزركشته، والعناية الفائقة بألوان البديع، وهي صنعة المحدثين من أمثال بشار بن برد وأضرابه، فقل إن الأصمعي سئل عن بشار بن برد ومروان بن أبي حفصة أيهما أشعر؟ فقال: «بشار؛ لأنه سلك طريقاً لم يسلك من قبل وتفرد به، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزراً، وأوسع بديعاً»، وقال: «بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير من الشعراء»^(٣)، وقال ابن المعتز عن مدرسة البديع في الشعر المحدث: «كان مسلم بن الوليد أول من وسع البديع؛ لأن بشار بن برد أول من جاء به، ثم جاء مسلم فحشا به شعره، ثم جاء أبو تمام فأفرط وتجاوز المقدار»^(٤).

والثالثة: الصنعة العقلية التي ظهرت ألوانها في شعر أبي تمام خاصة، إذ انبثقت من خلال عنايته الفائقة بالأفكار، من أجل ذلك برزت في شعره مسائل عدة يتصل أغلبها بالغموض والتعقيد، وهذه الناحية هي في واقع الأمر مضممار هذا البحث.

تبدى ظواهر صنعة أبي تمام في جملة من المسائل الفكرية التي تركت طوابع الغلو في تفكيره الشعري وفي صنعته الكلامية عامة، منها:

أ - ثقافته وذكائه:

ذكر الأصفهاني أن أبا تمام حبيب بن أوس من قبيلة طيء صليبة، مولده

(٢) الجاحظ (البيان والتبيين) ص: ٢١١ / ٢.

(٣) الأصفهاني (الأغاني) ص: ٢٧٧ / ٧.

(٤) ابن المعتز (البديع) ص: ٥٣.

ومنشؤه منبج بقرية اسمها جاسم^(٥)، في حين أطبقت معظم المصادر الأدبية^(٦) على أنه ولد في قرية جاسم القريبة من طبريا، من أعمال دمشق، وذكر الخطيب البغدادي أنه شامي الأصل عمل في أثناء حدثه في مصر يبيع الماء في المسجد الجامع، وكان آنذاك يجالس الأدباء ويأخذ عنهم، وكان يحب الشعر، فلم يزل يعانيه حتى أجاد نظمه، فشاع ذكره، وبلغ المعتصم خبره فطلبه وهو «بسرّ من رأى»، فعمل فيه قصائده، فبز الشعراء^(٧)، وتقدّم عليهم حتى قيل: «ما كان أحدٌ من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه»، ثمّ قدّم مدينة بغداد فجالس الأدباء والعلماء وبرع في الرواية، فقليل إن أحمد بن أبي طاهر روى عنه أخباراً بسنده^(٨).

قال دعبل الخزاعي فيما أورده المرزباني في الموشح: «لم يكن أبو تمام شاعراً، وإنما كان خطيباً، وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر»^(٩)، من أجل ذلك لم يدخله في كتابه (كتاب الشعراء). والحق أنّ أبا تمام كان أديباً شاعراً، يدلّ على ذلك ما اختاره من أشعار العرب، ولعلّ أظهر مختاراته كتاب «الحماسة»، فقليل: إنّ أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره^(١٠)،

(٥) الأصفهاني (الأغاني) ص: ٢٧٩/٧.

(٦) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/ ٢١١)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٣٦٦)،

الوفاي بالوفيات للصفدي ٤٣٣/١.

(٧) البغدادي، الخطيب، (تاريخ بغداد) ص: ٣٧٧/٢.

(٨) ابن كثير (البداية والنهاية) ص: ٥٢٢. أحمد بن أبي طاهر أديب مروزي الأصل توفي

نحو ٢٨٠هـ.

(٩) المرزباني (الموشح) ص: ٤٠٠.

(١٠) التبريزي (شرح ديوان الحماسة) ص: ٢٣.

وله كتاب آخر سماه (فحول الشعراء)، جمع فيه طائفة من أشعار الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، وله كتاب ثالث ذكره البديعي اسمه (الاختيار من الشعراء)، وله أيضاً كتاب الوحشيات^(١١).

كان أبو تمام واسع الحفظ مطلعاً على تراث العرب في الشعر والأخبار، فقليل إنّه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقاطيع والقصائد، كما كان مفرط الذكاء، فقد ذكر أنّ الفيلسوف الكندي قال لأحمد بن المعتصم: أي شيء طلبه فأعطه، فإنّه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً؛ لأنّه ظهر في عينه الدم من شدة الفكرة^(١٢).

كان أبو تمام ذكياً فطناً فروى الصولي «أنّه لما وقف بين يدي أحمد بن المعتصم يمدحه، وكان في مجلسه الكندي الفيلسوف، فأنهى إلى قوله:
إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
قال له الكندي: الأمير فوق من وصفته، فأطرق قليلاً ثم قال:
لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
فعجبوا من سرعته وفطنته»^(١٣).

ب - مذهبه الشعري:

ذكر الأصفهاني أنّ لأبي تمام مذهباً في (المطابق)، وإن لم يكن قد ابتدعه، إلا أنّ له فضل الإكثار فيه، والسلوك في جميع طرقه^(١٤)، فاهتدى

(١١) البديعي (هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام) ص: ٤٦.

(١٢) الصولي (أخبار أبي تمام) ص: ٨٦.

(١٣) المصدر السابق.

(١٤) الأصفهاني (الأغاني) ص: ٤٥٣/١٤.

إلى مفهوم ابتدعه سماه (نوافر الأضداد) كان وضّحه في قوله^(١٥):

قد بَشْتُمُ غَرَسَ المودَةِ والشَّحْـ
سَاءَ في قلبِ كُلِّ قَارٍ وبادي
أبغضوا عِرْزُكُمْ وَوَدُّوا نَدَاكُمْ فَقِرَاكُمْ مِنْ بَغْضَةِ وَوَدَادِ
لا عدْمُكُمْ غَرِيبَ مَجْدٍ رَبَقْتُمْ في عُرَاهِ نَوَافِرِ الأضدادِ

وكذا كان ممن أثر الاعتماد على (المجانسة) في الكلام، وقد أدى به ذلك إلى ضرب من الغموض، ولم يكن ميله الشديد إلى المجانسة الولع بتحسين هيئة الألفاظ بمقدار ولعه بتعميق الكلام والغوص وراء النادر والفريد واصطياد المعاني الدقاق، وما يمثل تلك النزعة لديه قوله^(١٦):

ثنتانِ كالقمرينِ حُفَّ سناهما بكواعبٍ مثلِ الدَّمي أتراب
من كلِّ ريمٍ لم تَرُمُ سوءاً ولم تَخْلِطُ صِباً أيّامها بتصابِ

فقوله: (من كل ريم) أي: من كل امرأة حسناء كالريم، وواضح أن هذه الاستعارة قد جاءت في سياق لفظي مزركش (ريم/ ترم) و(صبا/ تصاب)، ويخال الدارس أن أبا تمام هنا صرف كامل طاقته للعناية بالبديع، والواقع أن هذه الملاحظة تتعلق بالصورة الخارجية للكلام، أما صميم القول هنا فمؤسس على إنتاج معنى جديد، لم يسبقه إليه أحد في حدود معرفتي، وهو معنى مولد استأصله الطائي من رحم الرؤية الفنية العربية للجمال الأنثوي، فقد اعتاد الشعراء تشبيه المرأة بالظبية أو الرثم، وجهة الشبه عادة تكون في جمال الحركات وتناسق الأجزاء، واللطف والنعومة والانطلاق والتوثب والضمور وغير ذلك مما يعبر من خلالها الذوق الشعري عن المرأة التي

(١٥) أبوتمام (ديوانه) تح عزام ص: ١/ ٥٩، قار: بعيد.

(١٦) المصدر السابق ص: ١/ ٣٤ القمران: الشمس والقمر، جارية كاعب: نهذ ثديها، الدمية:

واحدة الدُّمى وهي الصورة، أتراب: جمع ترب وهو المقارِبُ في السنِّ.

تفيض شباباً وحيوية، وأبو تمام فيما نسميه تناصاً في لغتنا النقدية الحديثة تناول هذه الصورة المتداولة، ولكنه انعطف بها لتنبثق منها فكرة جديدة كلّ الجدة، وذلك في قوله (لم ترم سوءاً)، وهو هنا لا يستهدف إقامة الجناس بين ريم وترم فحسب، وإنما استهدف توليد معنى من معنى سابق، فالمعنى السابق أن الحسناء تشبّه بالريم، والمعنى المولد أن هذه الحسناء التي أشبهت الرئم، في أنها (لم ترم سوءاً)، والسوء الذي يعنيه هو التصابي، لهذا قال: (ولم تخلط صبا أيامها بتصاب)، ومن عجب أن تكون الصبية متصابية، ومن عجب أيضاً أن تفسد صباها بالتصابي كما يريد أبو تمام، فالتصابي هو الرجوع إلى الصّبا، فكيف تكون الصبية من دون الصبا الذي سماه الشاعر تصابياً، هل يريد حسناء رزينة، جمالها تمثالي عقلي ساكن، لتكتمل لديه لذة التأمل العقلي؟

هذا منحى غامض يكتنف الصورة الفنية عند أبي تمام، وقد دقت خيوط الأفكار فيها، فأضحت مقاصده في خفاء، لهذا استدعى كلامه التأويل والتفكير والكد لتبقى اللذة العقلية التي رمى إليها من خلال صورته المذكورة أنفاً شاخصة مع أنها مصدر الغموض وغايتها في آن واحد.

لقد كان أبو تمام على رأس المجددين الذين انتقلوا بالصورة من طور التقليد الجامد، إلى شكل من المحاكاة التي تتيح له التجديد في ضوء ما آلت إليه لغة الشعر في العصر العباسي، فخروجه على عمود الشعر لا يعني أنه خرج نهائياً على تاريخ الفن، أو أنه تجاوز الموروث الذي حصلته الجماعات الأولى تجاوزاً كاملاً، وإنما وجد لنفسه حيزاً ليعبر عن ذاته في جنبات التراث الشعري الثري الذي انتهى إليه، وقد تجلى تجديده على نحو خاص في موضوع الصورة الشعرية، إذ حطم الأبعاد التي كانت تحد

التشبيهاً والاستعارات، وخرج بها إلى أفق واسع لا يتناهى، فعمد إلى الصور الذهنية والتعبير العقلية التي تكشف عن خلاصة رؤيته الكونية، وقد كان مفهوم المقاربة في التشبيه، من ركائز فكرة عمود الشعر التي صاغها المرزوقي صياغة جلية في مقدمة شرحه ديوان حماسة أبي تمام. وقد كان مراد أبي تمام من تخطيه تلك المفهومات إطلاق اللغة من الإسار الذي لبث فيه في القرون السابقة، من أجل ذلك تطالعنا صور تنتصر فيها الدلالة على المعنى في قصيدته التي منها قوله^(١٧):

عدلاً شبيهاً بالجنون كأنما قرأت به الورهاء شطر كتاب

فهذه الصورة تثير في ذهن المتلقي تساؤلات لا تنتهي، فمن جهة عمد الشاعر إلى شيء من التعقيد لما ضمن الباء في قوله (بالجنون) معنى التشبيه^(١٨)، ومن جهة أخرى عمد إلى المجاوزة فأهمل شرط المقاربة بين المشبه والمشبه به فجعل:

العدل كالجنون/ والعدل والجنون كحمقاء تقرأ في كتاب مقطوع.

ويحسن التساؤل هنا ما العلاقة بين العدل والجنون هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ما العلاقة بينهما وبين الحمقاء التي تقرأ في كتاب مقطوع؟ ومن ثمَّ ما الدلالة التي ترجحها القراءة هنا؟

في الواقع لا علاقة واضحة بين الأطراف الثلاثة التي تشكل الصورة الأنفة، أو أنها مستورة، وليس ذلك فحسب بل إن ما هو مستور قد يكون غاية الصورة لشدة تأثيره في النفس، ومعلوم أن الشاعر كان منصرفاً إلى التأثير في السامع بطريق صدم إحساسه بتعبير غير معهود، فأصل علاقة بين

(١٧) ديوان أبي تمام ص: ٣٤ / ١، الورهاء: الحمقاء.

(١٨) الصولي (أخبار أبي تمام) ص: ٧٨.

المفردات على نحو جديد، وإذا كان مؤدى التأثير في السامع من وجهة نظر أبي تمام يبرز في قدرة الكلام على إثارة الجمال في نفس المتلقي، فلسنا نعجب بعد ذلك، أن يكون ما هو مستور من جهة العلاقة بين العناصر المكونة للصورة صنو الجمال الرائع الذي يسعى إليه المنشئ في الآثار الأدبية الرفيعة، وقد تجلى الجمال في صورته الباهرة في القرآن الكريم، ولا سيما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٤ - ٦٥].

فلو تأملنا الصورة القرآنية أدركنا دلالة المشبه الذي هو الشجرة، ولكننا لا نستطيع إدراك ماهية المشبه به المتمثلة برؤوس الشياطين حتى نستخلص الجوانب الواضحة من التشبيه، وكل ما نحمله في أنفسنا من هذه الصورة هو ذلك الشعور الذي يولد فينا إحساساً بالرهبة والروعة والخوف، وهذا مؤدى الكلام على الجمال الباهر الذي هو على غاية من الروعة، وإن بدا في طرف منه مستوراً. مما يعني أن الصورة الأدبية تنقل الجمال بغير منطوق، أو أنها تستن منطوقاً جديداً لنفسها، وهنا يتركز فعل الإبداع، وعليه فإن أدبية النص تتركز في هذه الناحية التي تصور لدى القارئ إحساساً غريباً يضطرم في الجوانح ممزوجاً بالثورة على المعهود ومأخوذاً بالاحتذاء في آن معاً. إن الصورة وحدها تنقل كل المتناقضات دفعة واحدة، أو أنها تقدم للقارئ دلالات كثيرة في جرعة واحدة، ومن هنا نراها تتخلى عن كونها حلية أو زينة، لتتحول إلى أداة لتوليد دلالات لا تنحصر، وقد برز ذلك في قوله^(١٩):

لو أن دهرًا ردَّ رجعَ جوابٍ أو كفَّ من شأويه طول عتاب
لعدلتُهُ في دمتين بأمرٍ ممحوتين لزنب ورباب

(١٩) ديوان أبي تمام، ص: ٤٧/١.

فجعل في البيت الأول للدهر شأوين، ولم ندر ما الشأوان اللذان قصدهما، فهل أراد أن للدهر عادتين أو عملين يقوم بهما على الدوام، كأن يكون بانياً وهادماً في آن، فهذا المعنى ترجحه الدلالة الظاهرة على الأقل، والأهم من ذلك التصوير أو التعبير بالتضاد هنا، بمعنى النظرة الشاملة لعمل الدهر، مما يشي بعمق فلسفته، إذ هو مثلاً لم يقصر تأمله على حال الدهر بوصفه هادماً، بل أشار إلى الحال الأخرى التي تظهره بانياً، ولكن في غير موضوع الطلل، والذي دفعه إلى ذكر هاتين الحالين إقامة التضاد في الكلام ولا شيء سوى ذلك، والحق أن في ذلك الصنيع بناء فكرياً لا يتم إلا بتمام القضية، لأنه لم يرد وصف الحال التي عليها الأطلال، ولو أراد ذلك لقال كما قال الآخرون إن الدهر هدم الطلل وكفى، وإنما أراد استفراغ طاقة الفكر في التأمل، ليخرج من دائرة الطباق البلاغي، إلى مضمار التضاد الفلسفي الذي يفهم منه الإحالة على الدقة والشمول فيما يخص المفهومات التي يعرضها في شعره، من أجل ذلك لا تجد في عموم شعر أبي تمام مفردات يعينك المعجم على توضيح معانيها، بل تجد مفهومات ومصطلحات تنم على فكر عميق يشحن اللفظ بكثير من الدلالات والمعاني، لهذا احتاج شعره إلى التفكير، وجاز في ذلك حدود الشعر الذي يحمل بين أطوائه مفردات وعبارات وصوراً تخلق في نفسك تخيلاً ممتعاً، إلى مضمار الفكر الذي يدفعك إلى التأمل ليخلق في الذهن لذة عقلية، وكذا قوله في القصيدة نفسها^(٢٠):

ثتانِ كالقمرينِ حُفَّ سناهما بكواعٍ مثل الدمي أتراب
من كلِّ ريمٍ لم تَرُمُ سوءاً ولم تخلطُ صبا أيامها بتصاب
إن كلام أبي تمام في البيت الثاني على صبيّة لم يفسد التصابي شبابها

يفضي إلى لون من الجمال التمثالي الرزين، وهذا معنى منوط بحال من التأمل الفني، فهل كان أبو تمام في حياته ينحو إلى مثل ذلك الجانب الفكري؟ بالعود إلى سيرته نجد أنه عاش نحو أربعين عاماً^(٢١)، وقد كان على نحو ما يصور ابن المعتز أكثر الناس عبثاً، فقال: «قال الحسن بن رجاء الضحاك: كنا مع أمير المؤمنين المعتصم بالرقعة، فجاء أبو تمام وأنا في حراقتي، فجعل ينشدني ويلتفت إلى الخدم والغلمان الوقوف بين يدي، ويلاعبهم ويغامزهم، وكان الطائي من أكثر الناس عبثاً»^(٢٢). ومع عبثه ومجونه في حياته، إلا أنه كان كثير التعفف في شعره، إذ يقول^(٢٣):

أبرقت لي إذ ليس لي بَرَقُ فترحزحي ما عندنا عشقُ
ما كنتُ أفسقُ والشبابُ أخي أفحينَ شبتُ يجوزُ لي الفسقُ
لي همّةٌ عن ذلك تردُّعني ومرَّكَّبٌ ما خانهُ عِرْقُ

إذن تطالعنا لأبي تمام صورتان: صورة ينقلها الرواة بدا فيها لاهياً عابثاً، وصورة مثالية رسمها شعره، وقد بدا فيها فاضلاً عفيفاً جليلاً، ونحن في واقع الأمر نطمئن إلى الصورة الشعرية، أكثر من الصور التي تناقلتها الأخبار، لأنها الصورة المثالية التي أراد تثبيتها من خلال الفن، وهي صورة تتسق هي واتجاهه الشعري عامة، ذلك لأنه شديد النزوع فيها إلى الحكمة والتأمل والتفكير، وهذا يوشك أن يكون المدخل الصحيح لدراسة شخصية أبي تمام بوصفه من أكثر الشعراء تعلقاً بالفكر وبالعقل، من أجل ذلك بدت تأملاته موضوع الجمال الأنثوي تثبت تلك الصورة التي رسمها لنفسه

(٢١) ولد أبو تمام نحو سنة ١٩٠هـ وتوفي سنة ٢٣١هـ.

(٢٢) ابن المعتز (طبقات الشعراء) ص: ١٤٥.

(٢٣) ديوان أبي تمام ص: ٢/٢٣٣.

شعرياً على الأقل، ومن هنا نجد أنه في تأمله الجمال يصب في تلك الناحية التي تصوره منحازاً إلى الجمال الجليل، أو بلغة أخرى الجمال التمثالي الأسر أو إلى الجمال السرمدى الخالد المتمثل بالجمال التمثالي الساكن. ومن الطريف أن شاعراً معاصراً لنا كعمر أبي ريشة قد نزع هو الآخر إلى ذلك الجمال الساكن الذي أشار إليه أبو تمام في قوله الأنف في قصيدة له سماها «حسنا» جاء فيها^(٢٤):

حسنا ما أقسى فجاءات الزمان الأزور

أخشى تموت رؤاي إن تتغيري

... فتحجري

لقد أثار أبو تمام من خلال غوصه وراء غوامض المعاني النقاد في عصره، إذ استنكر ابن الأعرابي شعره هذا، فقد روي أنه قال: «إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل»^(٢٥)، وليس ذلك فحسب بل ترك شعر أبي تمام جمهور النقاد في خُلفٍ واسع، إذ أنكر عليه قوم من النقاد قوله^(٢٦):

لا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبُّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

فدافع عنه الأمدى، مع أنه انحاز في موازنته إلى البحتري فقال: «فقد عيب عليه، وليس بعيب عندي؛ لأنه لما أراد أن يقول: قد استعذبت (ماء بكائي) ليقابل ماءً بماءٍ، وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠] ومعلوم أن الثانية ليست سيئة وإنما هي جزاء السيئة»^(٢٧).

(٢٤) ديوان أبي ريشة، ص: ٢٦٧.

(٢٥) المرزباني (الموشح) ص: ٣١١.

(٢٦) ديوان أبي تمام ص: ٤٥/١.

(٢٧) الأمدى (الموازنة) ص: ٢٦٦.

ج - نزعتة العقلية:

كان أبو تمام من أوائل الشعراء الذين آثروا التعمق في الأفكار، وقد عبّر عن تلك النزعة في شعره لما عدّ الشعر نتاجاً عقلياً محضاً فقال^(٢٨):

ولو كان يفنى الشعرُ أفناه ما قرثُ حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوبُ العقول إذا انجلتُ سحائبُ منه أُتبعَتْ بسحائبِ

قال ابن المستوفي: «يريد لو كان للشعر فناء لأفناه كثرة عطائك قبل وبعد، ولكنه مما صبت عقول الشعراء وأذهانهم، فإذا انكشفت سحائب من ذلك أعقبتها سحائب من الشعر فلا فناء له أبداً»^(٢٩).

وكذلك تنبه على صلة الشعر بالفضيلة والأخلاق، فاقترب من رأي أصحاب نظرية الفن للفن، الذين يرون أنّ الجمال لا يتحقق إلا في الفن وحده، ومن أشهر الفلاسفة في هذا الباب الإيطالي كروتشي (ت ١٩٥٢م) الذي زعم أن جمال الفنّ عنده الحدس المرتبط بالتعبير، وعليه فإنّ الجمال بعيد عن التصورات المشهورة المتمثلة بالروعة والرقّة والمأساة والملهاة، لأنّها مقولات نفسية يخامر بعضها السرور واللذة والألم، وهذه تتصل عنده بالجانب العضوي الفيزيولوجي أكثر من اتصالها بجوهر الفن^(٣٠).

والحق أنّ نظرية «الفن للفن» شغلت حيزاً واسعاً في التفكير النقدي، إذ كانت نقيضاً لنظرية «المحاكاة» التي تعدّ الطبيعة أصلاً والفن تقليداً، في حين زعم أصحاب نظرية «الفن للفن»، أنّ الفن هو الأصل وفيه تتحقق فكرة الجمال، ذلك لأنّ الجمال كامن في الطبيعة وليس بشيء إلا إذا أشار إليه الفن،

(٢٨) ديوان أبي تمام ص: ٤٩/١.

(٢٩) ابن المستوفي (النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام) ص: ١٣٣/٢.

(٣٠) اليافي، عبد الكريم (بدائع الحكمة) ص: ٨٩.

فنحن عملياً نتنبه على الجمال في الطبيعة إذا دلنا عليه الفن، وبهذه الصورة يغدو الفن كأنما هو خلق الجمال وذلك بإشارته إليه، بمعنى أنه يخلق الإحساس بالجمال لدينا، والأمر يصدق على سائر القيم التي يسهم الفن في إيجادها وخلقها، وقد أشار أبو تمام الطائي إلى هذا المعنى في قوله^(٣١):

ولم أرَ كالمعروفِ تُدعى حقوقُهُ مغارمَ في الأقسامِ وهي مغانمُ
وإنَّ العُلا ما لم ترَ الشُّعرَ بينها لكالأرضِ غُفلاً ليسَ فيها مَعالمُ
وما هو إلا القولُ يسري فيغتدي له غُررٌ في أوجهِ ومواسمُ
يُرى حِكمةً ما فيه وهو فُكاهةٌ ويُقضى لما يَقضي له وهو ظالمُ
ولولا خِلالُ سنِّها الشُّعرُ ما درى بُغاةُ العُلا من أين تُوتى المكارمُ

يريد أن الشعر أوجد الفضائل والمثل، ولولاه هو لم يهتد الناس إلى مكارم الأخلاق، وقوله: (ويقضى لما يقضي له وهو ظالم) أي إن من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه إصابة للمعنى وقصداً للصواب. والحق أن الشعر كما قال ابن عباس ديوان العرب^(٣٢)، أي إن العرب دونت فيه ما تنهى إليها من معارف وقيم، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «الشعر علم قوم لم يكن لديهم علم أصح منه»^(٣٣)، لهذا انطوى الشعر على كثير من الفضائل، وليس ذلك فحسب، بل زعم أبو تمام الطائي أن الشعر هو الذي أوجد الفضائل والمكارم، من أجل ذلك احتفلت العرب بالشعر كل هذا الاحتفال فقيل: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين»^(٣٤).

(٣١) ديوان أبي تمام ص: ٢١١/٣.

(٣٢) ابن سلام (طبقات فحول الشعراء) ص: ٤٧/١.

(٣٣) ابن رشيقي (العمدة) ص: ٣٥٥/١.

(٣٤) المصدر السابق.

وقال أبو تمام أيضاً^(٣٥):

إنَّ القوافيَ والمساعي لم تزل مثلَ النظامِ إذا أصاب فريدا
من أجل ذلك كانتِ العربُ الألى يدعون هذا سؤدداً محمّودا
وتندُّ عندهمُ العُلا إلا عُلاً جُعلتُ لها مررُ القريضِ قيودا
لم يكن الشعر عند أبي تمام وسيلة للتعبير عن أغراض وجدانية أو موضوعية، بل استحال قيمة كسائر القيم وفضيلة من أسمى الفضائل، من أجل ذلك قال: (وتند عندهم العلاء) بمعنى تشرّد وتضل، واستثنى الفضائل التي يقيد بها الشعر، ويمنعها من الشرود؛ لأنه يثبتها في وجدان العرب.

إن أبرز ما يوضح مذهب أبي تمام الشعري المؤاخاة التي ثبتها بين الشعر والفكر، إذ الشعر عنده صنعة الفكر والتأمل، من أجل ذلك كان دائم البحث عن معانٍ جديدة تبرز تلك العلاقة التي بدت مفقودة بين الشعر العربي القديم والأفكار الفلسفية العميقة، وعليه أضحى الشعر عنده وليد الفكر وفي الوقت نفسه غدا مجالاً للتأمل بغية تهذيبه وتنقيحه ليخرج سليماً من العيوب، يقول:

خذها ابنة الفكر المهذب في الدُّجى والليل أسود رقعة الجلباب

يقول ابن أبي الإصبع: «إنما خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات وتسكن الحركات، فيكون الفكر فيه مجتمعاً والخاطر خالياً، ولا سيما في وسط الليل، عندما تأخذ النفس حظها من الراحة، وتنال قسطها من النوم ويخف عنها ثقل الغذاء، فحينئذ يكون الذهن صحيحاً والصدر منشرحاً والقلب منبسطاً...»^(٣٦).

لم يكن شعر أبي تمام قد حظي بقبول واسع عند متلقي الشعر عامة في

(٣٥) ديوان أبي تمام ص: ٢٥٥/١.

(٣٦) ابن أبي الإصبع (تحرير التحبير) ص: ٣٢٢.

عصره، وربما كانت مقولة ابن الأعرابي «إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل» يصور تصويراً واضحاً ذلك الصدود الذي أبداه نفر من النقاد عن شعره، ذلك لأنه شعر يحمل علامات جديدة ومزايا لم تكن في متناول الشعراء السابقين، ومن المتوقع أن يحدث مثل ذلك النفور من شعر يخرج خروجاً واسعاً على سنن الشعر القديم، ولعل أبرز ما يصور اعتماده على الأفكار الدقيقة والمعاني العقلية تلك الشواهد التي تحيل شعره متوناً تستغلق فيها المعاني على عامة الناس، مثلما تنغلق دلالاتها على جمهور غير يسير من النقاد، فخروجه على عمود الشعر ليس بشيء إزاء ميله الواسع إلى المعاني الدقيقة والأفكار المعقدة، ومن الطريف أن شعر أبي تمام الذي لم يلق قبولاً لدى جمهور الشعر في عصره أضحى اليوم أكثر استجابة لطرائق التحليل الأدبي المعاصرة، لملاسته الجوانب الفكرية التي تمخضت عن تطور الفكر الحديث، ولا سيما ما اتصل منها بالمبحث الجمالي، ويعجب المرء من شدة اقتراب شعر أبي تمام في أغلب نماذجه من تأملات الفلاسفة الجمالين، خاصة فيما تعلق بمفهوم الجمال والرقّة والروعة، ذلك لأن أبا تمام صدر في كثير من نماذجه عن فكر عميق يشي برؤية كونية لم يتح لكثير من شعراء عصره التعبير عنها بمثل الوضوح الذي عبر به أبو تمام عن قضايا شديدة الاتصال اليوم بموضوعات علم الجمال، ويكفي هنا لتبان تلك الناحية، أن نعرض نموذجاً من شعره، تمثل بقوله^(٣٧):

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر	وغدا الثرى في حليه يتكسر
نزلت مقدمة المصيف حميدة	ويد الشتاء جديدة لا تُكْفَرُ
لولا الذي غرس الشتاء بكفه	قاسى المصيف هشائماً لا تثمر

كم ليلة آسى البلاد بنفسه فيها ويوم وبله مثنىجر
 مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يمطر
 غيثان فالأنواء غيث ظاهرٌ لك وجهه والصحو غيث مضمُرٌ
 يا صاحبي تقصّيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور
 تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر
 دنيا معاش للورى حتى إذا حلّ الربيعُ فإنّما هي منظرٌ
 أضحت تصوغ بطونها لظهورها نوراً تكاد له القلوب تنورُ
 من كلّ زاهرة تفرق بالندى فكأنّها عينٌ إليك تحدرُ
 تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها عذراءُ تبدو تارة وتحفّرُ

يتصل هذا النص اتصالاً شديداً بمفهوم الرقة كما عبر عنه علماء الجمال، ذلك لأن الرقة ناجمة عن الحركات اللطيفة أو أنها صفة الحركات الرشيقة اللطيفة، حين تناسب سهولة لينة، لا أثر فيها للنصب أو الجهد أو العنف، تصدر عفواً، تتلاحق أجزاءها تلاحقاً رقيقاً متسلسلاً كالماء المنسجم، ذلك لأن الرقة تنافي العنف والاصطدام والاحتكاك^(٣٨).

إن الرقة التي تمثلت في النص الأنف صدرت عن حركة الفكر قبل كل شيء، يقول (فريدريك فيشر): «الرقة هي التعبير عن حركة الفكر الحية في الشيء»^(٣٩)، إذ رسم أبو تمام في نصه الأنف لوحة نابضة للطبيعة، لخص من خلالها رؤيته الكونية، وفكره العميق، لذا أمسى مثل هذا الشعر معرضاً للتأمل، بعد أن كان الشعر قبله تعبيراً عن هواجس النفس وخطرات

(٣٨) اليافي (بدائع الحكمة) ص: ٩٥.

(٣٩) المرجع السابق.

الوجدان، انظر إليه كيف يستنبط بفكره ما غمض في الطبيعة الصامتة إذ تجلى له الصحو في المطر، أي إن الصحو كامن في المطر ككمون المطر في الصحو، وهذا ضرب من الجدل الذي يمكن أن يرتقي إلى العقل أي جمع الشيء والنقيض معاً ليفضي ذلك إلى شيء من التكامل الناجم عن اجتماع المتضادات، وهذا ضرب من التفكير العقلي، ثم يتنبه على فكرة أخرى تفضي إلى أن الربيع نتاج ذلك التضاد، فقال: غيثان مضمر وظاهر ينجم عنهما ربيع يطرز وجه الأرض، فيتمثل في نهار الربيع تضاد: نهار مشمس شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر، والقمر لا يظهر إلا في الليل بحسب الصورة، وأما بحسب الفعل فالليل كامن في النهار والقمر موجود في النهار وهذه فكرة صحيحة، وأما إخراج الفكرة الكامنة في النص فيمثلها قوله: «نوراً تكاد له القلوب تنور»، يعني أن رقة الأزهار في الطبيعة تحمل على التعاطف، أو كما قال (برغسون): نحن «نحس بنوع من الاستسلام لدى كل ما هو رقيق لطيف، وكأن هذا الاستسلام تعطف منه وتنزل، فمن تأمل الكون بعيني فنان استشف الإحسان من خلال الرقة»^(٤٠).

والمثير في الأمر أن النص بدأ بقوله «رقت حواشي الدهر»، فهل كان في وهمه وهو ينسج ذلك النص التعبير عن الرقة؟

يقول أصحاب المعجمات إن الرقة تستعمل لوصف الثياب، فيقال: ثوب أرق من الهواء، وقوله (رقت حواشي الدهر) أي طاب نسيمه، فلم يبعد عن الدلالة المعجمية، إلا أنه شحنها بالفكر ولا سيما في قوله: (غيثان فالأنواء غيث...)، فقال المرزوقي: «يريد: أتى على الأزاهير مطران أحدهما مطر بالأنواء وشاهده الناس، والثاني صحوة المرتوي الذي يكاد من

(٤٠) اليافي (بدائع الحكمة) ص: ١١١.

الغضارة يمطر، فهو غيث آخر مضمّر لا يشاهد»^(٤١)، وهذا الذي أدركه أبو تمام بفكره، بدا له الصحو يضمّر المطر، والمطر يضمّر الصحو، وهذا المقصود بحركة الفكر الحية التي تفضي إلى الرقة.

لقد اجتمعت في شعر أبي تمام عامة رقة الإحساس وقوة الفكر، إذ الإحساس شدّه إلى حيز الشعر، وفي الوقت نفسه نأى به عن النظم، والفكر ثبت صلته بالعقل وبالفلسفة، ونادراً ما تحققت تلك الثنائية في شعر شاعر، من أجل ذلك كانت تلك الصفة من أهم السمات الفنية التي تميز شعره من شعر غيره، يقول المفكر والشاعر الألماني (شيللر): «إن الرقة تجمع بين ضدين هما العقل والإحساس، فثمة نفوس مختارة تجمع بين هذين الضدين جمعاً عفويّاً دون جهد ولا عسر، فتحوز صفة الجمال الرقيق، والرقة بهذا المعنى هي التعبير الحسي لنفس جميلة، وهي شكل الحركة التي تشف عن الإرادة الحرة»^(٤٢).

وخلاصة القول: ثمة نقطتان يمكن أن نغلق الكلام فيهما على أبي تمام ومذهبه الشعري، الأولى: أنه ذو تفكير بمسألة الشعر، ولم يكن تفكيره فيه منصباً على سنّ رسوم تلزم الشعراء اتباعها، وإنما سلك مسلكاً تجريبياً في هذا الباب، فجعل الشعر ميداناً لتفكيره، بمعنى آخر: مسألة الجمال لم تكن قبل أبي تمام تقدم للمتلقين خارج(*) [اللغة؛ بل] كان الشعر لديه تعبيراً عن الفكر والجمال، من أجل هذا قوبل ذلك الشعر برفض جمهور المتلقين، والسبب أن الذائقة الفنية آنذاك كانت تريد الشعر تعبيراً تلقائياً عن خواطر الوجدان، ولا تريده نتاجاً من الأفكار العميقة والمعاني الدقيقة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية

(٤١) ابن المستوفي (النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام) ص: ٣١١/٢.

(٤٢) اليافي (بدائع الحكمة) ص: ١٠٧.

(*) كذا وردت في الأصل. [المجلة].

لم تكن اللغة(*)، وقد أسست الثقافة الجمالية أساساً على تذوق اللغة، وقد أراد أبو تمام زحزحة التلقي الذي لم ير معنى للجمال خارج اللغة، فمن هنا كان الخلاف بين أبي تمام وعلماء اللغة قائماً حول شحن أبي تمام الألفاظ بدلالات تخالف الأعراف اللغوية، وهو ما يسمى اليوم انزياحاً دلاليّاً، وكذلك مجاوزته المقاربة في التشبيهات والمناسبة في الاستعارات، فهذا كله أفضى إلى الغموض والانغلاق على المستوى الدلالي، وغاية أبي تمام من كل ذلك التعبير عن جمال غامض، فدخل الشعر على يديه ليخوض في غمار يكاد يكون مبهماً لقلة العلامات والصوى التي تمثل رصيلاً للجمهور الذي وجد نفسه أمام شعر غاية في الغموض وفي نهاية الإبهام.

والثانية: أن الرؤية الجمالية عند أبي تمام لم تشمل المعاني الشعرية، وإنما شملت الأدوات التي يُؤدى الشعر بها، أعني الوسائل التصويرية البيانية والبديعية، فلم يستعمل التشبيهات لما وضعت له ولم يَجْرَ في بناء الاستعارات على نحو بنائها عند المتقدمين، وإنما أصبح التصوير وسيلة للتعبير عن رؤاه الجمالية، وأداة للتعبير عن حركة الفكر، لتتم له أسس الصناعة العقلية للشعر.

المصادر والمراجع

- أخبار أبي تمام، الصولي، تحقيق محمد عبده عزام، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: الأبياري ط دار الشعب القاهرة ١٩٦٩م.

(*) كذا وردت في الأصل. [المجلة].

- بدائع الحكمة - فصول في علم الجمال وفلسفة الفن ، د. عبد الكريم اليافي، ط دار طلاس دمشق ١٩٩٢ م.
- البديع، ابن المعتز، تح: كراتشوفسكي ط دار المسيرة بيروت ١٩٨٢ م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٨٤ م.
- تحرير التحرير، ابن أبي الإصبع، تحقيق حفني شرف طبع بمصر ١٩٦٣ م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر نشر مكتبة الخانجي بمصر.
- ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام ط دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م.
- ديوان أبي ريشة، طبع بيروت ١٩٨٤ م.
- ذيل مرآة الزمان، اليونيني، تحقيق كرنكو طبع بحيدر آباد الدكن.
- طبقات الشعراء، تحقيق أحمد فراج، طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥ م.
- العمدة، ابن رشيقي، تحقيق محمد قزقان ط دار المعرفة بيروت ١٩٨٨ م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحثري، الأمدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط بمصر ١٩٤٤ م.
- هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام، يوسف البديعي، تحقيق محمود مصطفى طبع القاهرة ١٩٣٤ م.
- الوافي بالوفيات، الصفدي، نشر جمعية المستشرقين الألمان.

نظام الجملة في اللغات السامية

د. عدي حسين علي (*)

مدخل

اتجهت الدراسات اللغوية المقارنة إلى توصيف جملة من المقاربات الصوتية والصرفية والدلالية، ونأت قليلاً عن الجانب التركيبي باعتباره منحى يتصف بالصعوبة مقارنةً بالمستويات اللغوية الأخرى، فالتركيب جانب تطبيقي يعتمد اعتماداً رئيسياً على الترجمة الحرفية للغات الأخرى، فضلاً عن الدراية المثلى بقواعد اللغات المتأخية، ولاسيما الأرومة اللغوية الواحدة، فكانت محاولات الباحثين تتسم بالقلة واليسر، ويمكن وصفها بالشحيجة إذا ما قيست بمستوى الدراسات الأخرى، وهذه إحدى المحاولات التي ارتأت أن تستجمع بعض الشذرات، إذ قام المختصون بالمنهج المقارن أن يقفوا على جملة من المواطن التي جمعت الاختلاف والائتلاف بين أخوات العربية. ومع أن هذه الوقفات لم تستوف جوانب النظام التركيبي، فإنها جديرة بالذكر؛ لكونها الروافد الرئيسة في الدرس النحوي المقارن.

تُعد الجملةُ المثالُ المنطقيُّ المجرّد للجانب التركيبي ضمن المستوى النحوي، باعتبارها أصغر وحدة إسنادية، ولاسيما الجملة الاسمية والجملة الفعلية، فهذان المصطلحان يمثلان النظام التطبيقي النحوي، ويعدان نقطة

(*) كلية التربية - الجامعة المستنصرية - العراق.

الولوج إلى العلاقات الإسنادية الأخرى، إذ حوى البحث على هذين المفهومين وعلاقة العربية بأخواتها من اللغات ضمن هذا الإطار، ومدى التجاذب والتناظر بين التراكيب المختلفة، فضلاً عن التأصيلات والتأثيرات بين لغة وأخرى.

الجملة الاسمية:

تعد الجملة الاسمية مظهراً نحويّاً بارزاً في اللغات السامية^(*)، فهي بطبيعتها حالها لها ميزات وخصائص كثيرة، إذ تتفق الجملة العربية مع أخواتها في مواطن كثيرة، وبالمقابل هناك اختلافات وتقاطعات سيوضح البحث بعضاً منها. المعلوم أن الجملة الاسمية أخذت في تعريفها اتجاهات مختلفة من حيث شكلها ودلالاتها، وستبين دلالتها وأقسامها في السطور الآتية من البحث، فالجملة الاسمية في اللغات السامية هي التي تقوم على ركني الإسناد: المسند إليه والمسند، وإن القاعدة النحوية العربية قد وضعت شكلاً عاماً للمبتدأ والخبر، وهو قاعدة أن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة^(١)، ويتضح أن اللغة الأكادية كانت مجردة من أداة التعريف، إذ كانت تحتوي الكلمة على التمييز الذي يقابل التنوين في العربية، فسواء كان الاسم الأكادي معرّفاً أو غير معرّف فليس فيه هذه الأداة^(٢)، إلا أن أداة التعريف قد استعملتها أخوات الأكادية من اللغات، ففي العربية (أل)، والعبرية (ha) وتقع في بداية الكلمة، والآرامية (ha) وتقع في نهاية الكلمة^(٣)، وفي السبئية (أم)^(٤)، وفي الحضرمية (هن)، والنون في لهجات

(*) يفضل استعمال اللغات الجزيرية أو العروبية القديمة [المجلة].

(١) ينظر: المقتضب: ١٢٦/٤.

(٢) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٦٢.

(٣) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٦٢.

عربية الجنوب^(٥)، وباستعمالها وعدمه فإنّ الجملة في اللغات السامية قد وردت في صيغ مختلفة من تعريف وتنكير وتقديم وتأخير وما يتعلق بهذا.

فالجملة الاسمية الأكادية تتميز بوجود ضمير منفصل، أو بوجود (ma) الرابطة، مثل: Add-sarramma، أي: حَدَدْ مَلِكُ، وهذه (ma) لها وظيفة العطف والتوكيد والاستدراك بحسب السياق الذي ترد فيه^(٦)، ولعل هذا الإلحاق في أواخر الكلمة يحتاج إلى ما يرتبط به أو يستدرك عليه، إلا أنّ فوزي رشيد لم يشر إلى ذلك، بل أورد الجملة الاسمية الأكادية بلا رابط، وإن الرابط (ma) المذكور غير موجود ضمن روابط الجمل عنده^(٧)، بخلاف عامر سليمان الذي ذكر هذا الرابط مع أداتين أخريين هما: us و lū، مثل: tu kulāni lūatta وتعني: أنت أملنا، وكذلك: Madadum radet warkātišu وتعني: مدام وريث التركة^(٨).

إن أغلب الدراسات لم تذكر وظيفة الرابط (ma) بالتحديد، ولم تشر إلى مقارناته ولاسيما في العربية، إلا أنّ سحر عقّاد استطاعت أن تجد امتداداً لـ (ma) هذه في العربية، فقد عدّت (ما) الكافّة^(*) امتداداً لها على اعتبار أنها رابطة لجملتين لا ترتبطان إلاّ بها، ذلك عند دخولها على الأفعال (قلّ، وطال)^(٩)، فتقول: قَلَّمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ، وَطَالَمَا رَأَيْتُكَ، ولا يجوز قولك: قَلَّ ذَهَبْتُ، أو طَالَ رَأَيْتُكَ، وهذا رأيي فيه سداد.

(٤) ينظر: ملامح في فقه اللهجات العربيات: ٣٤٥.

(٥) ينظر: قواعد العربية الجنوبية: ٥٨.

(٦) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ٥.

(٧) ينظر: قواعد اللغة الأكادية: ٦٩-٦٠.

(٨) ينظر: اللغة الأكادية البابلية الآشورية: ٣١٨.

(*) هذه (ما) المصدرية. أما (ما) الكافّة فهي الداخلة على حرف مشبه بالفعل. [المجلة].

(٩) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٥٣.

إن ما ذكر يناظر تقريباً العربية في تكوينها، ولكننا لو قارنا جملاً بين الأكادية والعربية فسوف نجد اختلافاً بين بعضها وبعض في نمط التركيب، فعلى سبيل المثال الجملة الأكادية التي تقول: ul ummi atti، وتعني: أنتِ لستِ أمي^(١٠)، فالمقطع (ul) بالأكادية يعني بالعربية (لا)^(١١)، وبذلك تكون الترجمة الحرفية للجملة الأكادية السابقة: لا أمي أنت، وهذا التركيب لا يوافق العربية، حتى وإن حصل تقديم أو تأخير في الجملة الأكادية.

ولا يردُ في الأكادية الخبرُ شبه جملةٍ أو يُكتفى به كما في العربية والعبرية وغيرها، مثل: ina matim sarraku وتعني: أنا الملك في البلاد، أي: أنا موجود في البلاد^(١٢)، وتنفرد اللغة الأكادية عن باقي أخواتها بأنّ خبرها لا يأتي جملة فعلية^(١٣)، وهذا النظام تتبع به النظام السومري في التركيب^(١٤).

أما الجملة الاسمية الآرامية فإنّها لا تختلف كثيراً عن نظام الجملة العربية من حيث الترتيب والتقديم والتأخير والأنظمة التي عهدتها، ولاسيّما الإخبار بالجملة الفعلية، يقال: النفسُ البسيطةُ تسجدُ: Ls·I üŷQs^(١٥)، وبذلك تتفق الآرامية مع العربية وتختلف مع الأكادية مع قرابتها منها، ولم تصف القواعد الآرامية أن المبتدأ النكرة لا يجوز الابتداء به إلا بشروط كما في العربية^(١٦)،

(١٠) ينظر: اللغة الأكادية البابلية الآشورية: ٣١٩.

(١١) ينظر: مقدمة في علم الأكاديات: ٨٥.

(١٢) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ١٨.

(١٣) ينظر: قواعد اللغة الأكادية: ٦، ولغة نقوش الممالك الآرامية (رسالة ماجستير): ٢١٧.

(١٤) ينظر: قواعد اللغة السومرية: ٥٧.

(١٥) ينظر: الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية: ٢٢، ولغة نقوش الممالك الآرامية (رسالة

ماجستير): ٢١٧.

(١٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢١٥ / ١.

يقال: غلامٌ كان يرعى جمالاً وحميراً: EX@T: ¼L½ LmÃ\ ١, fmxv (١٧)،
 ويزعم محمد محقق أنّ هناك تركيباً خاصاً بالسريانية الآرامية، أي غير موجود
 في سائر أخواتها، وهو دمج اسم الاستفهام الخبر المقدم بالمتبداً الضمير مع
 حذف أحد حروف الضمير، فيقال: منو، التي أصلها: من هو (١٨)، وهذا
 التركيب موجود في العربية وقد اصطلح عليه سيويه (باب من إذا كنت
 مستفهماً عن نكرة) (١٩)، وأظن أنّ الحذف هنا قد حصل لابتعاد الضمير عن
 شكله التعريفي، وهذا التركيب (من هو) يستعمل عادةً في الاستفهام عن
 معهود، إذ يقال: هناك رجلٌ قد فعل كذا وكذا، فتسأل: من هو؟ وبهذا يكون
 الضمير (هو) يعود على معهود، ولكنك إن سمعت الباب يُطرق، أو وجدت
 أرضك قد عُثب بزرها فإنك ستستعمل: منو؟ بلا عهد أو عودة، وهذا يجعل
 الضمير المرخّم يتصف بالإنكار دون الرجوع إلى قواعد الاسم النكرة.

ولا تختلف الآرامية التدمرية عن سائر أخواتها في تغيير النظام التركيبي
 للجملة الاسمية (٢٠)، وكذلك في آرامية الحضر (٢١)، ومن ذلك أنّ هناك جملة
 اسمية في آرامية الحضر تختلف في تركيبها عن العربية، وهي جملة: سنطروق
 ملكاً (٢٢)، وتعني: سنطروق الملك، وهذه الألف في آخر الكلمة هي أداة
 التعريف كالألف واللام في العربية (٢٣)، وفي هذه الحال يحسنُ الفصل بين

(١٧) ينظر: غرامطيق اللغة الآرامية والسريانية: ٣٢٦.

(١٨) المدخل إلى اللغة الآرامية: ١٠٦، والسريانية العربية الجذور والامتداد: ٨٦.

(١٩) ينظر: الكتاب: ٤/٤٠٩.

(٢٠) ينظر: مذكرات في قواعد الآرامية التدمرية: ٦٤.

(٢١) ينظر: آرامية الحضر: ٨٤.

(٢٢) ينظر: آرامية الحضر: ٨٥.

(٢٣) ينظر: آرامية الحضر: ٦٥.

هذين اللفظين (سنطروق، والملك) في العربية بضمير الفصل، على اعتبار أنّ المبتدأ والخبر معرفتان^(٢٤)، فيقال: سنطروق هو الملك، ولم تأت الآرامية بهذا التركيب، ومن جانب آخر تميل الحضرية في بناء الجملة الاسمية إلى حذف المبتدأ، أو الابتداء بالخبر، فضلاً عن استعمالها للمشتق ومعموله، مثل: مبارك عجا بن عسا أمام جنده ومذكور بالخير والحسنى^(٢٥).

أما اللغة السريانية وهي آرامية العصر المسيحي^(٢٦)، فليس هناك اختلافات جوهرية في نظام تركيب الجملة الاسمية بينها وبين العربية، ومما ورد مختلفاً عن النظام العربي، قول السريان: أفرام أوت نيبا، وتعني: أفرام كالنبي، ولقد نعلم أنّ هذه الكاف عند العرب للتشبيه، وهي (أك) بمعنى الأخ في السريانية، فجملة: أفرام أوت نيبا، تعني: أفرام أخو النبي^(٢٧)، وبذلك تكون السريانية قد افتقرت لأداة التشبيه (الكاف) واستعملت تركيباً مكوناً من مبتدأ وخبر، وقيل أيضاً: آخ عيني عدي عنين لوشخ، وتعني: كأعين العيد أعيننا إليك^(٢٨).

إن اللغة السريانية لا تخلو من حالات التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر، وتشبه أحكامها في ذلك بعض الأحكام العربية، إلا أنّ النحاة السريان قد أنكروا وجود ما يسمى (الخبر جملة فعلية)، فهم يعدون المتقدم هنا وهو الاسم المتصدر للجملة فاعلاً للفعل المذكور بعده^(٢٩)، وربما يكون هذا الأمر مقبولاً

(٢٤) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ١٦٨.

(٢٥) ينظر: بناء الجملة الاسمية في كتابات الحضر: ٤٦٨-٤٧١.

(٢٦) ينظر: السريانية نحوها وصرفها: ٩.

(٢٧) ينظر: موسوعة حلب المقارنة: ٢٨٩.

(٢٨) ينظر: النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية: ١٠٤.

(٢٩) ينظر: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: ٤٠٦، والنكهة البهية في قواعد ونحو

بالنسبة إلى اللغة السريانية التي لا تحمل كثرة التراكيب والتفرعات التي في اللغة العربية، ولاسيما في مسألة التقديم والتأخير، وقد أجاز الأباتي جبرائيل القرداحي ذلك، إذ ذكر أن جملة: فلان يأكل ويشرب: *hlan akel we shirb* هي جملة اسمية، وأن هذا الاسم المذكور هو مبتدأ وليس فاعلاً مقدماً^(٣٠).

أما في اللغة العبرية فتمتاز الجملة الاسمية بأنها لا تستعمل الفعل إلا إذا أرادت تغيير زمن الجملة^(٣١)، وهذا ما تخالف فيه السريانية وتتوافق به مع العربية فيقال: أنا قادمي يهوا إلى الطريق: *anani yehua ila al-triqa*، ومما تختلف فيه العبرية عن السريانية وتتفق مع العربية وجود ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر، يقال: الدم هو الحياة *hadam hu ha-haya*^(٣٢)، وضمير الفصل هذا هو ضمير رابط، فالجملة الاسمية البسيطة تتكون من مبتدأ وخبر، وهذا التركيب هو أقدم تركيب في اللغات جميعاً، ولكن تختلف الجملة الاسمية السامية عن الهندوأوربية بأن الأخيرة تحتوي على فعل مساعد بين الاسمين داخل الجملة، وهذا ما فُسر بتأثر العبرية بهذا النمط في أثناء وجود ضمير فصل أو فعل كينونة (فعل ناقص) بين المبتدأ والخبر^(٣٣)، فقد يفسر وجوده في اللغة العربية حداثة عهداً، وبعض اللغات المتأخرة زمنياً، وربما العكس.

إنّ اللغة العبرية قد شابته العربية في احتوائها حرف التشبيه (الكاف)، فيقال: هو كمثلك^(٣٤)، خلافاً للسريانية التي افتقرت لهذا التركيب، وقد

(٣٠) ينظر: المناهج في النحو والمعاني عند السريان: ٥ - ١٢.

(٣١) ينظر: عوني عبد الرؤوف، قواعد اللغة العبرية: ٢٣٥.

(٣٢) ينظر: عوني عبد الرؤوف، قواعد اللغة العبرية: ٢١٤.

(٣٣) ينظر: اللغة العبرية قواعد ونصوص: ٢٥٥.

(٣٤) ينظر: الكنز الثمين في قواعد اللغة العبرية: ٧١ / ٢.

أشار محمد توفيق الصوّاف إلى أن لفظه (مثل) تأتي للنيابة عن كاف التشبيه التي لا تستطيع أن تدخل على الضمير، ولم يجمع بين (الكاف) و(مثل) في تمثيلاته^(٣٥)، بيد أن هذا التركيب قد ورد في العربية بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

إن استعمال الحرف كنايةً عن الألفاظ أسلوب حديث ومتطور في اللغات ونشأتها، وهذا ما يوضح تعدد الأساليب وتنوعها في اللغة العربية، ففي أثناء قراءتي للتراكيب المقارنة لم أجد بعض الجمل الاسمية التي تستعملها اللغة العربية، كإتيان الحال عوضاً عن الخبر مثل: ضربني العبد مسيئاً، ومحمدٌ نبياً، والمسيحُ قديساً، حتى إن بعض الترجمات لم تكن دقيقة، فقد ترجمت الجملة الحظرية^(*): ش م ش ب ر ك، ب ي ت

و ح ط ر ي ت، ق ش ي ش، و د ر د ي ق

و ع ر ب ي ت، ك ل ه و ن....

بالترجمة الآتية:

شمشبرك الكبير والحظريون شيوخاً وشباناً والعرب كلهم...^(٣٦)

فترجمة (شيوخاً وشباناً) ليست بهذا الشكل بل يجب أن تكون: الشيوخ والشبان والعرب كلهم، على أن الألف الممالة هذه هي أداة التعريف وليست للنصب.

واللغة الكنعانية أيضاً لم يلحظ لها تغيير في تركيب الجملة الاسمية، فهي على غرار أخواتها السابقات، وهذا الحال ينطبق أيضاً على الفينيقية

(٣٥) ينظر: اللغة العبرية: ١٧٨.

(*) رسم حرف الظاء على شكلين (ظ، وض)، في هذه الكلمة، والمعلوم أنها قلبت بعد التعريب من الدال إلى هذين الحرفين.

(٣٦) ينظر: أوزان الفعل وصيغته في الحضرة: ٨٢.

والأوغاريتية، وهما لهجتان من لهجات الكنعانية^(٣٧)، فالكنعانية ولهجاتها ذات نظام واحد في الجملة الاسمية، وهو تكونها من مبتدأ وخبر وتنوعهما، مع عدّ الجملة التي خبرها جملة فعلية هي جملة اسمية^(٣٨)، إلا أنّ هناك تركيباً انفردت به اللغة الأوغاريتية، وهو مجيء المبتدأ ضميراً منفصلاً للمثنى المتكلم، وهذا ما لا يوجد في سائر أخواتها من اللغات، فيقال: ny tnm، وتعني: إنا، أو إنّنا، أو نحن اثنان^(٣٩)، وفي هذه الجمل الثلاث لا يوجد الضمير المثنى، وربما كانت العربية قد استعملته واندثر، ولأنّ الغائب والمخاطب للضمير المثنى موجود، فأظنّ أن استعمال الضمير (نا) منفرداً كان موجوداً، لكنّ تركيبه مع (إنّ) قد غلب على الاستعمال القديم، وعندما أحسنّ العربي أنّهما تركيب واحد استغنى عن أحدهما.

وأما اللغة الحبشية فلا شكّ أنّها تختلف عن أخواتها في بعض التراكيب، وأنّها تشترك معها في الخصائص والميزات^(٤٠)، فمن حيث الاختلاف حوت الحبشية بعض الاختلاف في الجملة الاسمية، إذ ورد فيها ما يسمى بـ(ضمير الصلة المستقل)، وهو ضمير متعلق بالخبر يعود على المبتدأ، يقال: أنا من شعب منسح أنا: :: áî:mn:GBI:MnLÿ:áî:، ويقال أيضاً: شعب أرتريا من قديم شجاع هو: :vÝB:A±rt°ù:mn:BäçÒ:èurT'، وهذا الضمير الظاهر يشبه ضمير العربية المستتر في قولنا: هو واقف، أي: هو واقف هو، بعودة الضمير الثاني على الأول.

(٣٧) ينظر: اللغة الكنعانية: ٢٨.

(٣٨) ينظر: مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية: ٣٤، واللغة الفينيقية البونوية (أطروحة دكتوراه): ١١٥.

(٣٩) ينظر: دراسة لغوية مقارنة بين العربية والأوغاريتية (رسالة ماجستير): ٣٨.

(٤٠) ينظر: الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان: ٦٤.

(٤١) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغة الأرترية: ٥٠٢.

ولم تخلُ الحبشية من مظاهر التقديم والتأخير والحذف والذكر، ولكنها بحدود اشتراكها مع أخواتها، وقد اختلفت في إحدى الجمل، فقد جيء بالصفة قبل الموصوف في بعض الجمل الحبشية، ومن ذلك يقال: 'g:îH±:tæqä:Î:mgâðtAamr:KM AmîK÷:t: وترجمتها: الإلهية إنّ الشريعة قد قصدت صلاح الأمور، أي: إنّ الشريعة الإلهية...^(٤٢)، فتقدم الوصف على الموصوف، وهذا ما نستعمله الآن في قولنا: مع جزيل الشكر، ومع شديد الأسف، وغيرها.

أما اللغة المندائية فكان البحث فيها صعباً؛ لأنّ الدراسات اللغوية المقارنة لم تولها اهتماماً كباقي أخواتها من اللغات، وهذا الأمر ينطبق على العربية الجنوبية أيضاً، إلا أنني قرأت بعض النصوص المندائية، وقد اتضح لي أنّها تستعمل فعلاً مساعداً داخل الجملة الاسمية، فقد ورد في الصلوات قولهم: مارِيَهون إِد كلمون آلمي مشبّت، وتعني: إله كل العالم سبحانه^(٤٣)، وكذلك: بسيمهون إِد هبي ربي، وتعني: بأسماء الحي العظيم^(٤٤)، إذ يتضح أن (إِد) تعني الكون بوصفها فعلاً مساعداً في الجملة، كما في (كان) الزائدة في العربية.

إنّ استعمال الجملة الاسمية في تلك اللغات أعطى ملامح عامة في اشتراكها في أسلوب تكوينها، فكان أساس الجملة طرفي التركيب المبتدأ والخبر، وما تخللها من إلحاق وحذف وتقدير، مع تباين يسير بين تركيب وآخر، ولكن يتضح لي أنّ متعلقات الجملة الاسمية التي حوتها اللغة العربية قليلة أو معدومة في أخواتها من اللغات، وأهمّها النواسخ، إذ لم

(٤٢) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغة الأرترية: ٤٧٠.

(٤٣) ينظر: الصابئة المندائيون: ٢٥٩.

(٤٤) الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية: ٢٨.

ألحظ في الدراسات المقارنة وجوداً لتركيب فيه (ما انفكّ) أو (ما فتى) أو (اخلولق) أو (حجا) وغيرها لا مفردة ولا تركيباً، فضلاً عن أنّ المعروف منها والمشارك بينها قد استعمل استعمالاً مختلفاً، كما في (كان) التي لم ترد إلاّ فعلاً مساعداً، وكذلك (إنّ) التي وردت في العبرية (هِنَّه) הַיָּהּ، ومعناها: بالتأكيد أو حقاً أو نعم^(٤٥)، وهذا ما يشابه توجيه بعض النحاة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ﴾ [طه: ٦٣]، أي: نعم هذان لساحران، ومن شواهدنا قول أحدهم: لعن الله ناقةً حملتني إليك، فأجابه الآخر: إنّ وراكبها، أي: نعم ولعن راکبها^(٤٦)، وبهذا تختلف هذه الأداة في أسلوب التركيب بين اللغتين وتختصّ بوظيفة وإعراب مختلف بعض الشيء، وهذا التفرّد والزيادة في الأدوات يجعل للعربية مزيةً على أخواتها من اللغات، لما تمتلك من تراكيب قديمة وحديثة، فيجعلها زاخرةً بأنواع التراكيب وأشكالها، فالفينيقية لا تمتلك من روابط الجمل إلاّ العطف في حين تتمتع العربية بحروف العطف والحروف المشبهة بالفعل والنواصب والجوازم وواو الحال وحروف النفي والنهي^(٤٧)، فهذا الاتساع الزمني والمكاني للنظام التركيبي الذي تختص به العربية يجعلها محوراً بين أخواتها من اللغات في القياس والتطبيق، فعلى الرغم من وجود تراكيب غير مستعملة في العربية فإنها امتلكت عدداً كبيراً منها تفتقر إليه تلك اللغات، وهذا دليل على أنّ العربية قد امتلكت هذه التراكيب واندثرت تاريخياً، وربما كانت موجودة ولم يدونها أوائل النحويين.

(٤٥) ينظر: بحوث في الاستشراق واللغة: ٢٣.

(٤٦) ينظر: الجنى الداني: ٣٩٨-٣٩٩.

(٤٧) ينظر: اللغة الفينيقية البونية (أطروحة دكتوراه): ١١٤-١١٥.

الجملة الفعلية

تتصف الجملة الفعلية بأشكال انبثقت من بين المفاهيم المختلفة لدى النحويين المهتمين بمفهوم الجملة بوجه عام، فقد اتجهت جهود الدارسين إلى هذا المفهوم على وفق قواعد دلالية وتركيبية، فنتج الخلاف حول النظام الرتبي داخل الجملة من حيث ابتداؤها بالفعل أو الاسم، فلا شك أنّ الجملة المصدرية بالفعل قد أتفق على فعليتها، أمّا الخلاف فيكمن في الوجه الذي تصدر فيه الجملة بالمسند إليه، بوصفه مبتدأً أو فاعلاً مقدّماً، وهذا الأمر يعتمد على الصفة الدلالية أكثر من التركيبية، ويبدو لي أن الجملة المتصدرة بالمسند إليه هي جملة اسمية، لذا سأسلط الضوء على الجملة المتصدرة بالفعل، والتي لا خلاف في فعليتها، إلا في الأكادية التي يختلف نظامها التركيبي عن سائر أخواتها من اللغات.

إنّ الجملة الفعلية الأكادية لا يمكن أن توصف بأوصاف العربية، وقد أكد الدارسون أن الفعل في الجملة الأكادية لا يأتي في بداية الكلام، وإنما يأتي متأخراً^(٤٨)؛ والسبب في ذلك يعود إلى تأثير الأكادية بالسومرية التي لا تبدأ بفعل^(٤٩)، والمعلوم أن هذا النظام من الجمل تمتاز به اللغة الإنجليزية، ولاسيّما أن اللغة السومرية لها صفات كثيرة تشترك بها مع اللغات الأوربية^(٥٠)، وبما أنّ السومريين قد سكنوا تل العبيد وما حوله من المدن فقد امتزجوا مع سكان هذه المناطق، وأن الأكاديين قد انحدروا منهم، وألّفوا سنة أو تزيد وقت كافٍ لأن تنصهر لغتا القومين، فتتكوّن اللغة الأكادية التي

(٤٨) ينظر: قواعد اللغة الأكادية: ٦٠، واللغة الأكادية البابلية الآشورية: ٣٢٠، وملاح من فقه

اللهجات العربيات: ٣٢٥.

(٤٩) ينظر: قواعد اللغة السومرية: ٥٦، وقواعد اللغة الأكادية: ٦٠.

(٥٠) ينظر: طوفان نوح الاكتشافات العلمية الحديثة: ٢٦٧.

احتوت على نظام تركيبى يعود إلى السومريين، فضلاً عن مفردات وتسميات استعملها السكان الأصليون.

ومن أمثلة الجملة الفعلية الأكادية: Märum šü ina gätmušën iatim imtüt:

وتعني: مات هذا الطفل في أيدي المرضعة^(٥١)، وكذلك الجملة:

Aträm Ḥasīs ilaëa tēr tam

وتعني: تلقى أترام خاسيس هذه الأوامر^(٥٢)، والملاحظ أن الجملتين لم تبدأ بالفعل، وكذلك سائر الجمل الأكادية.

ولم يبقَ هذا الأمر على حاله فلهجتا الأكادية (البابلية والآشورية) لم تتمسكا بهذا النظام، إذ تشير الألواح المترجمة إلى أن البابلية والآشورية قد استعملت جملاً تتصدر بفعل، ومن ذلك الرسائل الدبلوماسية للملك البابلي حمورابي المبعوثة إلى حلب ومدينة ماري، فقد جاء في الفقرة الخامسة والعشرين ما نصّه:

ül iṣīdū šeum ina mat، وترجمتها: لم يحصد الشعير في البلاد...^(٥٣)،

وهذا يعني أن اللغة الأكادية قد بدأت تأخذ الطابع الجزري في نظام تركيب الجملة الفعلية، ولعل الأكادية لم تخلُ من تركيبٍ جاء به الفعل في مقدمة الجملة: ibal luṭ: وتعني: شرع يتعافى، وهو للدلالة على الشروع في الأمر^(٥٤)، أي: بدأ هذا المريض يتعافى، ولم يتقدم هذين الفعلين اسمً، وهذا يعني أن نظام التقديم والتأخير في الجملة أمر لم يغب عن اللغات السامية جميعها، فهناك تقديم وتأخير غريب جداً في إحدى الجمل الأكادية، إذ تقول الترجمة

(٥١) ينظر: اللغة الأكادية البابلية الآشورية: ٣١٩.

(٥٢) ينظر: مقدمة في علم الأكاديات: ٨٥، وظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٥١.

(٥٣) ينظر: مقدمة في علم الأكاديات: ١٠١.

(٥٤) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ٢٢.

الحرفية للجملة: صلوات نبوخذنصر ملك بابل سَمِعَ، وتعني: سمع ملك بابل صلوات نبوخذنصر^(٥٥)، وأرى أن هذا التركيب لا يشبه تركيب العربية، فربما يوجد في لهجتي الأكادية (البابلية والآشورية)، ولكنه لا علاقة له بالعربية.

أما الآرامية فقد جاءت على نمطين: يتقدم الفعل ويتأخر، وهي بذلك تتبع النظام العربي في تكوين الجملة الفعلية^(٥٦)، مع تبني بعض المختصين رأياً يرون فيه أن الفاعل لا يتقدم على الفعل^(٥٧)، فإن تأخر الفعل فالجملة اسمية، إضافة إلى تعدد الفعل أو الفاعل أو كليهما^(٥٨)، وهذا الحال يتطابق أيضاً مع الفعل المبني للمجهول^(٥٩).

إن ترجمة النصوص قد جعلت الباحث في حيرة كبيرة، فقد وردت جملة: دانيال إلو بيته ذهب، في الكتاب المقدس، وترجمتها في الكتاب المقدس: ذهب دانيال إلى بيته^(٦٠)، وفي الواقع لم ترد الجملة في النص الآرامي على نحو الترجمة الموجودة، الذي نصه: **דַּנְיָאֵל לְבֵיתָהּ אֵלַךְ**^(٦١)، وهذا الأمر يُشكل على الدارس المختصّ بالنحو المقارن، كما أنه لا يستطيع أن يجد مواطن التشابه والاختلاف بين جملة التراكيب، فلو أنها ترجمت حرفياً لتمكّننا من أن نجد كثيراً من هذه الاختلافات والوقوف على متعلقاتها، فقد جاء في نبوءة دانيال:.... فأخبرني وأعلمني بتعبير الكلام، وهو أن هذه الحيوانات

(٥٥) ينظر: الواقع اللغوي العربي القديم: ١٩.

(٥٦) ينظر: آرامية العهد القديم: ١٣٥ - ١٣٦.

(٥٧) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٤٩.

(٥٨) ينظر: مذكرات في قواعد الآرامية التدمرية: ٩٣.

(٥٩) ينظر: آرامية الحضر: ١٢١.

(٦٠) الكتاب المقدس (العهد القديم) / نبوءة دانيال الفصل الثاني / الجزء السابع عشر: ٦٢٥.

(٦١) ينظر: آرامية العهد القديم: ١٣٥.

الأربعة العظيمة هي أربعة ملوك يقومون من الأرض^(٦٢)، والترجمة الحرفية للنص الآرامي هي: هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعة...^(٦٣)، وفي الواقع هذا تركيب لا يتوافق مع العربية باستخدام اسم الإشارة (هؤلاء) مع غير العاقل، وكذلك في تبعية لبعض التراكيب وجدت جملة تقول: زارني رجل لا يوسف، **ܘܕܢܘܫܐ ܕܗܘܐ ܕܢܘܫܐ**^(٦٤)، وهذا التركيب غير مقبول في العربية، وأظن أن (لا) قد نابت مناب (غير)، أو (ليس)، أو تكرار الفعل منفياً، ولا تأتي (ليس) في هذا التركيب، إذ إنها لدى الآراميين اسم فعل مكون من (لا + أيس) وخبرها يأتي مقروناً بالباء يقال: أخوك ليس بشاعر، $\cdot \text{yvtl } \delta \text{xuM } \cdot \text{iux} \text{]}^{(٦٥)}$.

خلاصة القول: إن الدراسة النحوية المقارنة تحتاج إلى ترجمة حرفية من الدارسين لتتبع مواطن الاختلاف والتشابه في عناصر التركيب، والمعلوم أن المتخصص في النحو المقارن يستحيل عليه المعرفة بمجموع هذه اللغات، ولا سيما المنقرض منها كي يميز بين التراكيب المختلفة، لذا من الضرورة أن يوضع تحت النص المكتوب بأي لغة غير عربية ترجمة حرفية لهذا النص، كي يتسنى للقارئ فهمه جيداً ودراسته دراسةً صحيحة.

أما السريانية، وهي لهجة آرامية، فالدراسات التي تناولت الجملة الفعلية السريانية فيها لم تُشر إلى ما يتقاطع أو يختلف عن أخواتها من اللغات^(٦٦)، وهذا في الواقع ليس صحيحاً، فعن طريق تقصي بعض الجمل

(٦٢) الكتاب المقدس (العهد الجديد) نبوة دانيال الفصل السابع/ الجزء السادس عشر: ٦٦٨.

(٦٣) ينظر: المدخل إلى اللغة الآرامية: ٨٣.

(٦٤) ينظر: اللباب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية: ٥.

(٦٥) ينظر: اللباب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية: ٢٢-٢٣.

(٦٦) ينظر: المناهج في النحو والمعاني عند السريان: ١٩١.

وترجمتها حرفياً وجدت ما يشير إلى بعض الاختلافات، فمثلاً إذا ظهر ضمير الغائبين وجب اتصاله بالفعل في العربية^(٦٧)، وقد وردت الجملة السريانية **ܠܚܕܐ ܘܟܘܢ ܘܢܘܨܐ ܘܢܘܨܐ** فاصلة بين الفعل والضمير وترجمتها: اجعلهما^(٦٨)، ومن الجمل التي اختصت بها السريانية أيضاً قولهم: كان شَفِي: **ܟܘܢ ܫܦܝܢܐ** لعصم، وقد عبّروا عن (كان) هذه بأنّها فعل مساعد يشبه قول العرب: ما كان أحسنه، وليس ناسخاً مثل: كان زيداً قائماً^(٦٩)، ويصفها الدكتور المخزومي بأنها تستعمل مع الفعل لتدلّ على صيغة زمنية معيّنة^(٧٠).

وقد اتضح لي من بعض الأمثلة أن النحاة السريان لا يعاملون الجملة التي تبدأ باسم، وخبرها جملة فعلية معاملة الجملة الاسمية، فهي لديهم جملة فعلية تقدم فاعلها عليها^(٧١)، ومع تبني فكرة أنه لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل في اللغة السريانية^(٧٢)، إلا أن الأمثلة في الدراسات النحوية السريانية المقارنة تستعمل هذا التركيب على أنه جملة فعلية ومن هذه الجمل: **ܟܘܢ ܫܦܝܢܐ ܟܘܢ ܫܦܝܢܐ**، وترجمتها: مريم وسارة تحب إحداهما الأخرى، وكذلك الجملة الآتية: **ܟܘܢ ܫܦܝܢܐ ܟܘܢ ܫܦܝܢܐ**، وترجمتها: المعلم والطالب يحب أحدهما الآخر، وقد وردت هاتان الجملتان تحت عنوان: إذا تقدم فاعلان متعاطفان بالواو، أو بالحرف (حرف، مع) جاء هذا الفعل جمعاً^(٧٣)، وبذلك تكون الترجمة الحرفية: مريم وسارة

(٦٧) ينظر: جامع الدروس العربية: ١/ ١٢٠.

(٦٨) ينظر: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: ٤٠٤.

(٦٩) ينظر: السريانية نحوها وصرفها: ١٣٧.

(٧٠) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٨٣.

(٧١) ينظر: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: ٤٠٣.

(٧٢) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٤٩.

(٧٣) ينظر: النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية: ١٠٦.

يحبُّ بعضهما بعضاً، والمعلم والطالب يحبُّ بعضهما بعضاً، وهذا الأمر يتعد قليلاً عن القياس العربي في تكوين الجمل.

أما الجملة الفعلية العبرية فهي تحتاج إلى نوع من التدقيق والمراجعة، فالتطور التاريخي للجملة الفعلية الأكادية يشير إلى أن هناك تغييراً قد حصل فيها من خلال لهجتها البابلية والآشورية، فكما أسلفت أن هاتين اللهجتين قد ابتدأت جملتهما الفعلية بفعل مع وجود النمط الأكادي القديم، في حين أنّ العبرية لم يتضح لها نمط معين من خلال الدراسات التي تناولتها، فسيد فرج راشد يذكر أنّ الجملة الفعلية العبرية تتكون من الفاعل ثم الفعل ثم المفعول به^(٧٤)، وأن الفعل لا يسبق الفاعل إلا بشروط هي:

١- أن يسبق الفعل بظرف زمان أو مكان: **בְּאַנְדָּר** □ **כִּנְטָם תַּמְלֹדָה** عندما يدخل الملك، **שָׁמַיְךָ** هناك جلست.

٢- أن تسبق بمفعول مطلق **אַמְנִים יִדְבְּרִי אִיךָ תִּדְבֹּר** حقاً علمتُ الأمر^(٧٥). وفي الواقع أن هذه التراكمات لا تعني ابتداء الجملة الفعلية بالفعل، فمع تأخر الفاعل إلا أنّها ابتدأت باسم أيضاً، وإذا كان هذا النمط هو السائد في العبرية فهي تخالف العربية بذلك من غير شك، وبالمقابل ترى سحر عقاد أن الجملة الفعلية العبرية تناظر العربية، وذلك في النصوص التي جاءت بها، وهي نصوص عبرية ابتدأت بفعل من غير سابقة من السوابق التي ذكرها سيد فرج راشد، ومن هذه النصوص: **יְשַׁלַּחֵן יְהוָה אֱלֹהֵימִלְכֵן בֵּרָךְ**، فأخرجه الربّ الإله من جنة عدن، وكذلك: **נִאֲלַד אֱלֹהִים יְהִי לְאֹדָה בְּדִקְיֵה הַשָּׁלִים לְהַבְדִּיל בֵּינָהֶם בֵּינָם**، وقال الله لتكن أنواراً في جلد السماء^(٧٦)، فإذا جمعنا

(٧٤) ينظر: اللغة العبرية قواعد ونصوص: ٢٥٦.

(٧٥) ينظر: اللغة العبرية قواعد ونصوص: ٢٥٦.

(٧٦) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٥١.

بين الرأيين وصحّ الرأي الثاني فلا نجد أن هناك اختلافاً جوهرياً في مقارنة الجملة الفعلية العبرية بالعربية، إلا أنني لم أكتفِ بذلك، فقد تبعت مجموعة من النصوص العبرية المترجمة ترجمةً حرفيةً عن طريق نصّ في خمس صفحات، فاستقرت الجمل ووجدت أنّها لم تبدأ بالفعل مباشرة، بل سبقتها سابقة اسمية أو حرفية، وربما جملة: **הַאֵד בָּא לְדַ בְּתַיִם אֵינָה דְבָר** وتعني: هل عرض لك في الحياة أيّ أمر؟ هي الجملة الوحيدة التي سبق فعلها بحرف استفهام، لذا فهي تعد جملة فعلية متصدرة بفعل^(٧٧)، مع أن الفعل في الجملة سواء أمتصدراً كان أم متأخراً، فالجملة فعلية في قواعد اللغة العبرية، إذ استند إلى أن المسند إذا كان فعلاً فالجملة فعلية، تصدّر أو لم يتصدّر^(٧٨).

إنّ للجملة الفعلية العبرية مزية في بعض التراكيب التي تختلف عن العربية في تكوينها، وأهمّ هذه التراكيب قولهم في العبرية: **נִדְא אִישׁ מִצְדֵי מַנְה**، وترجمتها: فرأى رجلاً مصرياً يضرب، وترجمتها الحرفية: فرأى رجلاً مصرياً (ضارب)^(٧٩)، فناب اسم الفاعل مناب الفعل، إذ إنّ هذه اللغات تعامل اسم الفاعل معاملة الفعل في التركيب^(٨٠)، وهذا ما اصطح عليه الكوفيون قديماً بالفعل الدائم^(٨١).

ومن التراكيب المختلفة دخول ما يسمى بواو القلب على الفعل، فهي تقلب زمن الفعل من الماضي إلى المستقبل، فيقال في العبرية: **אם לא אכל נִיחֵבו**، وترجمته الحرفية: ولم نأكل سنموت، وتعني: إن لم نأكل

(٧٧) ينظر: محمد توفيق الصواف، اللغة العبرية: ١٩٥-١٩٩.

(٧٨) ينظر: في النحو المقارن بين العربية والعبرية: ١٦٧.

(٧٩) ينظر: في قواعد الساميات: ١٠٤.

(٨٠) ينظر: في قواعد الساميات: ١٦٣.

(٨١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٤٦٣.

سنموت^(٨٢)، كما أنّها تقلب زمن الجملة من المستقبل إلى الماضي، يقال: **בְּיָמַי יִבְעַשְׂהוּ בְּנִשְׁנָה**، وترجمتها: وهكذا يفعل سنة وراء سنة، أي: كان يفعل هذا سنة بعد سنة^(٨٣).

ومن التراكيب العبرية المختلفة عن العربية وجود ضمير النصب المنفصل متأخراً عن فعله مع عدم اتصاله، وهذا ما لا يجوز في العربية، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]، فلا يجوز تأخير الضمير وإلا اتصل بالفعل^(٨٤)، جاء في العبرية: **אֵין אֲנִי מְכִיד אֹתוֹ**، وترجمته: أنا لا أعرف إياه، أي: أنا لا أعرفه^(٨٥)، وكذلك تراكيب تختلف عن العربية منها تعدي الفعل اللازم بنفسه، وكان حقه أن يدخل حرف الجرّ على معموله، ولا تقبل الجملة دليلاً بدونه، يقال في العبرية: **הַלֵּכְתִּי חֶעֶדָה**، أي: ذهبتُ المدينة، وتعني: ذهبتُ إلى المدينة^(٨٦)، ومن هذه التراكيب المختلفة كثيراً، ولو أنّ الدراسات النحوية المقارنة قد ترجمت النصوص ترجمة حرفية لاستطعنا أن نجد تغييرات وتباينات كثيرة جداً، الأمر الذي ينفعنا في القياس حول طريقة التفكير النحوي العربي، وسوف نجد في أثنائها مسوغات كثيرة لمواطن التأويل والتقدير التي وصفها النحويون الأوائل، ومن هذه التأويلات الخبر المقدر بـ(كائن أو مستقر)، وهو لا يحذف في الأكاديمية، والضمير المستتر المتعلق بالخبر العائد على المبتدأ في الحبشية، وغيرها كثير.

أما الجملة الفعلية في الكنعانية فلم تختلف عن صور سابقاتها كثيراً،

(٨٢) مدخل إلى النحو العبري: ٦١.

(٨٣) عوني عبد الرؤوف، قواعد اللغة العبرية: ٢١٥.

(٨٤) ينظر: جامع الدروس العربية: ١/١٢١.

(٨٥) ينظر: محمد توفيق الصواف، اللغة العبرية: ١٩٦.

(٨٦) ينظر: دروس في اللغة العبرية: ١١٢.

بيد أن الدراسات التي تناولت الكنعانية ولهجتيها الفينيقية والأوغاريتية وصفت الجملة الفعلية بأنها التي يتصدرها الفعل، مع إيراد شواهد تبدأ بفعل صريح غير مسبوق بشيء^(٨٧)، كما أن هناك رأياً يذكر أن الجملة الفعلية الأوغاريتية لا تختلف عن نظام الجملة العربية^(٨٨)، وفي الواقع لا أجد هذا الكلام دقيقاً فهناك تراكيب تختلف عمّا في العربية، ولاسيّما أنّ الأوغاريتية تحتوي على واو القلب التي في العبرية^(٨٩)، وكذلك تراكيب موجودة في العربية منها: جزم الفعل بلام الأمر المحذوفة، كما في: ymgiqrt ãblm، وترجمتها: ليتقدم إلى القرية، ولكن من غير اللام، ومن هذه التراكيب أيضاً: l tšrgn ybtlmā وهي تعني: لا تكذبي أيتها البتول، وترجمتها الحرفية: لا تكذبين يا بتول، فالفعل (تكذبين) قد دخلت عليه (لا) الناهية، وهذا ما يُجزم في العربية فتُحذف النون، إلا أن الأوغاريتية لم تحذف النون، وليس هذا فحسب بل حذفت الضمير (الياء) من الفعل، وأبقت على النون، التي قد تكون نون التوكيد، وهذا التركيب يختصّ بالأوغاريتية دون سائر أخواتها من اللغات^(٩٠)، ولا أستبعد أن تكون هناك تراكيب كثيرة تختلف فيها الكنعانية ولهجاتها عن باقي اللغات، فهي تحتاج إلى استقراء دقيق ومكثف للوقوف على مواطن التشابه والاختلاف.

أمّا في العربية الجنوبية فلم أعر على مبحث أو دراسة واضحة تتناول نظام الجملة الفعلية فيها؛ والسبب في ذلك أنّ هذه اللغات لم تُقرأ نصوصها وكتابتها

(٨٧) ينظر: المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية: ٣٣ - ٣٤، واللغة الفينيقية البونية دراسة

مقارنة مع اللغات الشرقية القديمة (أطروحة دكتوراه): ١١٥.

(٨٨) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٥٠.

(٨٩) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ٢٦.

(٩٠) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ٢٧.

ونقوشها قراءة واضحة، فما زالت القراءة لرموزها قراءة غير مكتملة، ونصوصها غير واضحة المعالم^(٩١)، إلا أنني حاولت أن أجد شيئاً في بعض الدراسات، فقد ذُكر أن الجملة الفعلية في القَبانية المتصدرة بفعل مضارع يمكن دخول حرف الجر عليها، مع افتقار الأفعال الخمسة للنون في الآخر، وهي تُعدّ علامة إعرابية عند علماء العربية، كما أن الجمل الفعلية قد استعملت نظاماً واحداً وهو للدلالة على الغائب، الأمر الذي جعل الدارسين يعتقدون أن العرب الجنوبيين قد كانوا يؤلفون كلامهم أو يتحدثون عن شيء بصيغة الغائب، سواء أمخاطباً كان أم متكلماً، إذ لم يعثر إلى الآن على جملة أو نصّ يحتوي على ضمير متكلم قط^(٩٢)، ولربما يسأل سائل: أليست العربية الجنوبية امتداداً للشمالية، أو هي لهجة من لهجاتها؟ في الحقيقة ربما يكون التشابه موجوداً بين الجنوبيين والشماليين، إلا أن هناك من يرى أن الشماليين على النقيض من الجنوبيين، على اعتبار أن الشماليين لهم امتداد وروابط فكرية وثقافية واجتماعية لها أصول وجذور في وادي الرافدين، وأن الجنوبيين تميل صفاتهم إلى الأحباش^(٩٣)، الأمر الذي جعل ذلك التباين اللغوي بين عرب الشمال والجنوب.

ورد في العربية الجنوبية أن الفعل يأتي في المقام الثاني من الجملة، إذ يتقدم عليه إما الفاعل أو عبارة مضافة، وإذا ما تأخر الفاعل فإنه يأتي في المرتبة الأخيرة، كما يورد بيستون بعض الجمل التي لا تختلف كثيراً مع نظام الجملة العربية الشمالية^(٩٤).

(٩١) ينظر: ملامح في فقه اللهجات العربيات: ٣٤٥.

(٩٢) ينظر: الخصائص الكتابية واللغوية للكتابة العربية الجنوبية والشمالية: ٤٢٩ - ٤٣٢، اعتمدت هذه القواعد على مجموعة جُمِل أخذت من نقش: عجل بن هفعم، في المصدر نفسه ص ٤٢٨.

(٩٣) ينظر: محاضرات من تاريخ اليمن: ٨٥.

(٩٤) ينظر: قواعد العربية الجنوبية: ١٢٦.

أما اللغة الحبشية (الإرترية) فقد شحّت مصادر الحديث عن الجملة الفعلية فيها، بيد أن الشيخ سليم البشري قد ذكر أنّ هناك اختلافات كثيرة بين التراكيب الحبشية مقارنةً بأخواتها من اللغات^(٩٥)، وهذا ما تناوله إدريس محمود من خلال المقارنة في بعض التراكيب، فقد ذكر أنّ الجملة الفعلية الإرترية تتكون من فعل وفاعل ومفعول أو مفعولين، وقد يتقدم الفاعل على الفعل، وقد يُحذف، وقد يتقدم المفعول لأغراض دلالية وبلاغية^(٩٦)، كما ذكر أيضاً أنّ هناك تراكيب تختلف عن العربية في تكوينها، منها: sārḥahu Sr̥:LB't:، وترجمتها الحرفية: بناه للبيت، التي تعني في العربية: بنى البيت^(٩٧)، مع أنّ هذا التركيب لم يرد في العربية الفصحى إلا أنّ اللهجة العراقية البغدادية تستعمل تركيباً قريباً من ذلك، فيقال: بنى للبيت، ولا أعلم إلى أيّ مدى يكون اتصال هذين التركيبين اللذين ربما يكون لهما أصل سومري أو أكادي أو بابلي قديم، ولا سيّما أنّ الجعزية والتجرية استعملتا أداة لنفي الماضي والمضارع وهي ('la) شبيهة الـ(ul) الأكادية التي تعني (لا) في العربية، فهي تدخل على اللفظة ('akko)، وحين تركيبها تكون ('alko)، وتعني: ما كان، وهو اللفظ المشابه للكلمة العراقية: ماكو، وإثباتها: أكو، وتعني: يوجد^(٩٨)، والمعلوم أنّ هذا التركيب لا يستعمله غير العراقيين.

ومن التراكيب التي تختلف عن العربية، يقال في التجريّة: mn: 'Äl، وترجمته: من متى قاتل، وتعني: منذ متى قاتل^(٩٩)، فاستعملت التجرية

(٩٥) ينظر: جواهر الحسان في تاريخ الحبشان: ٦٧.

(٩٦) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغات الإرترية: ٥٠١.

(٩٧) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغات الإرترية: ٥٠١.

(٩٨) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغات الإرترية: ٤٩٥ و ٤٩٨.

(٩٩) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغات الإرترية: ٤٧٦.

محلّ (منذ)، وهذا الاستعمال موجود الآن في العربيات الدارجة، وربما يكون هذا ترخيماً، على اعتبار أنّ (منذ) مركبة من (من، وذو)^(١٠٠)، فإن كان كذلك فلا اختلاف في التركيب آنذاك.

ومن ظواهر الجمل الفعلية في اللغات السامية ما يسمى بـ(لغة أكلوني البراغيث)، وهذه جملة أوردتها سيبويه في بداية كتابه^(١٠١)، ومفادها أن الفعل قد أسند إليه فاعلان أحدهما مضمّر والآخر ظاهر، وهذا ما لا يجوز معيارياً على وفق القواعد النحوية^(١٠٢)، وقد وُجّه هذا التركيب بثلاثة أوجه، الأول أن الضمير فاعل والظاهر مبدل منه، والثاني أن الواو علامة دالة على الجمع ولا فاعل ثانياً في الجملة، والثالث أن الظاهر مبتدأ مؤخر خبره الجملة الفعلية المتقدمة^(١٠٣)، والمعلوم أن هذا التركيب قد ورد في جميع أخوات العربية^(١٠٤)، كما أنّ هذا التركيب قد ورد في القرآن الكريم والشعر والنثر العربي، وفي الواقع أنّ الدراسات المقارنة أوردت أمثلة كثيرة عن هذا التركيب في معظم الكتب، ولا أجد أنّ هذه الظاهرة نادرة أو تختصّ بها لغة دون أخرى، زد على ذلك أنّ العربية لم تغادرها، لاسيّما في الوقت الحاضر وفي اللغة الدارجة، فلا داعي لذكر المقارنات والنصوص التي تختصّ بهذا التركيب^(*).

* * *

(١٠٠) ينظر: الجنى الداني: ٥٠١.

(١٠١) ينظر: الكتاب: ١٩/١.

(١٠٢) ينظر: آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث: ٣٩.

(١٠٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ٨٥/٢.

(١٠٤) ينظر: السريانية العربية الجذور والامتداد: ٨٩.

(*) للاطلاع على هذا التركيب ومتعلقاته، ينظر: آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث للدكتور خليل أحمد عمارة، والإسناد في لغة أكلوني البراغيث لعبد الحميد الأقطش.

المصادر والمراجع

- آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث - د. خليل أحمد عمايرة - دار البشير للنشر والتوزيع - ط ١ - ١٩٨٩ م.
- آرامية الحضر بحث لغوي مقارن - يعقوب حنا - دار المعارف - ط ١ - حمص ٢٠٠٦ م.
- آرامية العهد القديم قواعد ونصوص - د. يوسف متي قوزي ومحمد كامل روكان - منشورات المجمع العلمي - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ٢٠٠٦ م.
- الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية - المطران يعقوب أوجين منّا - منشورات مركز بابل - بيروت ١٩٧٥ م.
- أوزان الفعل وصيغته في الحظرية - د. خالد إسماعيل علي - بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي - العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية - المجلد الرابع عشر - بغداد ١٩٩٣ م.
- بحوث في الاستشراق واللغة - د. إسماعيل أحمد عمايرة - مؤسسة الرسالة بيروت ودار البشير عمان - ط ١ - ١٩٩٦ م.
- بناء الجملة الاسمية في كتابات الحضر - بهاء عامر الجبوري - بحث منشور في مجلة سومر - الجزء الأول والثاني - المجلد الثاني والخمسون - ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م.
- جامع الدروس العربية - الشيخ مصطفى الغلاييني - راجعه وصححه د. عبد المنعم خفاجة - المكتبة العصرية للطباعة والنشر - ط ٢٨ - بيروت ١٩٩٣ م.

- الجنى الداني في حروف المعاني - الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩ هـ)
- تحقيق د. فخر الدين قباوة، وأ. محمد نديم فاضل - دار الكتب العلمية ط - ١ - بيروت ١٩٩٨ م.
- الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان - أحمد الحفني القنائي - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - ط ١ - مصر ١٣٢١ هـ.
- الخصائص الكتابية واللغوية للكتابة العربية الجنوبية والشمالية - هاشم طه رحيم ونهاد حسن حجي - بحث مقدم لمجلة آداب الكوفة - العدد الخامس ٢٠٠٧ م.
- دراسات لغوية مقارنة بين اللغة العربية والأوغاريتية في ضوء اللغات السامية - رسالة ماجستير - سميرة الراهب - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق ١٩٩٠ م.
- دروس في اللغة العبرية - ربحي كمال - مطبعة جامعة دمشق - ط ٣ - دمشق ١٩٦٣ م.
- السريانية - العربية الجذور والامتداد - سمير عبده - منشورات دار علاء الدين - دمشق.
- السريانية نحوها وصرفها - د. زاكية محمد رشدي - دار الثقافة للطباعة والنشر - ط ٢ - القاهرة ١٩٧٨ م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - ابن عقيل العقيلي المصري (٧٦٩ هـ) - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار التراث - ط ٢٠ - القاهرة ١٩٨٠ م.
- الصابئة المنداعيون - الليدي دراوور - ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي - دار المدى للثقافة والنشر - ط ٢ - بغداد ٢٠٠٦ م.

- الصاحبى فى فقه اللغة - أبو الحسن أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) - تحقيق السيد أحمد صقر - مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- الصلاة المنداية وبعض الطقوس الدينية - الشيخ رافد الشيخ عبد الله نجم - شركة التايمس للطبع والنشر المساهمة - ط ١ - بغداد ١٩٨٨ م.
- طوفان نوح الاكتشافات العلمية الحديثة - وليم ريان ، و والتر بتمان - ترجمة فارس بطرس - إشراف ومراجعة الأب د. يوسف توما - نشر مجلة الفكر المسيحي وبيت الحكمة ودار البستان للصحافة والنشر - بغداد ٢٠٠٥ م.
- ظاهرة الإعراب فى اللغات السامية - رسالة ماجستير - سحر لطفي - جامعة حلب - كلية العلوم - قسم اللغة العربية - ١٩٩٠ م.
- غرامطيق اللغة الآرامية السريانية (صرف ونحو) - القس بولس الكفرنيسي - مطبعة الجهاد - بيروت ١٩٩٢ م.
- فى قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية مع النصوص والمقارنات - د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي بمصر - القاهرة ١٩٨١ م.
- فى النحو العربي نقد وتوجيه - د. مهدي المخزومي - دار الشؤون الثقافية - ط ٢ - بغداد ٢٠٠٥ م.
- فى النحو المقارن بين العربية والعبرية - د. سيد سليمان عليان - الدار الثقافية للنشر - القاهرة.
- قواعد العربية الجنوبية - ف.ل. بيستون - ترجمة خالد إسماعيل - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - ١٩٩٢ م.
- قواعد اللغة الأكديّة - د. فوزي رشيد - دار صفحات للنشر - ط ١ - دمشق ٢٠٠٩ م.

- قواعد اللغة السومرية - د. فوزي رشيد - دار صفحات للنشر - ط ١ - دمشق ٢٠٠٩ م.
- قواعد اللغة العبرية ، دراسات سامية - د. عوني عبد الرؤوف - مطبعة جامعة عين شمس - مصر ١٩٧١ م.
- كتاب سيويه - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠ هـ) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي - ط ٣ - القاهرة ١٩٨٨ م.
- الكنز الثمين في قواعد اللغة العبرية - أحمد فؤاد - مركز الياة للنشر والإعلام - ط ١ - الإسكندرية ٢٠٠٠ م.
- اللباب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية - الأب جبرائيل القرداحي الحلبي - المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت ١٨٩١ م.
- اللغة الأكديّة البابليّة - الآشورية تاريخها وتدوينها وقواعدها - د. عامر سليمان - الدار العربية للموسوعات - ط ٢ - بيروت ٢٠٠٥ م.
- اللغة العبرية - محمد توفيق الصواف - منشورات جامعة دمشق كلية الآداب - دمشق ٢٠٠٥ م.
- اللغة العبرية قواعد ونصوص - د. سيد فرج راشد - دار المريخ للنشر - الرياض ١٩٩٣ م.
- اللغة العربية وعلاقتها باللغة الإرتية (الجعزية والتجزيّة والتجزيّة) الجذور والامتداد - إدريس محمود حامد موشي - منشورات كلية الدعوة الإسلامية - ط ١ - طرابلس ٢٠٠٥ م.
- اللغة الفينيقية البونية دراسة مقارنة مع اللغات الشرقية القديمة - أطروحة دكتوراه - إياد عبد الله يونس - جامعة محمد الخامس أكّدال - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - شعبة التاريخ - الرباط ٢٠٠٧ م.

- اللغة الكنعانية دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية - د. يحيى عباينة - دار مجدلاوي للنشر والتوزيع - ط ١ - عمان ٢٠٠٣ م.
- اللُّمعة الشهية في نحو اللغة السريانية على مذهبي الغربيين والشرقيين ، تطبيق اللغات السريانية على اللغات العبرانية والعربية والبابلية - المطران إقليمس يوسف داوود الموصلي - طبع في دير الآباء الدومنيكيين - الموصل ١٨٧٩ م.
- المدخل إلى اللغة الآرامية - محمد محقل - منشورات جامعة دمشق - ط ٨ - دمشق ٢٠٠٢ م.
- مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية - الدكتور أحمد حامدة - طبع ونشر على نفقة جامعة دمشق - دمشق.
- مدخل إلى النحو العبري - فؤاد سليم أبو زريق - المعهد العسكري للغات الأجنبية - ليبيا ١٩٩٤ م.
- مذكرات في قواعد الآرامية التدمرية بحث لغوي مقارن - يعقوب حنا - دار المعارف - ط ١ - حمص ٢٠٠٦ م.
- المفصل في صنعة الإعراب - أبو القاسم جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) - تقديم أميل بديع يعقوب - دار الكتب العلمية - ط ١ - بيروت ١٩٩٩ م.
- المقتضب - أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ) - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ١٩٩٤ م.
- مقدمة في علم الأكاديات ودور العرب فيه - د. فيصل عبد الله - الأبجدية للنشر - ط ١ - دمشق ١٩٩٠ م.
- ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية - د. محمد بهجت القيسي - دار شمّال - دمشق - ط ٢ - ٢٠٠٠ م.

- المناهج في النحو والمعاني عند السريان - الأباتي جبرائيل القرداحي - تقديم ونشر الأب جوزيف شابو - دار المكتبة السريانية - ط ٣ - حلب ٢٠٠٨ م.
- نظام الجملة في اللغات السامية - أطروحة دكتوراه - سحر لطفي عقاد - جامعة حلب - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية - ٢٠٠٢ م.
- النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية - جوزيف أسمر ملكي - مطبعة اليمامة ومورياب للطباعة - القامشلي ٢٠٠٢ م.
- الواقع اللغوي العربي القديم - إعداد د. عبد الجبار ناجي - منشورات بيت الحكمة - بغداد ٢٠٠٦ م.

* * *

المقالات والآراء

تذكرة بأهم أحكام تذكير الفعل للفاعل وتأنيته

د. مكي الحسني (*)

رأيت من المفيد أن أجمع هذه الأحكام، لأنني لم أجدها كلَّها في مرجع واحد وموضع واحد. وسأمهّد بالتذكير ببعض التعريفات.

المؤنث الحقيقي: هو الذي يلدُ ويتناسل، ولو من طريق البيض كالطيور، نحو: زينب، امرأة، ناقة، قُبْرَة، سمكة.

المؤنث المجازي: هو الذي لا يلد ولا يتناسل، لكنه يجري في أغلب استعمالاته اللفظية على حكم المؤنث (فيؤنث له الفعل، وكذلك الصفة والخبر)، مثل: شمس، أرض، حديقة، سماء.

ومنه أيضاً جمع التكسير (لغير المؤنث الحقيقي، فلا يدخل فيه فواطم)، نحو: أنهار، جبال، أوراق.

اسم الجمع: هو ما تضمّن معنى الجمع، ولكن لا واحد له من لفظه، وإنما واحده من معناه، مثل: شعب (واحدة: مواطن)؛ جيش (جندي)؛ نساء (امرأة)؛ ناس (إنسان)؛ قوم (رجل / امرأة). ويجوز أن يُعامل معاملة المفرد باعتبار لفظه، ومعاملة الجمع باعتبار معناه، فيقال: القوم سار/ ساروا؛

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

شعب ذكي/ أذكىاء، الجيش زحف/ زحفوا؛ وفي التنزيل العزيز:
﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢].

اسم الجنس: هو الذي لا يختص بواحد دون آخر من أفراد جنسه، مثل:
رجل، امرأة.

اسم الجنس الإفرادي: هو ما دلّ على الكثير والقليل من الجنس، نحو:
ماء، لبن، عسل...

اسم الجنس الجمعي: هو ما تضمّن معنى الجمع دالاً على الجنس، مثل:
حَمَام، نمل، نخل، شجر، تفاح، تمر، عرب، روم... ونحصل على المفرد بزيادة
تاء، نحو: حَمَامَة، نملة، تفاحة، تمرّة؛ أو بزيادة ياء النسبة: عربيّ، روميّ...

أولاً: يجب تذكير الفعل إذا كان الفاعل:

١ - عاقلاً مذكراً (لفظاً أو معنئ):

- مفرداً، نحو: حضر المجتهد حمزة (حمزة مذكراً معنئ).
- مثني، نحو: حضر المجتهدان.
- جمع مذكر سالماً، نحو: حضر المجتهدون.

ملاحظة: إذا قلنا المجتهدُ حضر، فإن مدرسة البصرة تُعرب (المجتهد) مبتدأً [لا فاعلاً تقدّم فعله]، ويكون الفاعل ضميراً مستتراً تقديره هو يعود على المبتدأ. ونلاحظ أن الفعل يبقى مذكراً، لكنه يطابق الضمير من حيث العدد، فيقال: حمزة حضر؛ المجتهدان حضرا؛ المجتهدون حضروا.

٢ - مذكراً غير عاقل، مفرداً أو مثني، نحو:

قصف الرعد، لمع البرق، انكسر الصحنان - سقط الجداران.
هنا أيضاً: الرعد قصف، البرق لمع، الصحنان انكسرا، الجداران سقطا.

ثانياً: يجب تأنيث الفعل إذا كان الفاعل:

١ - مؤنثاً حقيقياً غير مفصول عن فعله:

• مفرداً، نحو: جاءت فاطمة؛ تتعلم هند؛ ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل

عمران: ٣٥].

• مثني، نحو: جاءت الفاطمتان؛ تتعلم الفتاتان؛

تَمَنَّى ابْتِئَاءَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَر

«ليبد»

الأصل: تَمَنَّى، وحذف التاء مألوف عند العرب.

وفي التنزيل العزيز: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، أي تَنَزَّل.

• جمعاً سالماً للعاقل (في رأي جمهور النحاة خلافاً للكوفيين)،

سافرت الطالبات.

٢ - مفرداً، من اسم جنس جمعي، نحو:

سارت بقرة؛ نبتت نخلة؛ أورقت شجرة.

٣ - ضميراً مستتراً يعود على:

أ- مؤنث مفرد أو مثني:

• حقيقي، نحو: سُكِينَةُ سافرت؛ فاطمة تملأ الدنيا؛ العائشان تتعلمان.

• مجازي، نحو: الحرب انتهت؛ الشمس طلعت؛ المدرستان افتتحتا.

ب- جمع مؤنث سالم:

• عاقل، نحو: الفاطمات (أو المجتهدات) سافرنَ (أو سافرت)

وَيُسَافِرْنَ (أو تُسَافِرْنَ). [الأعلى في هذه الحالة استعمال نون النسوة].

• غير عاقل، نحو: الشجرات ارتفعت (أو ارتفعن).

[الأعلى في هذه الحالة استعمال تاء التأنيث].

- ج- ملحق بجمع المؤنث السالم، نحو: البنات حَضَرْنَ (حضرت).
 د- ملحق بجمع المذكر السالم، (مفرده مؤنث) نحو: السُّنُونُ
 أَنْصَرَمَتْ (انصرمت).
 هـ- اسم جمع خاص بالإناث، نحو: النساء حَضَرْنَ (حضرت).
 و- جمع تكسير لمؤنث:
 • عاقل، نحو: الحبالى يَسْتَرْحَنَ (تستريح).
 • غير عاقل، نحو: الوسائل كَثُرَتْ (كثرت). الديار شَغَفَتْ / شَغَفْنَ قلبي:
 وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلبي ولكن حُبُّ من سَكَنَ الدِّيارِ
 ز- جمع تكسير لمذكر غير عاقل:
 ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠].
 الجمال سارت (سرن، تسيير ويسرن)؛ الدروس شُرِحتْ (شُرِحْنَ). الجُدُرُ
 سَقَطَتْ؛ الصحون انكسرت...

ثالثاً - يجوز تذكير الفعل وتأنيثه إذا كان الفاعل:

- ١- حقيقي التأنيث مفصلاً عن فعله بكلمة أو ضمير.
- ٢- جمعاً سالماً لمؤنث مجازي (أو حقيقي).
- ٣- ملحقاً بجمع المؤنث السالم.
- ٤- ملحقاً بجمع المذكر السالم.
- ٥- مجازي التأنيث.
- ٦- جمع تكسير لمؤنث.
- ٧- جمع تكسير لمذكر.
- ٨- اسم جمع.
- ٩- اسم جنس

١٠- اسم جنسٍ جمعي.

١١- ضميراً يعود على جمع تكسير لمذكرٍ عاقل.

وفيما يلي تفصيل كل حالة:

١- حقيقي التأنيث مفصلاً عن فعله بكلمة أو ضمير، نحو:

• سافرت (سافر) اليوم فاطمة.

• نَسَقَتْ (نَسَقَ) الزهر مهندسة بارعة.

• ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [المُتَّحَنَةُ: ١٢].

• إن عدم التأنيث هو الأوضح إذا كان الفاصل كلمة (إلا)، نحو:

ما صاخ (صاحت) إلا طفلة.

٢- جمعاً سالماً لمؤنثٍ مجازي (أو حقيقي)، نحو:

• ﴿وَلَيْنِ أَدْفَنَهُ نَعْمَاءٌ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي

إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

• ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾ [الزُّمَرُ / ٥١].

• ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ [الجاثية: ٣٣].

لئن جمع الآفات فالبخل شرُّها وشرُّ من البخل المواعيد والمطلُّ

عشيَّة قام النائحات وشققت جُيوبُ أيدي مآتم وخدودُ

• قال ابن المُفَّع في «كلیلة ودمنة»: فَسَمِعَ السَّمَكَاتُ قولهما...

ملاحظة مهمة:

إذا كان الفاعل جمع مؤنثٍ سالماً للعاقل، فإن جمهور النحاة يُوجب

تأنيث الفعل، ولا يُجيز التذكير، أي يجب أن نقول:

جاءت الفاطمات؛ كانت الشاعرات تُجيد القريض كالشعراء.

ولا يجوز في رأيهم - خلافاً للكوفيين - أن يُقال سافر الطالبات، بل:
سافرت الطالبات!

٣- ملحقاً بجمع المؤنث السالم، نحو: قامت/ قام البنات.

٤- ملحقاً بجمع المذكر السالم، نحو:

• جاء (جاءت) البنون.

• ﴿ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠].

٥- مجازي التأنيث، نحو:

• ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧].

• ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤].

• ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ويجوز في غير القرآن أن يقال: جاءته موعظة.

• ﴿وَمَا كَانَ صِلَاؤُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاةً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

• انتهت (انتهى) الحرب؛ تطلع (يطلع) الشمس؛ امتلأت (امتلاءً)

الحديقة بالأزهار. كانت (كان) الإنارة الكهربائية وما تزال

اخترعاً عظيماً. يجب (تجب) ملاحظة كذا.

٦- جمع تكسير لمؤنث:

ملاحظة: في حالة الجموع عموماً: التأنيث على قصد تأويل الفاعل

بالجماعة أو الفئة. والتذكير على قصد تأويل الفاعل بالجمع أو الفريق.

• عاقل، نحو: جاءت (جاء) الفواطم؛

فبكى بناتي شجوهنَّ وزوجتي والظاعنون إليَّ ثم تصدَّعوا

«عَبْدَةُ ابْنِ الطَّيِّبِ»

«بناتي» جمعُ تكسير في رأي بعض النحاة، لأن المفرد (بنت) لم يسلم في

الجمع: لا يقال بنتات! وجمع التفسير - كما هو معلوم - يُنصب بالفتحة. غير أن أكثرية النحاة يُعدّون كلمة (بنات) ملحقة بجمع المؤنث السالم. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم منصوبة بالكسرة عدة مرات!

• غير عاقل، نحو:

تصدّت (تصدّي) وسائل الإعلام لهذا الحدث.

مِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً وَجُودًا، إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازُعُ
«الفرزدق»

مَا كَانَ مِنْ حَطَبٍ جَزَلٍ بِسَاحَتِنَا أَوْ دَى الرِّيحِ بِهِ وَالضَيْفُ وَالنَّارُ
«أحمد شوقي»

٧- جمع تكسيرٍ لمذكّر:

• عاقل، نحو: استجاب (استجابت) الرجال؛ بادر (بادرت) الفتيان لنجدته؛ حضر (حضرت) الطلاب.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ [هود: ٦٩].

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

مَا مَضَتْ فِتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرْتُ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ

«البوصيري»

• غير عاقل، نحو: بقيت (بقي) أشياء لا بُدَّ من ذكرها.

سارت (سار) الجمال. ﴿حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِيرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣].

٨- اسم جَمْع، نحو:

جاءت (جاء) النساء؛ ذهب (ذهبت) الناس [ولكن: النساء سافرن/
سافرت؛ الناس اجتمعوا/ اجتمع]. قالت (قال) طائفة...
﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. [ولكن: القوم رَحَل / رَحَلُوا].
﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠].

٩- اسم جنس، نحو: صارت (صار) المرأة متعلمة كالرجل.

١٠- اسم جنس جمعي، نحو:

قالت (قال) العرب؛ هزمت (هزمت) الرُّوم؛ أورك (أورقت) الشجر؛
شرب (شربت) البقر.

١١- ضميراً يعود على جمع تكسير لمذكّر عاقل، نحو:

• الطلاب حضروا/ حضرت؛ الرجال جاؤوا/ جاءت.

• الأئمة قالوا/ قالت (يقولون/ تقول).

• ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣].

• ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥].

• إذا كان الفاعل جمعاً يجوز في فعله التذكير والتأنيث (كجمع

التكسير): حضر/ حضرت الطلاب، فإن الضمير العائد على ذلك الفاعل

يجوز فيه أيضاً التذكير والتأنيث نحو:

١- حضر الطلاب كلُّهم.

٢- حضر الطلاب كلُّها.

٣- حضرت الطلاب كلُّهم.

٤- حضرت الطلاب كلُّها.

المصادر والمراجع

- النحو الوافي لعبّاس حسن، الجزء الثاني / ٦٨، أحكام الفاعل.
- الكفاف ليوسف الصيداوي / ٢٤٤.
- الفعل زمانه وأبنيته، للدكتور إبراهيم السامرائي / ٢١٥.

* * *

هذا ويمكن إجمال ما تقدّم في الجدول الآتي:

وجوب تذكير الفعل وتأنيثه وجوازهما معاً			
الفعل	الفاعل	أمثلة	
وجوب تذكيره	مذكر عاقل (مفرد ومثنى وجمع)	حَضَرَ (المجتهد، المجتهدان، المجتهدون)	
	مذكر غير عاقل (مفرد ومثنى)	سَقَطَ (الجدار، الجدران)	
وجوب تأنيثه	مؤنث حقيقي غير مفصول عن فعله (مفرد ومثنى وجمع)	جاءت (الطالبة، الطالبتان، الطالبات)	
	مفرد من اسم جنس جمعي	سارت بقرة	
	ضمير مستتر يعود على:	مؤنث حقيقي أو مجازي (مفرد ومثنى)	المرأة سافرت، المرأتان تتعلمان المدرسة افتتحت، المدرستان افتتحتا
		جمع مؤنث سالم (عاقل أو غير عاقل)	الفتيات جاءت، الشجرات ازتفعت
		ملحق بجمع المذكر/ المؤنث السالم	السُّنُونُ انصرفت، البناتُ حَصَرَتْ
		اسم جمع خاص بالإناث	النساء حَصَرَتْ
	جمع تكسير لمؤنث أو لمذكر غير عاقل	الحبالي تستريح، الجمالُ سارت، الوسائلُ كَثُرَتْ	
جواز تذكيره وتأنيثه	مؤنث حقيقي مفصول عن فعله	سافرت (سافر) اليومَ فاطمة	
	جمع مؤنث سالم حقيقي أو مجازي	قام (قامت) النائحاتُ سَمِعَ (سَمِعَتْ) السمكاتُ	
	ملحق بجمع المذكر السالم أو المؤنث السالم	جاء (جاءت) البنون، قام (قامت) البناتُ	
	مؤنث مجازي	انتهت (انتهى) الحربُ	
	جمع تكسير لمؤنث أو مذكر (عاقل أو غير عاقل)	بَكَتَ (بَكَى) بناتي، هَبَّتَ (هَبَّ) الرياحُ جاءت (جاء) الرُّسُلُ، سارت (سار) الجمالُ	
	اسم جمع	جاءت (جاء) النساءُ ذَهَبَ (ذهبت) الناسُ	
	اسم جنس أو اسم جنس جمعي	قامت (قام) المرأة، قالت (قال) العربُ	
	ضمير يعود على جمع تكسير لمذكر عاقل	الطلابُ حَصَرُوا (حَصَرَتْ)	

* صنع هذا الجدول صديقي ورصيفي المجمع الأستاذ مروان البواب.

مشروع لكتابة المعجم التاريخي للاصطلاحات الطبية

نشأت الحمارنة (*)

تحتوي اللُّغة - أيُّة لغةٍ - على عددٍ من الألفاظ التي تدلُّ على أسماء الأمراض. وكلُّما زاد عددُ هذه الألفاظ في اللُّغة كان ذلك دليلاً على رقيِّ الوعي الطَّبِّي عند هذا الشعب الناطق بهذه اللُّغة، وعلى اتِّساع معارفه العلميَّة وبخاصَّةِ الطَّبِّيَّة منها.

وإذا غاب عنا ما يشير إلى مستوى تطوُّر العلوم الطَّبِّيَّة في مرحلةٍ من مراحل حياة أحد الشعوب، فإنَّ العودة إلى مفردات لغةِ هذا الشعب في تلك الحِقْبَة من الزَّمَن يمكن أن يكون مُشعِراً يشير إلى مدى علوِّ هذا المستوى ومقياساً ينبئ عن حجم المادَّة العلميَّة التي تراكمت نتيجةً لهذا التَّطوُّر.

وفيما يتعلَّق باللُّغة العربيَّة فإنَّنا إذا قمنا بهذا العمل مستعملين كتابَ (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي فإنَّنا نفاجأ بعدد الكلمات التي تحمل معنىً ينمُّ على معرفةٍ طَبِّيَّةٍ دقيقةٍ. ومن المعروف أنَّ هذا الكتاب ظهر في مرحلةٍ تسبق عصر المأمون (حكم بين: ٨١٣ - ٨٣٣ م = ١٩٨ - ٢١٨ هـ)، ومادَّته العلميَّة جُمِعَت بعيداً عن مركز الخلافة العبَّاسيَّة حيثُ حصل - في بغداد - الاتِّصال بين العرب والعلماء الذين ينتمون إلى الحضارات القديمة.

(*) طيب عيون باحث في تاريخ الطب - الأردن.

وإضافةً إلى عدد الكلمات الموجودة في هذا المعجم فإنَّ بعض الفقرات تشيرُ أيضاً إلى أنَّ العرب امتلكوا - قبل الإسلام - بعضَ الحقائق الطَّبيَّة التي تدلُّ على معرفةٍ علميَّةٍ مهمَّةٍ، والتي لم تلتفت أنظارُ مؤرِّخي الطَّبِّ قبل الآن.

فعلى سبيل المثال نجد في (العين) نصًّا يشرحُ فيه المؤلفُ معنى كلمة (الظَّفرة): «الظَّفرة: جُلَيْدَةٌ تَغْشَى الْعَيْنَ تَنْبُتُ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَاقِي، وَرُبَّمَا قُطِعَتْ، وَإِنْ تُرَكَتْ غَشِيَتْ بَصَرَ الْعَيْنِ حَتَّى يَكِلَّ»^(١).

إنَّ هذا التَّعريفَ بمعنى الكلمة يدلُّ على معرفةٍ طَبَّيَّةٍ قديمةٍ توفَّرت للعرب أيام كَتَبَ الخليلُ معجمه، أيِّ قبل أن تتمَّ الترجمات المعروفة في العصر العبَّاسيِّ في بغداد، ويكفي للتدليل على أهمية هذا التعريف أن نقارنه بما كتبه الأطباء عند تأسيس علم العين العربيِّ.

يقول ابن سينا (المتوفى عام ١٠٣٦ م = ٤٢٨ هـ) في (القانون): «الظَّفرة: هي زيادةٌ من المُلْتَحمة أو من الحِجَابِ المحيط بالعين، تبتدئ في أكثر الأمر من المُوَّق، وتجري دائماً على الملتحمة، وربَّما غَشِيَتْ القرنية ونفذت عليها حتى تغطي الثَّقْبَةَ... وهي تنكشط بسرعةٍ وبأدنى تعليق.. وتحتاج إلى سلخٍ حسبما أنت تعلم ذلك»^(٢).

ويقول عليُّ بن عيسى (المتوفى عام ١٠٣٨ م = ٤٢٩ هـ): في كتابه (تذكرة الكَحَّالين): «أما الظَّفرة فهي زيادةٌ عصبيةٌ في الصَّفَاقِ المُلْتَحِمِ تَنْبُتُ مِنَ الْمَاقِ الْأَكْبَرِ وَتَنْبَسُطُ قَلِيلاً قَلِيلاً إِلَى الْحِجَابِ الْقَرْنِيِّ... وهي ضارَّةٌ بالعين.. وربَّما امتدَّت على الملتحم والقرنيِّ حتى تمنع البَصَرَ...»^(٣).

(١) العين: (١٥٨/٨).

- توفي الخليل صاحب (كتاب العين) حوالي عام (٧٨٩ = ١٧٣ هـ).

(٢) القانون: (٢/٢١٣).

(٣) تذكرة الكَحَّالين: (ص ١٨٠).

فالخليل يدوّن لنا ما يبرهن على أنّ المعرفة الطّبيّة في عصره كانت تصِفُ (الظَّفرة) وصفاً سريريّاً مختصراً وتعرفُ إنذارها السّيِّءَ، (كَلَلِ البَصَرِ) وما يدلُّ أيضاً على أنّ العربَ عرفوا معالجتها جراحياً كلمة: (قطعت).

والفقرتان اللتان كتبهما عليُّ بن عيسى وابن سينا في بداية القرن الحادي عشر الميلاديين تمثلان قَمّة المعرفة الطّبيّة في ذلك الوقت وحتى القرن الثامن عشر الميلاديّ، ونستنتج من ذلك أنّ مثالَ (الظَّفرة) يدلُّ على أنّ العرب أيام الخليل كانوا على علمٍ ببعض ما كتبه الإغريق منذ أيام (جالينوس) (القرن الثاني الميلاديّ). هذه الحقيقة تفتح أمامنا باباً جديداً للبحث عن مستوى الطّبّ عند العرب قبل عصر الترجمة بدليل التراث العربيّ المكتوب ذلك الزّمن وعلى رأسه المعجمات اللُّغويّة، ولنا عودةٌ إلى هذه المسألة المُهمّة في حقل تاريخ الطّبّ العربيّ.

ثم إنّ المرضَ إما كان معروفاً للعرب قبل عصر الخليل فوضعوا له اسماً، أو أنّهم أخذوا عن إحدى الحضارات المجاورة وصفَ هذا المرض فأعطوه اسماً عربيّاً، فالتعريف الذي أعطاه الخليل للمصطلح يدلُّ على معرفةٍ طبيّةٍ متطوّرة، كما يدلُّ أيضاً على أنّه كان يعرف إنذاره: «... إن تُرِكَتْ غَشِيَتِ بَصَرَ العينِ حتى يَكِلَّ».

* * *

ومن ناحيةٍ أخرى إذا تأملنا الفروق اللُّغوية الدّقيقة بين بعض الألفاظ المتشابهة في دلالاتها العامّة فإننا نأخذ فكرةً عن قوّة الملاحظة عند عامّة الناس الذين كانوا يستخدمون هذه الألفاظ، فعلى سبيل المثال:

إنّ كلمة (فالج) تشير إلى (شلل) يصيب جسم الإنسان حيث (تسترخي) بعضُ الأعضاء وتعدم قدرتها على الحركة. لكنّ اصطلاح (الفالج) الذي يشبه

(السُّلَل) من حيث دلالتُه العامَّة يختلف عنه في الحقيقة. فالفالج شلٌّ يصيب أحد شِقِّي الجسم، أيّ إنّه يصيب نصفَ الجسم الأيسر أو نصفَه الأيمن حيث تتعطل حركة الطرفين العلوي والسفلي في ذلك الجزء من الجسم. وهذا التفريق بين اللَّفظين يعدُّ تعبيراً واضحاً عن وعي الناس الذين أدركوا الفرق بين الحالتين المرضيتين، وهو في حدِّ ذاته إشارة إلى دِقَّة الملاحظة في مجال المعرفة الطَّبَّية.

وإضافةً إلى ذلك هو دليلٌ على رَغْبَةٍ عامَّةٍ للناس في التَّعبير عن الفرق بين الحالتين، وهو ما يمكن أن نَعُدّه حالةً متقدِّمةً من الوعي المعرفي. وكما أن وعي عامَّة الناس هو الذي دفعهم إلى التمييز بين الحالتين، فإنَّ حرصهم على التَّعبير الدَّقِيق هو الذي جعلهم يصرُّون على استعمال كلمةٍ معيَّنة في مقابل كلمةٍ أخرى، فكلُّ كلمةٍ عندهم لها دلالتها الخاصَّة. والرَّغْبَةُ في التَّعبير الدَّقِيق وحدها لا تكفي لاختيار لفظتين لهذا الغرض إذ لا بُدَّ من أن تكون اللُّغة نفسُها على درجةٍ من الغنى تسمح لمن يفتش عن لفظةٍ معيَّنة بالعثور عليها. فلولا غنى اللُّغة العربيَّة لقال الناس (السُّلَل النَّصْفِي) للإشارة إلى (الفالج) في مقابل (السُّلَل)، وهذا حال بعض اللُّغات الأوربيَّة الحديثة التي لا تتمتع بهذا الغنى الذي تتمتع به اللُّغة العربيَّة. والتفتيش في اللُّغة يستدعي - هو الآخر - مقدرةً معيَّنة أو موهبةً خاصَّةً عند من يقوم بعملية التفتيش، وهذا مثالٌ على ما نذهب إليه.

الفالج:

يقول ابن فارس في مقاييس اللُّغة^(٤): « الفاء واللام والجيم أصلان

(٤) مقاييس اللُّغة: (٤/٤٤٨).

- توفي ابن فارس صاحب معجم (مقاييس اللُّغة) عام (١٠٠٤ م= ٣٩٥هـ).

صحيحان، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى فَوْزٍ وَغَلَبَةٍ، وَالْآخَرُ عَلَى فُرْجَةٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ المتساويين»^(٥).

ومن هنا نجد أن معنى (فَلَجْتُ الشَّيْءَ) هو: قَسَمْتُهُ إِلَى نِصْفَيْنِ متساويين. وكذلك يقول الخليل بن أحمد في (العين)^(٦): «فَلَجْتُ الشَّيْءَ: قَسَمْتُهُ». و(الفَلَجُ) هو نصف الشَّيْءِ^(٧).

ويقول ابن فارس^(٨): «قال ابن دُرَيْدٍ: وَإِنَّمَا قِيلَ فُلَجَ الرَّجُلُ لِأَنَّهُ ذَهَبَ نِصْفُهُ»^(٩).

-
- (٥) مقاييس اللغة: (٤/٤٤٩): « الفَلَجُ في الأَسنان: تَبَاعُدُ ما بَيْنَ التَّنائيا والرَّبَاعِيَّاتِ ... فَأَمَّا الفَلَجُ في اليَدَيْنِ فقال أبو عُبَيْدٍ: الأَفْلَجُ: الذي اعوجَّجَهُ في يَدَيْهِ، .. ومن الباب: الفالِجُ: الجَمَلُ ذو السَّنَمَيْنِ، وَسُمِّيَ لِلْفُرْجَةِ بَيْنَهُمَا ».
- (٦) العين: (٦/١٢٧).
- التفقيه: (ص ٢٣٤): «الفَلَجُ: مصدر فَلَجَ يَفْلِجُ: إِذَا قَسَمَ، يُقال: قد فَلَجَ بَيْنَهُمُ الشَّيْءَ إِذَا قَسَمَ».
- توفى البندنجي صاحب معجم (التفقيه) عام (٨٩٧ م = ٢٨٤ هـ).
- (٧) مقاييس اللغة: (٤/٤٤٩): «.. وَكُلُّ شَيْءٍ شَفَقْتَهُ فَقَدْ فَلَجْتَهُ فُلَجِينَ، أَي نِصْفَيْنِ».
- المخصص: (٥/٨٣-٨٤): «وقد فُلَجَ فالجاً مشتقاً من الفَلَجِ الذي هو نصف الشَّيْءِ».
- توفى ابن سيده صاحب (المخصص) عام (١٠٦٥ م = ٤٥٨ هـ).
- لسان العرب: (٢/٣٤٦): « فِلَجٌ كُلُّ شَيْءٍ: نِصْفُهُ ».
- توفى ابن منظور صاحب معجم (لسان العرب) عام (١٣١١ م = ٧١١ هـ).
- (٨) مقاييس اللغة: (٤/٤٤٩). وينقل هذه العبارة عن ابن دُرَيْدٍ. وكذلك الجوهري: الصَّحاح: (١/٣٣٥-٣٣٦). وابن منظور: لسان العرب: (٢/٣٤٦).
- توفى ابن دُرَيْدٍ عام (٩٣٣ م = ٣٢١ هـ).
- توفى الجوهري صاحب (الصَّحاح) عام (١٠٠٣ م = ٣٩٣ هـ).
- (٩) وكذلك: القاموس المحيط: (١/٢٠٣): « والفالِجُ اسْتِرْخَاءٌ لِأَحَدِ شِقَيِ البَدَنِ لِانْصِبَابِ خِلْطٍ بِلِغْمِي تَنْسَدُ مِنْهُ مَسَالِكُ الرُّوحِ ».
- توفى الفيروزآبادي صاحب معجم (القاموس المحيط) عام (١٤١٥ م = ٨١٧ هـ).

هذه المقدرة اللغوية هي التي جعلت أحد الناس يلجأ إلى استعمال كلمة (الفاليج) لتشير إلى هذا المرض المعروف، وهذا اجتهاد قام به أحد الأفراد فوجد قبولاً عند الناس، والدليل على ذلك هو انتشار هذه الكلمة بمعناها الجديد واشتهارها.

* * *

ولأن اللغة العربية غنية بالألفاظ التي تحمل دلالات متشابهة فقد تمكّن الأطباء من اختيار بعض الألفاظ لكي تكون لها دلالة محددة في حقل الطبّ، وهذا ما يسمّيه بعض الدارسين التخصيص.

والأمثلة كثيرة على (تخصيص) لفظ ما من اللغة للدلالة على مرض معين. ففي اللغة - على سبيل المثال - تحمل كلمة (الرّعشة) المعنى نفسه الذي تحمله كلمة (الرّعدة). يقول ابن فارس^(١٠): «الراء والعين والشين: الاضطراب والارتعاد»، ومن ذلك: «رجلٌ رَعَشٌ». ويقول الخليل^(١١): «الرّعشُ: رعدةٌ تعتري الإنسان، ارتعش الرجلُ، وارتعشت يدهُ»، «الرّعاشُ: رِعْشةٌ تغشى الإنسان من داءٍ يصيبه»، «ارتعش رأسُ الشيخ».

وقد جاء وقت اختار الأطباء فيه لفظ (الرّعشة) لتدلّ على المرض الذي يصفونه. ولم يستعملوا كلمة (الرّعش) ولا كلمة (الرّعاش) وهما لفظتان من الجذر نفسه تحملان المعنى نفسه. وهذا الاختيار لا بُدَّ أن يكون أحد الأطباء قد لجأ إليه فلقي قبولاً من أهل الاختصاص واستعملوه فاشتهر.

يقول أهل اللغة عن هذا الأمر: إنّ الأطباء نقلوا اللفظة من حقل الاستخدام اللغوي العام إلى حقل الاستخدام الخاص. وهنا صارت

(١٠) مقاييس اللغة: (٤١٢/٢).

(١١) العين: (٢٥٥/١).

(الرَّعْشَة) (اصطلاحاً)، لقد جرّت عملية تخصيصٍ لكلمة (الرَّعْشَة) فصارت اصطلاحاً طبيّاً.

ومن المعروف أنّ (الاصطلاح) كلمةٌ تحملُ في اللُّغة معنىً معيَّناً ولكنها تحمل لأهل الاختصاصِ معنىً جديداً قد لا يفهمه عامّةُ الناسِ وقد يفهمونه. فالاصطلاح كلمةٌ صار لها (دلالةٌ خاصّةٌ) أيّ (دلالةٌ جديدةٌ) في حقلٍ من الحقول الخاصّة.

لقد صارت لفظة (الرَّعْشَة) اصطلاحاً طبيّاً أمّا لفظة (الرَّعْدَة)^(١٢) فقد ظلّت على حالها في اللُّغة، على الرُّغم من أنّ اللَّفظتين تحمّلان المعنى نفسه، والذي قرّرَ ذلك هُم أهلُ الاختصاصِ وهم هنا الأطبّاء. إنّ تخصيصَ كلمة (الرَّعْشَة) لتدلّ على مرضٍ معينٍ يعني أنّ هذه اللَّفظة وُظِّفَتْ لتصير اصطلاحاً طبيّاً.

أمّا كلمة (الفالج) فقد استُحدِثت في اللُّغة لهذا الغرض نفسه. وما يقال عن (الرَّعْشَة) يقال عن (السُّبات)، فهذه اللَّفظة تدلّ على (النُّوم) الطبيعي^(١٣)، أو على (النُّوم الغالب الكثير)^(١٤)، أو على نوعٍ من النُّوم (كالعَشِيّة)^(١٥)،

(١٢) لسان العرب: (٣/ ١٧٩): «الرَّعْدَة: النافض يكون من الفزع وغيره، وقد أُرْعِدَ فارتعدَ».

(١٣) مقاييس اللُّغة: (٣/ ١٢٤): «السين والباء والتاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على راحةٍ وسكون».

- لسان العرب: (٢/ ٣٧): «السَّبْتُ: الراحةُ. وَسَبَّتْ يَسْبُتُ سَبْتًا: استراحَ وسكَنَ... والسُّبات: النُّومُ، وأصلُّه الراحةُ..».

(١٤) العين: (٧/ ٢٣٨ - ٢٣٩): «والسُّبات: النُّومُ الغالب الكثير».

(١٥) العين: (٧/ ٢٣٨ - ٢٣٩): «.. والمريضُ يَسْبُتُ سَبْتًا فهو مسبوت، والسُّباتُ من النومِ شِبهُ عَشِيّةٍ».

- لسان العرب: (٢/ ٣٧): «.. والسُّباتُ: نومٌ خَفِيٌّ، كالعَشِيّةِ، وقال ثعلب: السُّباتُ:

لكنّها تدلُّ أيضاً على (مَرَض) (١٦).

وهذا التّشابه الذي رأيناه بين لفظتي (الرّعشة) و(الرّعدة) نشاهده في حالاتٍ كثيرةٍ ومنها على سبيل المثال: (البثرة) و(الخراج) وكذلك (الجسأ) و(الصّلاية). وفي حالاتٍ أخرى كثيرةٍ يكون التّشابه في المعنى بين كلمتين مشتقتين من الجذر نفسه كما شاهدنا في (الرّعشة) و(الرّعش) و(الرّعاش). فعلى سبيل المثال استعمل الأطباء لفظتي (الحكّة) و(الحكاك) كما استعملوا لفظتي (التّفّاخ) و(الانتفاخ).

ولم يكن الأطباء متفقيين دائماً في اختيارهم للاصطلاح المطلوب ونعطي هنا مثلاً على ذلك: (الكشكري) في كتابه (الكُنّاش في الطّب) (ظهر كتابه بين عامي: ٩٢٢ - ٩٣٢ م). يعطفُ اصطلاح (التّشنج) على اصطلاح (الكُزاز) على حين يعطف ابنُ سينا اصطلاح (التّمُدّد) على اصطلاح (الكُزاز). والأمثلة عديدةٌ فهناك من جعلَ اصطلاح (الاسترخاء) مرادفاً (للاتّساع) وهناك من جعله مرادفاً (للانبساط).

أمّا المثال الأشهر الذي لفتَ الأنظارَ إليه (مايرهوف) و(بروفّر) فهو أنّ حنينَ بن إسحاق اختار لفظة (الجليدية) اسماً لبُلوّرة العين (العدسة) ذلك أنّ الإغريق شبّهوها بالجليد في الوقت نفسه الذي اختار فيه يوحنا بن ماسويه لفظة (البردية) لأنّ الإغريق شبّهوها بحبّة البرد. وفي الحاليتين فإنّ وجه الشّبه هو جمودُ هذه الرّطوبة وشفوفها. ونلاحظ هنا أنّ حنيناً تمسك بالاصطلاح الذي وضعه، على حين استعمل (ابنُ ماسويه) الاصطلاحين

= - توفي ثعلب عام (٢٩١ هـ = ٩١٤ م).

(١٦) لسان العرب: (٣٧/٢): «..الذي لا يتحرّك، وقد أسبّت، ويقال: سبّت المريض، فهو مسبوت. والمسبوت: الميّت والمعشّي عليه، وكذلك العليل إذا كان ملقى كالنائم يعمّض عينيه في أكثر أحواله، مسبوت».

ولم يُبَدِّ حماسَةً لأحدهما على حساب الآخر.
ونؤكدُ هنا أنَّ المعنى الذي يحمله الاصطلاحُ في اللُّغة اليونانيَّة عند الأطباء الإغريق هو الذي أوحى للأطباء العرب بانتقاء الاصطلاح العربيِّ واعتماده.

* * *

وثمَّة كلماتٌ في اللُّغة لها دلالةٌ واضحةٌ على مرضٍ من الأمراض وقد تكون هذه الدلالة المعنى الوحيد الذي تحمله اللَّفظة والمثال على ذلك هو كلمة (الحَوْل) ^(١٧). وقد يكون اللَّفظة أكثر من معنى، أحدُ هذه المعاني يدلُّ على مرضٍ والمثال على ذلك كلمة (اللَّقوة) ^(١٨)، فللَّقوة أكثر من دلالةٍ في اللُّغة، أحدُ هذه الدلالات هو اسمٌ لمرضٍ يصيبُ الوجهَ. فالْحَوْلُ في أساس اللُّغة يدلُّ على مرضٍ ولا يدلُّ على معنىٍ آخر، واللَّقوة في أساس اللُّغة تدلُّ على مرضٍ لكنَّها تدلُّ على معنىٍ آخر والأطباء يفهمون من اللَّقوة معناها الطَّبِّي، وهم لم يختاروا هذه اللَّفظة لتصبح اصطلاحاً طبَّياً، بل إنَّها تحمل المعنى الاصطلاحِيَّ في أساس اللُّغة.

(١٧) العين: (٣/ ٢٩٩): «والْحَوْلُ: إقبالُ الحَدَقَةِ على الأنفِ. حَوَلْتُ تَحَوَّلُ. وإذا كان الحول يَحْدُثُ وَيَذْهَبُ قيل: احوَلْتُ عينه احوِلاً، وَاحوَلْتُ احوِلاً».

القاموس المحيط: (٣/ ٣٦٤): «والْحَوْلُ محرَّكةٌ ظُهورُ البياضِ في مُؤخِرِ العينِ ويكونُ السَّوادُ من قِبَلِ المَاقِ، أو إقبالُ الحَدَقَةِ على الأنفِ، أو ذهابُ حَدَقَتِها قِبَلِ مُؤخِرِها، أو أن تكونَ العينُ كأنما تَنظُرُ إلى الحِجَاجِ، أو أن تَميلَ الحَدَقَةُ إلى اللَّحَاظِ. وقد حَوَلْتُ وحالَّتْ تَحالَّ وَاحوَلْتُ احوِلاً. ورجُلٌ احوَلَّ وحوَلَّ. وأحالَ عَينَهُ وحوَلَّها صَيَّرَها حَوَلاً».

(١٨) العين: (٥/ ٢١٢): «اللَّقوةُ داءٌ يأخُذُ في الوجهِ يَعوِجُ منه الشَّدقُ... واللَّقوةُ واللَّقوةُ: العُقَابُ السَّريعةُ السَّيرِ».

القاموس المحيط: (٤/ ٣٨٦): «اللَّقوةُ: داءٌ في الوجهِ..
واللَّقوةُ ويُكسَّرُ: المرأةُ السَّريعةُ اللَّقاحِ كالنَّاقَةِ، والعُقَابُ الأثني، أو الخفيفةُ السَّريعةُ».

فالأصطلاحات الطَّبِيَّة التي نجدُها في اللُّغة العربيَّة منذ الأيام الأولى لهذه اللُّغة كانت بمتناول الأطباء فاستعملوها وصارت في عهد التدوين اصطلاحاً فنيّاً، فالأطباء اختاروا بعضها كما في مثال (الرَّعْشَة) وخصَّصوا بعضها ليحمل الدلالة المرجوة في مجال الطَّبِّ كما في كلمة (السُّبَات) لكنَّ الأطباء استحدثوا بعضَ الألفاظ بغرض أن يجعلوها اصطلاحاً كما في (الفالج).
ومن الكلمات التي استحدثت في اللُّغة لتدلَّ على اسم مرضٍ كلمتا (الصُّدَاع) و(السَّقِيقة) شأنهما في ذلك شأن كلمة (الفالج).
فكلمة (صُّدَاع) جاءت من الجذر الثلاثي (ص د ع) لتشير إلى اصطلاحٍ فنيٍّ^(١٩) في اللُّغة معناه (ألمٌ في الرأس)^(٢٠).
وكلمة (السَّقِيقة) جاءت من الجذر الثلاثي (ش ق ق) لتدلَّ على شكلٍ

(١٩) Terminus Technicus.

(٢٠) العين: (١/٢٩٢): «الصُّدَاع: وجعُ الرأس».

- تاج العروس: (١/٣٢٦): «.. والصُّدَاع كغُرَاب: وجعُ الرَّأْس، كما في الصَّحاح، وقال الرَّاعِبُ: هو شبهُ الانشِقَاقِ في الرَّأْسِ من الوَجَعِ، مُسْتَعَارٌ من الصُّدَعِ، بمعنى السَّقِّ في الحَائِطِ وَغَيْرِهِ».

- أتمَّ المرتضى الزبيدي معجمه (تاج العروس) عام (١١٨٠هـ) وتوفي الزبيدي عام (١٧٩٠م = ١٢٠٥هـ).

- توفي الراغب الأصفهاني عام (١١٠٨م = ٥٠٢هـ).

- التنوير: (تحقيق: الكرعي: ص ٥١)، (تحقيق: تقي الدين: ص ١٥)، (تحقيق: نشأت الحمارنة: ص ٤٩٥): «الصُّدَاع: وجعُ الرَّأْسِ كُلِّهِ».

- التنوير في الاصطلاحات الطبية (للحسن بن نوح القمري): (المتوفى عام ٩٩٩م = ٣٩٠هـ).

- قاموس الأطباء: المخطوط: (١/٢٥٩): «الصداع كغراب: ألمٌ في أعضاء الرَّأْسِ في أيها كان، والمراد بهذه الأعضاء ما عدا العظم وجوهر الدماغ».

- توفي مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري: صاحب: (قاموس الأطباء وناموس الألباء): (بعد ١٦٣٤م = ١٠٤٤هـ).

معين من أشكال (الصُّدَاع) ينحصر الوَجَع فيه في (جانب) الرَّأْس أي في (نصف الرَّأس) أي في (شِقِّ الرَّأس) (٢١).

زمن ظهور الاصطلاح:

إنَّ الألفاظ الطَّبيَّة التي نجدُها في معجم (العين) تتأكَّد أصلها حينما يشيرُ ابنُ فارس في (مقاييس اللُّغة) إلى أصالة المعنى الذي تحمله في جذرها الثلاثي.

فعلى سبيل المثال: الشَّتْر: الخليل: « الشَّتْر: انقلابٌ في جَفْنِ العَيْنِ الأسفل قلَّما يكونُ خَلْقَةً.

والشَّتْر، بجزم التاء: فَعْلُك بها. والنَّعْتُ: أَشْتَرُ وشَرَاءُ. وقد شَتَرَ يَشْتَرُ شَتْرًا» (٢٢).

ابن فارس: « شتر: الشين والتاء والراء يدُلُّ على خرقٍ في شيء. من

(٢١) العين: (٨/٥): «الشَّقِيْقَةُ: وَجَعُ نِصْفِ الرَّأْسِ».

- تاج العروس: (٢٥/٥١١ - ٥١٩): «الشَّقُّ: الجَانِبُ وجَانِبَا الشَّيْءِ: شِقَاؤُهُ..

الشَّقُّ من كُلِّ شَيْءٍ: نِصْفُهُ إِذَا شُقَّ..

الشَّقِيْقَةُ: وَجَعٌ يَأْخُذُ نِصْفَ الرَّأْسِ وَالْوَجْهَ كَمَا فِي الصَّحَاحِ، وَفِي التَّهْذِيبِ صُدَاعٌ بَدَلٌ وَجَعٌ. وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هُوَ نَوْعٌ مِنْ صُدَاعٍ يَعْرِضُ فِي مُقَدِّمِ الرَّأْسِ، وَإِلَى جَانِبَيْهِ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «اِحْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرَمٌ مِنْ شَقِيْقَةٍ».

- توفي ابن الأثير عام (١٢١٠ م = ٦٠٦ هـ).

- توفي الأزهرى صاحب (تهذيب اللُّغة) عام (٩٨٠ م = ٣٧٠ هـ).

- التنوير: (تحقيق: الكرّمى: ص ٥٠)، (تحقيق: تقي الدين: ص ١٤)، (تحقيق: نشأت الحمارنة: ص ٤٩٦): «الشَّقِيْقَةُ: وَجَعٌ أَحَدِ شَقِيْقَيْهِ».

- قاموس الأطباء: المخطوط: (١/٢٥٩): «إِذَا كَانَ الصُّدَاعُ فِي أَحَدِ شَقِيْقَيْ الرَّأْسِ مَعْتَادًا لِأَزْمًا فَإِنَّهُ يُسَمَّى شَقِيْقَةً». (١/٣٠٤): «الشَّقِيْقَةُ: وَجَعٌ يَأْخُذُ فِي أَحَدِ شَقِيْقَيْ الرَّأْسِ وَيَهِيْجُ بِأَدْوَارٍ غَالِبًا هَيْجَانًا شَدِيدًا».

(٢٢) العين: (٦/٢٤٥).

ذلك الشتر في العين: انقلاب في جفنها الأسفل مع خرق يكون»^(٢٣).

لكن مجرد وجود هذه الألفاظ في هذين المعجمين لا يشير إلى تاريخ استعمالها في اللغة العربية أول مرة، وإن كانت بعض المؤشرات يمكن أن تساعد أهل الاختصاص في تعرف هذا التاريخ كأن تكون اللفظة موجودة في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف أو في الشعر الجاهلي.

ونحن هنا بصدد محاولة البحث عن تاريخ ظهور الألفاظ التي استحدثت في اللغة والتي لم تكن موجودة أيام الخليل، وهذه الألفاظ جاءت نتيجة لتعرف العرب بالطب السرياني والفارسي أولاً والطب الإغريقي ثانياً، وسنحاول أن نقتصر في بحثنا على هذه الحدود، أي على الزمن الذي بدأ فيه العرب بالأخذ عن السريان والفرس نتيجة للعيش المشترك.

في المرحلة الأولى تعرف العرب الطب السرياني في الشام والعراق والطب الفارسي في العراق وجنديسابور، وتعرفوا بطبيعة الحال أسماء بعض الأمراض بالسريانية أو الفارسية. وقد جرى كل ذلك نتيجة للعيش المشترك مع السريان والفرس لقرون عديدة. أما في المرحلة الثانية فقد جرت محاولات لترجمة الطب من السريانية إلى العربية في العصر الأموي، ومن السريانية أو الإغريقية إلى العربية في العصر العباسي وقد واجه التراجم أو الأطباء مهمة جديدة هي اختيار الاصطلاح العربي المناسب في مقابل الاصطلاح الطبي الأعجمي.

فثمة معانٍ يحملها الاصطلاح الأعجمي فهمها المترجمون وبحثوا في اللغة عن لفظة تحمل المعنى نفسه وتعطي الدلالة الاصطلاحية للكلمة الأعجمية بدقة. في بعض الأحيان وجدوا هذه اللفظة العربية بسهولة، ولكنهم في

(٢٣) مقاييس اللغة: (٣/ ٢٤٤).

أحياناً أخرى اضطروا إلى استحداث كلمة عربية جديدة، ونادراً ما اضطروا إلى اقتراض لفظة أجنبية وتعريبها.

المثال على الحالة الأولى هو الكلمات التي اختارها حنين بن إسحاق لتقابل كلمات يونانية وتحمل معناها بدقة ومنها كلمتا (الشَّشْج) و(الاسترخاء). ومنها أيضاً اصطلاح (الشَّعِيرَة) التي اختيرت لتكون اصطلاحاً طبياً يقابل الاصطلاح اليوناني الذي يحمل معنى (حَبَّة الشَّعِير)، وهو اسم مرضٍ يصيب حافة الجفن وصفه الأطباء الإغريق بأنه (ورمٌ مستطيلٌ يشبه في شكله حَبَّة الشَّعِير).

إن كلمة (الشَّعِيرَة) لا تحمل في اللغة العربية دلالةً طبيّة فاللغة العربية القديمة لا يوجد فيها اسمٌ لهذا الورم المستطيل الذي يظهر على حافة الجفن، والذين أعطوا لهذا المرض اسم (الشَّعِيرَة) هم الإغريق وذلك لأنه يشبه (الشَّعِيرَة) في شكله. وبوحي من الإغريق وافق الأطباء العرب على اختيار هذا الاسم (الشَّعِيرَة) لهذا الورم. لقد ترجموا الاسم الإغريقي ترجمةً مباشرةً لأن هذه الترجمة تحافظ على اجتهاد الأطباء الإغريق.

وفي بعض الحالات التي وافق الأطباء العرب الأطباء الإغريق على اختيار اسمٍ معيّنٍ ليكون اصطلاحاً فنيّاً، كان من السهل عليهم العثور على لفظة عربية، لكنهم في أحيانٍ أخرى اضطروا لاستحداث كلمة عربية جديدة فاللغة العربية لا يوجد فيها كلمة واحدة تدلُّ على (حَبَّة البَرْد) فاضطروا إلى استحداث كلمة (البَرْدَة) لكي تعني (حَبَّة البَرْد) ذلك أن الأطباء الإغريق شبَّهوا أحد أورام باطن الجفن (بحَبَّة البَرْد)، وَوَجَّهَ الشَّبَهَ بين (حَبَّة البَرْد) وهذا الورم هو الحجمُ و(الاستدارة)^(٢٤)، ولأنَّ الأطباء العرب وافقوا على

(٢٤) قاموس الأطباء/ المخطوط: (١/ ١٢٥): « البرد.. بالتحريك حب الغمام.. =

هذا التشبيه الذي لجأ إليه الإغريق فإنهم اضطروا إلى استحداث كلمة (البردة) ولم يميلوا إلى استعمال لفظتين للمعنى نفسه (حبة البرد). (البردة) إذن لفظة لم تكن موجودة في المعجمات العربية القديمة ولا في أصل اللغة وقد استحدثها الأطباء كما رأينا، أمّا (الشعيرة) فكانت موجودة في اللغة واختارها الأطباء وأعطوها معنى اصطلاحياً في حقل الطب^(٢٥).

= والبردة أيضاً من أمراض العين. وهي: رطوبة تغلظ وتتحجر في باطن الجفن وتكون إلى البياض، شبيهة بالبردة...».

- كشف اصطلاحات الفنون: (١/١٥٦): «البردة: بالفتحتين رطوبة تغلظ وتتحجر في باطن الجفن، يكون مائلاً إلى البياض يشبه البردة في الشكل والصلابة ولذا سميت بها».

- توفي التهانوي صاحب (كشف اصطلاحات الفنون) عام (بعد ١٧٤٥ م = ١١٥٨ هـ).

(٢٥) العين: (١/٢٥١ - ٢٥): « والشعيرة حديدة أو فضة تُجعل مساكاً لنصل السكين في النَّصَابِ حيث يُرْكَبُ.

والشعاري: صغار القثاء، الواحدة شعروزة وشعورور.

والشعيرة من الحلي تتخذ من فضة أو ذهب أمثال الشعير».

- مقاييس اللغة: (٣/١٩٣): « شعر: الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على ثبات، والآخر على علم وعلم.

فالأول الشعر والشعر: معروف، والجمع أشعار، وهو جمع جمع، والواحدة شعرة وشعرة.

ورجل أشعر: طويل شعر (شعر) الرأس والجسد.

والشعار: الشجر...

ومما يقرب من هذا الشعير، وهو معروف.

فأما الشعيرة: الحديدة التي تُجعل مساكاً لنصل السكين إذا ركب، فإنما هو مشبه بحبة الشعير.

والشعاري: صغار القثاء.

والشعيرة: واحدة الشعائر، وهي أعلام الحج وأعماله».

- مفاتيح العلوم: (تحقيق: الأبياري، ص ١٨٤، « ص ١٥٣ »): «الشعيرة في الجفن: ورم مستطيل».

فالاصطلاح الطَّبِّي (الشَّعِيرَة) وُلِدَ في عصر الترجمة ولم تكن كلمة (الشَّعِيرَة) لتحمل هذه الدلالة قبل ذلك أمَّا الاصطلاح الطَّبِّي (البَرْدَة) فقد وُلِدَ في العصر نفسه لكنّه لم يكن موجوداً في اللُّغة قبل ذلك وإنّما اقتصر وجوده في اللُّغة على جذره الثلاثي.

إنَّ معرفة تاريخ الطَّبِّ العربيِّ ضروريَّةٌ لمعرفة تاريخ ظهور الاصطلاح الطَّبِّي وبالتالي للمساهمة في كتابة (المعجم التاريخي للاصطلاحات) في اللُّغة العربيَّة. لقد ظنَّ الباحثون في تاريخ الطَّبِّ العربيِّ، الذين اهتموا بالاصطلاح الطَّبِّي وبتأثير الإغريق في العرب في هذا المجال، لقد ظنُّوا أنَّ هذه العملية تمَّت في عصر حنين بن إسحاق لكنَّهم لم يدخلوا في التفاصيل، فبعضُ الاصطلاحات وضعها حنين في ذروة عصر الترجمة أي في منتصف القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري). ويهْمُنَا هنا أنَّ بعض هذه الاصطلاحات ظهرت قبل عصر حنين وأنَّ بعضها يعود زمنُ ظهوره إلى بداية القرن الثامن وهذا ما سنأتي على تفصيله مساهمةً منا في وضع (المعجم التاريخي للاصطلاحات الطَّبِّيَّة). وفي هذه العملية سنعطي الحقَّ لأصحابه وسنبرز دور بعض الأطباء والتراجمة في تاريخ الطَّبِّ العربيِّ وفي تاريخ المعجم العربيِّ.

* * *

نمتلك بعضَ الوثائق التي تشير إلى أنَّ الأطباء العربَ وصفوا الأمراضَ وصفاً سريريّاً جيِّداً منذ أوائل القرن الثامن الميلادي (القرن الثاني الهجري)،

= توفي الخوارزمي صاحب (مفاتيح العلوم) عام (٩٩٧ م = ٣٨٧ هـ).
- دوزي Dozy: التكملة: (٣١٨ / ٦ - ٣١٩): «شعير: وجمعه شعيرات: القموح والشعيرات والحبوب
الشعير: شكل من أشكال قلائد النساء.
شعيرة: داء الشعيرة وهي باللاتينية Ordeolus وهو ورم في الجفن يشبه حبة الشعير (محيط المحيط وابن العوام) ينظر المعجم اللاتيني مادة Ordeolus.»

لكنَّ جُلَّ المادَّة التي كتبها تُعدُّ في حكم المفقودة - مع الأسف - ولم يصل إلى عصرنا منها إلا النَّزْر اليسير.

ونقصد بذلك تلك المادَّة التي وصلت بعضُ مقتبساتٍ منها إلى أيامنا، وهي المقتبساتُ المنسوبةُ إلى (ماسرجويه البصريّ)^(٢٦) (من أهل النَّصف الثاني من القرن السابع الميلاديّ) وإلى عددٍ من المؤلِّفين غيره عاشوا بعده ولحق بعضهم القرن التاسع الميلاديّ.

أقدم هذه الكتابات إذنْ تعود بالتأكيد إلى مطلع القرن الثامن الميلاديّ وبعضها يعود زمنه إلى أواخر هذا القرن.

هذا عن المادَّة الضَّائعة التي لم يصل إلينا منها إلا الاقتباسات.

أمَّا المادَّة العلميَّة التي وصلت إلى عصرنا مكتملةً فهي كتابٌ واحدٌ فقط ألَّفهُ عيسى بن حكم المشهورُ بمسيح الدَّمشقيّ^(٢٧) وقَدَّمه إلى الخليفة هارون الرَّشيد^(٢٨)، فالكتابُ ظهر إذنْ قبل عام (٨٠٩م = ١٩٣هـ) عام وفاة الرَّشيد.

(٢٦) عاش ماسرجويه في البصرة أيام الدولة المروانيَّة. وقد امتدَّ حكم هذه الأسرة من الأمويين من عام (٦٨٤م = ٦٤هـ) - حين وصل (مروان بن الحكم) إلى سُدَّة الخلافة في دمشق - إلى عام (٧٥٠م = ١٣٢هـ) - حين انتهى حكم (مروان بن محمَّد) آخر خلفاء بني أميَّة. ولا نعرف متى عاش ماسرجويه هذا على وجه الدَّقَّة، إلا أنَّ أعماله الطَّبيَّة كانت موجودةً في (خزائن كتب الخلافة) يوم جاء (عمر بن عبد العزيز) إلى الحكم عام (٧١٧م = ٩٩هـ).

هذا يعني أنَّ هذه الأعمال تعود إلى أوائل القرن الثامن الميلاديّ على أبعد حدّ، ذلك أنَّ الكتاب كان موجوداً في خزانة الخلافة قبل عام (٧١٧م)، وقد يعود عهد بعضها إلى القرن السابع الميلاديّ.

يُنظر: عيون الأنباء: (١/١٠٩-١٦٣). سزكين: (٣/٢٠٦).

(٢٧) اسم الكتاب هو (الرَّسالة الكافية في الطَّبّ)، وقد اشتهر باسم (الرَّسالة الكافية الهارويَّة).

يُنظر: مقالة: لقيَّ جديدة من كنز التراث العربيّ: (ص ٨). مكتبة الكَحَّال في عصر

الرازي: (ص ٣٠).

(٢٨) حكم الرشيد بين: (٧٨٦-٨٠٩م = ١٧٠-١٩٣هـ).

وأما المقتبسات وهي موجودة أساساً في كتاب (الحاوي في الطب) (٢٩) الذي كتبه الرازي (٣٠)، في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلاديين. أهمية ما كتبه عيسى بن حكم تكمن في أنه وصل كاملاً إلى عصرنا. وأهميته ما كتبه ماسرجويه البصري هي أنه أقدم ما كُتب بالعربية في حقل الطب، سواء ما نقله ماسرجويه من الإغريقية، أو ما ألفه بنفسه.

وفي الحقيقة فإن المقتبسات المذكورة لا ينحصر وجودها في كتاب (الحاوي) وإنما توجد في كتب أخرى كثيرة، ولكن بحجم أقل. وأشهر هذه الكتب كتاب البيروني (٣١) (الصيّدنة في الطب)، وهو كتاب في الأدوية وعلوم الصيدلة الأخرى، وكتاب ابن البيطار (٣٢) (الجامع لمفردات الأدوية

(٢٩) وهو مجموعة مقتبسات اختارها الرازي على مدى زمن طويل وأخذها من كل المؤلفين الذين عاشوا قبله، وقصده من جمعها أن تكون مادة أولية لتأليف كتاب شامل في الطب سمّاه الرازي (الجامع الكبير). وقد توفي الرازي بعد أن ظهر من هذا الكتاب اثنا عشر جزءاً يعدّ عناوينها ابن أبي أصيبعة.

للتوسع: يُنظر: تاريخ أطباء العيون العرب: (٣/ ٨٣-٩٦).

(٣٠) توفي الرازي نحو عام (٩٢٥ م = ٣١٣ هـ) وقد جمع تلامذته الأوراق التي كتبها الرازي وصنّفوها في كتاب سمّوه (الحاوي في الطب). طبع (الحاوي) في حيدرآباد الدكن (الهند) باعنتاء (دائرة المعارف العثمانية). ويقع في ثلاثة وعشرين جزءاً. يُنظر: سزكين: (٣/ ٢٧٤).

(٣١) توفي البيروني عام (١٠٤٨ م = ٤٤٠ هـ) وقضى جزءاً كبيراً من حياته في الهند وكتب عن تاريخها وثقافتها. ويرى ساخاو (Sachau) أن البيروني يمثل أعظم عقلية أنجبها التاريخ.

(٣٢) توفي ابن البيطار عام (١٢٤٨ م = ٦٤٦ هـ)، ولد قرب (مالقة) في الأندلس ولذلك يُنسب إليها فيقال (المالقي). زار شمال إفريقية وكثيراً من بلدان حوض البحر المتوسط (وبلاد الرّوم) دارساً الأعشاب الطّبيّة في مواطنها البرّية الأصيلة ثمّ استقرّ في مصر لكنّه توفي في دمشق. وسبب تنقله الواسع هو رغبته في التّعرف على النباتات الطّبيّة في مواطنها البرّية الأصليّة وهذا ما كان يسمّى في ذلك الزمن (الرحلة النباتيّة) وأشهر من قام بمثل هذه الرحلة هو أستاذه أبو العباس النباتي المشهور بابن الرّوميّة المتوفى سنة (١٢٣٩ م = ٦٣٧ هـ).

والأغذية)، وهو كتابٌ في الأدوية البسيطة والمركبة.

ولا ندري على وجه الدقة متى عاش عيسى بن حكم إلا أن جدّه المشهورُ باسم (أبي الحكم) عاش في عصر معاوية^(٣٣) وقد لحق مسيخُ هذا أيام الرّشيد، أيّ إنّه توفي بعد عام (٧٨٦م = ١٧٠هـ) وصل الرّشيدُ إلى سُدّة الخلافة، ومن المحتمل أن يكون عيسى بن حكم قد عمّر - كوالده - وعاش إلى ما بعد هذا التاريخ^(٣٤).

ولأنّ (الرّسالة الهاروتية) - كتابُ عيسى بن حكم - وصلت كاملةً فإنّه ينبغي علينا أن نجعلَ منها الحقلَ الأوّلَ لدراسة الاصطلاحات الطّبيّة في ذلك الزّمن^(٣٥).

أمّا المقتبساتُ المتناثرةُ في أجزاء (الحاوي) العديدة، والتي كُتِبَ بعضها قبل أكثر من نصف قرنٍ من تاريخ كتابة (الرّسالة الهاروتية) فهي إذا جُمعتُ كلّها تظّلُ أصغرَ حجماً من هذه الرّسالة، لكنّها أكبرُ قيمةً بسببِ قِدَمِها^(٣٦)، وكذلك فإنّ نُدْرَتَها وضالّةَ حجمِها تجعلُ منها مادةً ثمينةً للبحث العلميّ من وجهة نظر الاصطلاحات الطّبيّة الأقدم ظهوراً، ومن هنا فهي مهمّةٌ أيضاً للباحثين الذين يدرسون في حقل (المعجم التاريخي للغة العربيّة).

القرن التاسع:

هذا ما كان حول الاصطلاحات التي دُوّنت في القرن الثامن الهجريّ

(٣٣) حكم معاوية بين (٦٦١-٦٨٠م = ٤١-٦٠هـ).

(٣٤) يقال إنّ (الحكم) والد عيسى بن الحكم كان مُعمّراً عاش أكثر من مئة عام.

يُنظر: عيون الأنباء: (١/١١٩).

(٣٥) السنوات الأخيرة من القرن الثامن الميلاديّ.

(٣٦) تعود إلى أوائل القرن الثامن الميلاديّ (عصر ماسرجويه)، وبين عصر ماسرجويه وعصر

عيسى بن حكم ما يزيد على نصف قرن ويقرب من قرنٍ كامل.

والتي يمتدُّ تاريخُ تدوينها على طول امتداد هذا القرن من بدايته أيام
ماسرجويه البصريِّ وحتى نهايته أيام مسيح الدمشقيِّ.
ولحسن الحظ فقد وصلت إلى عصرنا كتاباتٌ عديدةٌ يعود عهدها إلى
القرن التاسع الميلاديِّ (القرن الثالث الهجريِّ)، وهذه الكتابات - بسبب
اكتمالها واتساعها - كانت موضعَ دراسةٍ من قبلِ عددٍ من المشتغلين في
حقل تاريخ الطَّبِّ العربيِّ، وأمکن معرفة الكثير عنها.
وأهمُّ هذه الكتابات على الإطلاق - وفي حقل طبِّ العيون بخاصَّةٍ -
هي تلك التي كتبها حنين بن إسحاق (المتوفى عام ٨٧٣م = ٢٦٠هـ). ولم
يقتصر نشاط حنين - كما هو معروف - على العمل في حقل طبِّ العيون
بل كان له إنتاجٌ غزيرٌ ومهمٌّ جدًّا في الطَّبِّ العامِّ^(٣٧)، ممَّا جعله - بجدارةٍ -
أولَ مؤسِّسي صرحِ الطَّبِّ العربيِّ وأحدَ أهمِّ أعلامِ عصر الترجمة.
وقد تناولت هذه الدِّراسات^(٣٨) التي أُجريت على كُتبِ حنين موضوعاتٍ
عديدةً يهمنها هنا ما يلي:

أولاً: المصدرُ الإغريقيُّ الذي أخذ عنه حنين.

ثانياً: مدى فهم المؤلف - المترجم - للمادَّة العلميَّة، ومقدرتُه على

(٣٧) كتب حنين كتاباً بعنوان (المسائل في الطَّبِّ للمتعلِّمين) أو (المدخل إلى الطَّبِّ) ويعدُّ هذا الكتابُ تلخيصاً واضحاً للنظرية الطَّبِّيَّة التي أخذها العرب عن الإغريق، وصار أساساً لدراسة الطَّبِّ عند الطلبة العرب.

يُنظر: سزكين: (٢٤٩/٣).

(٣٨) نَحْصُ بالذكر هنا الدراسات التي قام بها مايرهوف (Meyerhof) وأثبت فيها أنَّ كتابَ حنين في العين (العشر مقالات في العين) كتابٌ أُلِّفَ على الطريقة العلميَّة. وعرف مايرهوف أنَّ مصدر هذا الكتاب إنَّما هو المادَّة العلميَّة النظرية التي جاءت متفرقةً في عددٍ كبيرٍ من مؤلِّفات جالينوس.

يُنظر: العشر مقالات: مقدِّمة مايرهوف.

جمعها وتبويبها وإعادة تصنيفها وإخراجها.

ثالثاً: موهبة المؤلف - المترجم - في العثور على الاصطلاحات الفنيّة المناسبة لترجمة المعاني التي تحملها الاصطلاحات العلميّة الإغريقيّة.
رابعاً: أسلوب المؤلف في عرض المادّة العلميّة ومهارته في التّأليف وبلاغته في التعبير.

بين القرن الثامن والقرن التاسع:

بسبب صغر حجم هذه المُقتبسات التي أشرنا إليها فإنّ دراستها لا تسمح بالوصول إلى القدر الكافي من المعرفة كي تتمكن من الحكم عليها من حيث شمولها أو من حيث أهمية المادّة العلميّة التي تحتوي عليها.
الفرق كبيرٌ إذن من حيث قدرتنا على دراسة ما كتبه العرب في القرن التاسع وما كتبه قبله.

لكنّ المادّة التي كتبت في القرن الثامن وإن لم يكن لها هذه الأهمية من وجهة نظر مؤرّخ الطّب، فإنّ لها أهمية كبرى من وجهة نظر الباحث اللغويّ الذي يُعنى بتاريخ ظهور الاصطلاحات العلميّة في اللّغة العربيّة، ذلك أنّها ظهرت قبل عصر حنين بن إسحاق أيّ قبل ذروة عصر ازدهار الترجمة من الإغريقيّة إلى العربيّة.

ماسرجويه البصريّ:

يحكي لنا ابن جُلجل^(٣٩) كيف ترجم ماسرجويه البصريّ كُنَّاشَ أَهْرُنَ القسّ إلى العربيّة، وكيف ظلّت هذه الترجمة محفوظةً في خزانة الخلافة في دمشق إلى أن أخرجها الخليفةُ عمر بن عبد العزيز^(٤٠) للناس.

(٣٩) يُنظر: طبقات الأطباء: بتحقيق فؤاد سيّد: (ص ٦١).

(٤٠) تولى الخلافة بين عامي: (٧١٧-٧١٩م = ٩٩-١٠١هـ).

وأهرن القس^(٤١) هو أحد أطباء الإسكندرية، ويُنسب إليها فيقال أهرن القس الإسكندري، وقد عاش في القرن السادس الميلادي، وفي القرن نفسه قام (جوسوس)^(٤٢) بترجمة كُنَّاش أهرن من اليونانية إلى السريانية، وهذا ما مكن ماسرجويه البصري من ترجمة هذا الكُنَّاش من السريانية إلى العربية^(٤٣).

يقع تراث ماسرجويه البصري في حقلين اثنين:

أولهما: الترجمة التي قام بها ماسرجويه - من السريانية إلى العربية - لكتاب أهرن القس الإسكندري، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم (كُنَّاش أهرن)^(٤٤).

(٤١) حول أهرن: يُنظر: سزكين: (١٦٦/٣). تاريخ أطباء العيون العرب: (٣٨/٢).

(٤٢) جوسوس (gosios) هذا هو غير جيسوس (gesios) الذي من بترا (Petra). والمسمى جيسوس الإسكندراني.

وجيسوس الإسكندراني هو أحد العلماء الذين شرحوا جالينوس وعلّقوا على كتبه، ويعتقد أنه ساهم في إنجاز الملخصات الإسكندرية الشهيرة التي سمّاها العرب (جوامع الإسكندرانيين). ويرجح أنه عاش حوالي عام (٥٠٠ م) ويسمّيه ابن النديم: جاسيوس: الفهرست: (ص ٢٩٢). وقد ذكره القفطي وابن أبي أصيبعة. يُنظر: سزكين: (١٦٠/٣). ديترش: (ص ٢٢٣).

أما جوسوس فقد ذكره بدج (Budge) نقلاً عن ابن العبري، وذلك حينما كتب عن التراث الطبي السرياني. يُنظر: سزكين: (١٦٦/٣).

(٤٣) وليس من الإغريقية إلى العربية كما ظن البعض.

(٤٤) الكُنَّاش: هو الكتاب المختصر، وهو هنا مختصر في الطبّ يُعنى بالطبّ السريري أي بعلم الأعراض والعلامات وعلم التشخيص التفريقي وعلم المداواة والمعالجات الأخرى بشكل عام دون أن يتطرق إلى العلوم الطبيّة النظرية كعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم المرضيات (الإمراض).

والغرض من تأليف الكُنَّاش أن يكون مرجعاً سريعاً يلجأ إليه الطبيب في الممارسة اليومية، ويغنيه عن العودة إلى الكتب الموسعة. ولفظة كُنَّاش أصلها سرياني. أمّا تقليد كتابة الكُنَّاش فإنه يعود إلى أيام الإغريق. يُنظر: تاريخ أطباء العيون العرب: (٣٨/٢).

وثانيهما: ما ألفه ماسرجويه بنفسه بمثابة ملحقٍ لكُنَّاشِ أَهْرُنَ.
فماسرجويه إذن هو أقدمُ المترجمين العرب في حقل الطَّبِّ، وهو في
الوقت عينه أقدمُ المؤلِّفين في هذا الحقل^(٤٥).
يقع كُنَّاشِ أَهْرُنَ في ثلاثين مقالةً، أمَّا الملحق الذي ألفه ماسرجويه
فيقع في مقالتين.

نَسَبَ الرَّاظِيُّ المقتبسات المأخوذة من هذا الكُنَّاشِ إلى صاحبها (قال
أهرن)، أمَّا ما ألفه ماسرجويه البصريُّ وأضافه إلى كُنَّاشِ أَهْرُنَ فقد نسبه إلى
ماسرجويه نفسه مستعملاً عبارة (قال اليهوديُّ)، ذلك أنَّ ماسرجويه كان
يهوديَّ الديانة سُريانيَّ الثقافة، وقد قصد الرازي من وراء ذلك التعبير
التفريقَ بين ماسرجويه هذا وبين مؤلِّفٍ آخرٍ يحمل الاسم نفسه لكنَّه كان
مسيحيًّا، من أهل جُنْدِيسَابُورَ، والمؤلِّفان كلاهما اشتهرا أيضاً باسم
(ماسرجيس) عند كثيرٍ من أصحاب كُتُب التراجم، لكنَّ المؤرِّخين
المعاصرين يسمُّون (ماسرجويه البصريُّ) باسم (ماسرجويه) و(ماسرجويه
الجُنْدِيسَابُوري) باسم (ماسرجيس)، وفي الواقع فإنَّ عدداً من المؤلِّفين
والباحثين لا يلتزمون بهذه الصيغة التي استُعمِلت للتفريق بين الرجلين
ولذلك فإنَّ ثَمَّةَ خلطاً بين المؤلِّفين^(٤٦) وقد بيَّنت الدراسات الحديثة تبياناً
قاطعاً الفرقَ بينهما فماسرجويه (اليهوديُّ البصريُّ) عاش في العصر الأمويِّ
أمَّا الثاني (ماسرجيس) (المسيحيُّ الجُنْدِيسَابُوري) فقد عاش في العصر
العَبَّاسيِّ وكان من أصدقاء الشاعر أبي نواس.

(٤٥) يُنظر: تاريخ أطباء العيون العرب: (٢/ ٤٠).

(٤٦) ولذلك فإنَّنا ننسب كلَّ واحدٍ منهما إلى بلده لكي لا نخلط بينهما فنقول: ماسرجويه
البصري (اليهودي) و(ماسرجويه الجنديسابوري).

صداقة العربية بين اليميني والتنوخي

أ. إبراهيم الزبيق (*)

قليلة هي الصداقات بين العلماء في تاريخنا، لغلبة المنافسة والغيرة فيما بينهم، ولا سيّما إذا كانوا أصحاب فنٍّ واحد. فالمعاصرة غالباً ما تفضي إلى المنافرة، وكتب التراجم مسجورة بأخبار هذه العداوات، ومن أشهرها خصومة المحدثين: مالك بن أنس؛ إمام دار الهجرة، مع علامة المغازي والسير محمد بن إسحاق، ومن ثمّ وُضعت هذه القاعدة الذهبية في الجرح والتعديل، وهي: لا يُسمع كلام الأقران بعضهم في بعض إلا إذا شُفع بحُجة وبرهان، لأنه غالباً ما يصدر عن تعصّبٍ وتحاسدٍ وشنآن^(١).

فعجبٌ من العجب، والأمر كذلك، أن ترى صداقة علمية تأبّت على هذه المنافسة، وغالبتِ السنين، مستمرّة في صفائها وألقها، كالذي كان بين العلامتين: الهندي عبد العزيز اليميني الراجكوتي، والشّامي عزّ الدين علم الدين التنوخي. وقد أُلّف بين قلوبهما حبُّ العربية، والرغبة الصادقة في خدمة تراثها، ونشره بما يليق بأصالتها وجمالها.

وأوّل لقاء بين هذين العَلَمين كان في دمشق سنة ١٩٣٦م / ١٣٥٥هـ حين

(*) باحث في التراث من سورية.

(١) ينظر سير أعلام النبلاء: ٧/٣٨-٤١، ٤١/١١، ٤٥١.

قَدِمَ إليها الميمني في رحلته العلمية بعد زيارته لإستانبول ومن قبلها لمصر، وأطلع على ما في مكتباتهما من كنوز المخطوطات العربية^(٢). فيزور المجمع العلمي العربي، وكان عضواً مراسلاً فيه^(٣). ويلتقيه التنوخي، وهو من الرّعييل الأول من أعضائه^(٤). كان الميمني إذ ذاك في نحو الثامنة والأربعين من عمره، والتنوخي يصغره بعامٍ واحد. فيتعارفان كِفاحاً، وكانا من قبل قد تعارفا بالرّأي والخبر. ويصحبه التنوخي لزيارة الشّاعر العراقي المقيم بدمشق وقتئذٍ أحمد الصّافي النّجفي، وقد علما أن في خزائنه نسخة خطية من كتاب «الورقة» لمحمد بن داود الجّراح، المقتول سنة ٢٩٦هـ / ٨٨٢م، وكان لُنْدْرته في حُكْم المفقود، فيطلعان عليها، فإذا هي بخطّ جميل على ورق صقيل، وتشتمل على ترجمة خمسة وستين شاعراً^(٥).

(٢) مجلة المجمع: مج ٥٤ / ٢٥٩ - ٢٦٣.

(٣) مجلة المجمع: مج ٥٤ / ٢٥٤.

وأهدى الميمني في أواخر حياته لمكتبة المجمع بدمشق نسخة مصورة من دفتر فيه أسماء نوادر المخطوطات التي اطلع عليها في رحلته هذه، متقبلاً عنها جُلّ المكتبات العمومية والخاصة في القاهرة والإسكندرية وإستانبول وحلب ودمشق والقدس وبغداد والنجف. وعدّها الميمني خير ذخيرة اقتناها في حياته. وهي في مكتبة المجمع برقم (٤٦٩). وقد نشر الدكتور شاكر الفحام قسماً منه يتعلق بمكتبات إستانبول في «مجلة معهد المخطوطات العربية» (الكويت) المجلد ٢٩ / الجزء الأول سنة ١٩٨٥م: ص ٦٧-١٢٥. وأعيد نشره في كتاب «بحوث وتحقيقات» ج ١ / ١٥١ - ١٩٣. وما زال عشاق التراث ينتظرون نشر القسم الباقي.

(٤) ينظر كتابي «العلامة المجمعى عز الدين التنوخي»: ص ٤٦ - ٤٧.

(٥) مجلة المجمع: مج ١٥ / ٣٣٧.

ثم يُعرّف التنوخي بالكتاب في مجلة المجمع: مج: ١٥ / ٣٣٥ - ٣٣٩. وهذه النسخة أهداها من بعد الشاعر النجفي للدكتور عبد الوهاب عزام، فحقق نصوصها، وشاركه في التعليق عليها الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج، وصدرت طبعتها الأولى عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣م / ١٣٧٢هـ، ينظر كتاب «الورقة»: ٥، ٧، ١٣، ١٥، ١٧.

ثم يزوران معاً المكتبة الظاهرية - ولا يفصلها عن مقرّ المجمع في المدرسة العادلية الكبرى إلا شارعٌ ضيقٌ - فيطلع الميمني على ما ذُخرت به من مخطوطاتٍ نفيسة، ويقف على نسخة نادرة من السُّفر الثاني من كتاب غريب حديث رسول الله ﷺ تأليف القاسم بن ثابت. فيكتب الميمني على الورقة الأولى فيه: «هذا الكتاب يُعرف بالدلائل، لقاسم بن ثابت، كتبه عبد العزيز الميمني بخطه سنة ١٩٣٦ م^(٦). ولنفاسته يحثُّ صديقه التنوخي على تحقيقه ونشره^(٧).

ويصحبه التنوخي إلى بيتِ صديقه الطَّبيب الشيخ محمد أبي اليُسْر عابدين، في حيِّ سوق ساروجة. والشيخ أبو اليُسْر من أسرة دمشقية عريقة بالعلم والفضل، نبغ فيها مؤلفون ومُفتُّون، كأبي حنيفة الأصغر الشيخ محمد أمين عابدين، الشهير بحاشيته «رد المحتار على الدرِّ المختار»، المعروفة بحاشية ابن عابدين، وهي المرجع في المذهب الحنفي، وابنه محمد علاء الدِّين، مؤلف «قرة عيون الأخيار» التي أكمل بها حاشية والده. ومنهم محمد أبو الخير عابدين، مفتي الشام؛ والد الشيخ أبي اليُسْر، وإليه آلت كتب آبائه، وفيها مخطوطاتٌ نادرة.

فيطلعهما الشيخ أبو اليسر على تلك النوادر، ومن بينها مجموعة لغوية، كُتبت على صفحة الطُّرَّة منها: «كتاب المُثَنَّى» لحجَّة العرب أبي الطَّيب عبد الواحد ابن علي اللغوي الحلبي، الشهيد في كائنة الرُّوم بحلب سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م^(٨). فيحرص الميمني على اشترائه، ويسأل عن ثمنه، فيجيبه الشيخ أبو اليسر

(٦) مجلة المجمع: مج ٥٤ / ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٧) مجلة المجمع: مج ٣٧ / ٣٦٥.

(٨) ينظر عن تفاصيل هذه المعركة كتابُ «الكامل» لابن الأثير: ٨ / ٥٤٠ - ٥٤٢.

متمنّعا: وزنه ذهباً! ويتوق التنوخي إلى نسخه للاستفادة منه، فيجيبه الشيخ إلى طلبته لما كان بينهما من المحبة والمودة الموروثة من الآباء، على أن ينسخه في منزله. فينسخه التنوخي مع حواشيه، ولم يدر يوماً أنه وقع على أثر لغوي نفيس^(٩)، سيكتشفه بعد سنين.

وكذلك يحثُّ الميمني صديقه التنوخي على تحقيق كتاب «المثنى» ونشره^(١٠).

ولئن فات الميمني اقتناء هذه المجموعة اللغوية النادرة، إن دمشق لم ترضَ عليه بأخرى، فبينا هو على وشك الرحيل عنها، جاءه الشيخ حمدي السفرجلاني؛ وهو من علمائها، المهتمين بالمخطوطات وتجارتها، وبيده دشت^(١١) مبعر كان اشتراه بحلب بثمانٍ باهظ، فسأل الميمني عن اسمه ورسمه ومؤلفه، ومن نظرة واحدة فطن الميمني لما يحويه، فشرط عليه أن يصوره أولاً، ثم يدلّه عليه. وبعد لأيٍ وافق الشيخ حمدي، وإذا هو الجزء الثالث من كتاب «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف» لأبي أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد العسكري، المتوفى سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م. وكان جزؤه الأول قد طبع منذ زمن طبعة رديئة، ونسخته الأم بمصر في جزأين في دار الكتب المصرية. وكان الميمني يتشوق إلى نسخته الكاملة، فإذا هو الآن يظفر بهذا الجزء الثالث، الذي انفرد عن صاحبه. وبلغ سرور الميمني أقصاه بهذا الفوز العظيم، فبه يتم تمام الكتاب عنده، ويتمثل بقول القائل:

(٩) كتاب الإبدال: ج ١ / ٥٧ - ٥٨، وكتاب المثنى: ٤.

(١٠) مجلة المجمع: مج ٣٥ / ٦٧٩.

(١١) الدشت: كلمة دخيلة تعني الورق غير المرتب. ينظر «المعجم الوسيط»: (الدشت).

أَخْيَيْنِ كُنَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا إِلَى أَمَدٍ وَالْمَرْءُ لَا يَأْمُنُ الدَّهْرَ^(١٢)
وياشفاق العالم على تراث أمته يهدي صورة منه إلى دار الكتب
المصرية، ليسكن مع أخويه بعد طول فراق^(١٣).

ويعود الميمني إلى الهند، وتبقى محبته في قلب التنوخي، محدثاً طلابه
عنه، لهجاً بما أوتي من المقدره في العلم، والبسطة في تحقيق التراث،
محبباً إياه لهم بكلماته الحلوة، وإعجابه الذي لا ينقضي، مثنياً على كتابه
الفذ «أبو العلاء وما إليه»، وتحقيقاته الغالية في «سمط اللآلي» حتى
أصبحوا وكانهم يعرفون الميمني من قرب. وكان من هؤلاء الطلاب شاكر
الفحاح؛ العالم الجليل، ورئيس مجمع اللغة العربية فيما بعد^(١٤).

* * *

ويستجيب التنوخي لرجاء صديقه الميمني، فيطلع على فهارس المكتبات في
العالم، لعله يعثر على نسخة ثانية من «كتاب المثنى»، تسهّل له معارضته
وتصحيحه، فلم يجد له فيها ذكراً، فينشر في مجلة المجمع خبر عثوره على نسخة
منه^(١٥)، لعل أحداً يبشّره بوجود نسخة ثانية له، وتمرُّ الأيام، وما منَّ منَّ مجيب.

(١٢) بحوث وتحقيقات: ج ١ / ١٣٨ - ١٣٩، وفيه: «أخين كنا»، وهو خطأ مطبعي، والبيت
على المشهور:

أخيين كنا فرق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا
ونسبه ياقوت إلى إمام النحاة سيويه أبي بشر عمرو بن عثمان، وأورده في
ترجمته، ينظر «معجم الأدباء»: ٥ / ٢١٢٦.

(١٣) وعن هذه النسخة التامة حققه عبد العزيز أحمد، ونشرته مكتبة البابي الحلبي في القاهرة
سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ثم أعاد تحقيقه الدكتور محمد يوسف؛ تلميذ الميمني المقرب،
وصدر القسم الأول منه في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٨١م،
بمراجعة أحمد راتب النفاخ، وتنظر ص: ٣ - ٥، ٢٤ - ٢٦ من المقدمة.

(١٤) مجلة المجمع: مج ٥٤ / ٢٦٧.

(١٥) مجلة المجمع: مج ١٥ / ٤١٢.

ومع عناء التدريس لم يستطع التنوخي التفرغ لتحقيقه، فبرقد في مكتبته سنين حتى عام ١٩٥٣م / ١٣٧٢هـ حين ينعم براحة البال، ببلوغه سنّ التقاعد، فيلحُّ عليه المجمع بالشروع في تحقيقه، بعد أن قرر نشره ضمن مطبوعاته، فيلبي التنوخي الرَّجاء، وهو أميئته، ويشرع في إعادة نسخه، تمهيداً لتحقيقه، وتيسيراً لطبعه. وما إن يتمّ نسخ أربع وعشرين صفحة منه حتى يجد بعدها أوراقاً بيضاً، والكلام بعدها في الإبدال، وهو يختلف عما في المثني، ويكتشف - ويا لجمال ما يكتشف - أن ما بين يديه في هذه المجموعة مع «كتاب المثني» كتابين آخرين لأبي الطيّب، هما «كتاب الإبدال»، وقد بُتر من أوله وآخره، وفيه خَرْمٌ في وسطه^(١٦)، و«كتاب الإتياع»، وفيه خَرْمٌ في أوله ذهب بأول خطبته^(١٧)، وكان يُظن أن تلك الكتب ضاعت فيما ضاع من مؤلفاته^(١٨).

وكان اليميني طوال تلك السنين يتتبع أخبار صديقه التنوخي، وما آل إليه أمر اكتشافه هذه المجموعة النادرة من مؤلفات أبي الطيّب، فيحثه على نشرها، قائلاً له: «ليس لنشر هذه المجموعة وتحقيقها أحدٌ غيرك ممن توفرت له شرائط النشر العلمي»^(١٩).

* * *

وتمضي الأيام باليميني والتنوخي، ولم يقدر لهما اللقاء مرة ثانية إلا بعد عشرين سنة، وذلك سنة ١٩٥٦م / ١٣٧٦هـ، حين قدم اليميني دمشق زائراً لها، ويومها أنشد للتنوخي:

(١٦) مجلة المجمع: مج ٣٢/٤٤٥-٤٥٢، وكتاب الإبدال: ج ١/٥٧-٦٠، ٦٤، ٦٥.

(١٧) كتاب الإتياع: ١١-١٢.

(١٨) كتاب الإبدال: ج ١/٣.

(١٩) مجلة المجمع: مج ٣٥/٦٧٩.

هنا قبل عشرين كنا التقينا فهل نلتقي بعد عشرين عاماً^(٢٠) وقدّر للصديقين أن يلتقيا مرة ثالثة بعد سنتين، في زيارة الميمني لدمشق في حزيران سنة ١٩٥٨ م / ١٣٧٧ هـ^(٢١). وكان قلب الميمني يخفق بحبّ دمشق وأهلها، وبادلتها دمشق ومجمّعها المودة والوفاء^(٢٢). ففي غوطتها الغناء كانا يتنزهان، وعلى ضفاف برداها كانا يجلسان، وأمام ناظريهما الرّبوّة التي هام الميمني بحبها، فكان لا يذكرها إلا بصفتها التي وصفها الله تعالى بها: ﴿رَبْوَةٌ ذَاتُ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]. ويتجادبان أطراف الحديث عن الشعر والأدب والمخطوطات، ويتفكّهان بروح أخوية صافية. وكان الميمني، وهو يستمتع بهذا المنظر الجميل، يترنّم بيت حميدة^(٢٣)، مع تغييرٍ يسير في ألفاظه ليلائم معناه:

شيوخُ دمشقَ وشبّانُها أحبُّ إليّ من الغاليه^(٢٤)

وكان التنوخي كعادته يرتجل الشّعْر في أحاديثه، فارتجل للميمني في إحدى هذه الجلسات:

(٢٠) ينظر كتابي «العلامة المجمعّي عز الدين التنوخي»: ١٠١.

(٢١) مجلة المجمع: مج ٣٤ / ١٩٢.

(٢٢) مجلة المجمع: مج ٥٤ / ٢٥٧.

(٢٣) هي الشاعرة حميدة بنت الصحابي النعمان بن بشير الأنصاري، والبيت هو:

كهول دمشق وشبانها أحب إليّ من الجاليه

والجالية هم أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمونهم بذلك، لأنهم كانوا يجلبون عن

بلادهم إلى الشام. ينظر «كتاب الأغاني»: ٩ / ١٦٨، ١٦٩، و«معجم الأدباء»: ٣ / ١٢٢٧.

ولأستاذنا أحمد راتب النفاخ مقالة نفيسة في تحرير اسمها، وأنه حميدة، في

سلسلته الماتعة «نظرات في نظرات»، نشرها في مجلة المجمع: مج ٥٩ / ٥٨٧-٦١٨،

وفيها إلماع إلى أصول من أصول النظر في الروايات والنصوص ونقدها.

(٢٤) مجلة المجمع: مج ٥٤ / ٢٧٧-٢٧٨.

الله يعلم يا عبد العزيز بما لكم بقلبي من وُدِّ وإجلالٍ
أحسُّ بالفضلِ في غيري فأعرفُهُ ما يُنكر الفضلَ إلا كلُّ ختالٍ
إنَّ السَّنابل حين الحَبِّ يملؤها تخني الرُّؤوسَ ويعلو الفارغُ الخالي^(٢٥)
وفي تلك الزيارة، وهما في رحاب المجمع، يرغب إليه التنوخي أن
يحدثه ببعض ما عثر عليه من نوادر مكتبات المغرب، فيصف له الميمني ما
وجده من تلك النوادر في مكتبة الرباط العامة، ومكتبة جامع القرويين
بفاس، وفي مكاتب تونس. وبشغف يكتبها التنوخي عنه، وينشرها إتماماً
للفائدة في مجلة المجمع^(٢٦).

* * *

وفي جلسة كان ثالثهما الأستاذ سعيد الأفغاني في متنزه المهاجرين،
يستروحون إلى نسيمه العليل هرباً من حرِّ حَزيران، ويتجادبون أطراف الحديث،
التي هي ألدُّ من السَّلوى لدى كلِّ عارف، على حدِّ تعبير الميمني، سأل الميمني
سعيداً عما سقط عليه من نفائس الكتب في رحلته إلى الغرب سنة
١٩٥٦م / ١٣٧٥هـ، فأخبره الأفغاني بأنه عثر في المكتبة الوطنية بباريس على
كتاب «توجيه إعراب أبيات مُلغزة الإعراب» للُرْماني، ولم يزد فيه شيئاً^(٢٧).
وكان الأستاذ الأفغاني قد فرغ من تحقيقه على هذه النسخة الباريسية،
وهو على وشك الصدور، بعد أن تولت الجامعة السورية طبعه في مطبعتها.
فلما عاد الميمني إلى كراتشي، حيث كان يقيم بعد إحالته على التقاعد
من جامعة عليكره بالهند^(٢٨)، وصلت إليه نسخة مطبوعة من الكتاب في ٢٣

(٢٥) مجلة المجمع: مج ٤٤ / ٢٣٣.

(٢٦) مجلة المجمع: مج ٣٣ / ٦٨٣ - ٦٨٦.

(٢٧) مجلة المجمع: مج ٣٤ / ١٩٢.

(٢٨) مجلة المجمع: مج ٥٤ / ٢٦٩.

أيلول، بعث بها إليه الأستاذ الشاعر خير الدين الزركلي، وما إن بدأ يطالع فيه حتى خالجه الشكوك، وساورته الريب بصحة نسبته لعلي بن عيسى الرُماني، المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م، ولما تغلغل في أعماقه اكتشف أن الكتاب للحسن بن أسد الفارقي، المقتول سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، وأن عنوانه على الصواب هو «الإفصاح عن أبيات مشكلة الإفصاح»، وتوجد منه عدّة نسخ أقدم من النسخة الباريسية، كان سجّلها في جزازاته التي علّقها في رحلته سنة ١٩٣٦م / ١٣٥٥هـ، ولم يطلع الأفغاني على هذه النسخ الجليّة، مما أفسد عليه عمله، وحرمه المعارضة بها، وكانت منه على طرف الثمام، قريبة المتناول. وسارع الميمني إلى كتابة مقالة، دلّل فيها على صحة ما اكتشفه، وعلق على بعض ما ندّد عن محققه من أوهام، وأرخها في ٢٦ أيلول، وبعث بها إلى المجمع، فنشرت في مجلته في ١ كانون الثاني ١٩٥٩م / ١٣٧٨هـ، أي بعد نحو ثلاثة أشهر من إرسالها^(٢٩).

وفي الوقت نفسه أبدى غير واحد من الفضلاء، الذين أهدى إليهم الأفغاني الكتاب، الشك في نسبته للرُماني، فأداه ذلك إلى إعادة البحث، ليكتشف خطأه، ويبادر إلى إصلاحه، بأن استدرك في نسخ الكتاب، التي لم توزع بعد، أوراقاً شرح فيها ملابسات هذا الخطأ، واستدراكه الصواب، ونشرها في ٢٤ تشرين الأول ١٩٥٨م / ١٣٧٨هـ^(٣٠).

(٢٩) مجلة المجمع: مج ٣٤ / ١٩٢-١٩٥.

(٣٠) ثم أعاد الأفغاني نشر الكتاب على الصواب في طبعته الثانية، التي صدرت عن جامعة بنغازي سنة ١٩٧٤م / ١٣٩٤هـ - وكان يدرّس فيها وقتئذٍ - فقال في مقدمته، ص ٣: «وقبيل توزيع نسخ الكتاب علمت أن نسخة باريس التي عنها صدرت الطبعة مخطئة في اسم الكتاب واسم مؤلفه، ساقطة منها خاتمة الكتاب.. فبادرت إلى إيداع كل نسخة نشرة تصحح الخطأ وترد الخاتمة».

وفي العام التالي سنة ١٩٥٩ م / ١٣٧٩ هـ تبلغ التنوخي وفاة والد الميمني الحاج عبد الكريم بن يعقوب، في بلدة راجكوت بالهند، فيكتب إليه معزياً:

كما عزوت إنني أعزّي عبد العزيز بالأب الأعزّ
من جاوز التسعين عاماً في الهدى عليه رحمة الإله أبدا
ورثت منه عمره العالي الأتم «ومن يشابه أبه فما ظلم»^(٣١)

* * *

وتتفق الزيارة الرابعة للميمني لدمشق في تموز سنة ١٩٦٠ م / ١٣٧٩ هـ^(٣٢)، وهي زيارته الأخيرة لها^(٣٣)، مع صدور الجزء الأول من «كتاب الإبدال»، فيقرأ بشغف ما خطته أنامل صديقه التنوخي في مقدمته وتعليقاته، هذا الصديق المفتون باللغة وفنونها وشواردها كما وصفه، فيمسك بقلمه، ويكتب لمجلة المجمع مقالة ضافية عنه، مُقرّظاً فيها عمل صديقه فيه، ومما قاله: «كتاب الإبدال

= وكان الأستاذ الدكتور مازن المبارك معاضداً لأستاذه الأفغاني في الاهتمام إلى الصواب، فقد ذكر أنه كان وقتئذٍ بالقاهرة، يحضر رسالة الدكتوراه عن الرماني النحوي، فلما اطلع على الكتاب منسوباً إليه، رأى أنه ليس للرماني، لما يعرفه من أسلوبه، ومن استقصائه لآثاره، وليس بينها «توجيه إعراب الأبيات الملغزة»، فبادر إلى كتابة رسالة إلى أستاذه الأفغاني بذلك، فكلفه مراجعة الفهارس والكتب المماثلة لموضوع الكتاب، فوقف المبارك على نسخة خطية من كتاب الفارقي، ووضع الحقيقة بين يديه. ولما بدا للأفغاني وجه الحق بادر إلى الأخذ به وإعلانه على الناس، ولما عاتبه المبارك لنشره اسمه، قال له الأفغاني: يجب أن يُعرف الحق وأن يُنسب الفضل إلى أصحابه. وعقب المبارك على ذلك بقوله: فكان معلم أخلاق وسلوك، كما كان معلم نحو ولغة. ينظر كتابه «سعيد الأفغاني»: ١٩، ٢٢، ٩٠-٩١.

(٣١) بحوث وتحقيقات: ج ١/ ١٧، وقد سقطت منه كلمة «أبه» في البيت الثالث.

(٣٢) مجلة المجمع: مج ٣٧/ ٥١٧.

(٣٣) مجلة المجمع: مج ٥٤/ ٢٧٢.

من خير ما نُشر في هذه العصور المتأخرة التي قَلَّت فيها الرَّغبة الصَّادقة في دَرَس اللغة، والبحث عن فرائدها وشواردها؛ ذلك أنه ليس لها مغنم مادية من ورائها. ولكم بحث الأستاذ التنوخي في الكتاب عن شواهد الإبدال التي بلغت نحو ستمئة شاهد من كلام العرب، ولا يوجد كثيرٌ منها في المصادر المعروفة، وتمكّن بعد صدق البحث والتنقيب من عزوها إلى قائلها، واهتمّ بتفسير غوامض التعبير، واستدرك من حروف الإبدال كثيراً من الفوائت التي عشر عليها في أمهات كتب اللغة مما زادت به فائدة الكتاب. ثم نُشر بأمانةٍ جميع حواشيه وطُوره اللغوية المروية عن أئمة اللغة، أو المنقولة عن كتبهم بخطوطهم، وقد ضاع أكثرها. أجل، ما كان ليطلعنا على كلِّ ذلك إلا من ذاق لذّة العلم، وألف الصَّبر على مشاقه، لذلك أهنيّ العزّ التنوخي على عمله هذا المبرور، وعلى ما كابده في تحرير كتابه وتصحيحه.. والنشر العلمي كما بيناه لا يضطلع به إلا من رزقه الله فهماً في اللغة دقيقاً، وطبعاً عربياً صحيحاً، وكان له عناية فائقة بتمحيص المسائل، وتحقيقِ نصوصها، ثم أُوتِي صبراً كصبر أيوب مما اجتمع للعز التنوخي، ولذلك كلّه جاء كتابُ الإبدال على ما رأيتُ، بريئاً من التصحيف، سليماً من التحريف، ما خلا هنات تعدُّ من طَبَع الطبع، وهو مما يشهد للمحقق باضطلاعِه وسَعَة اطلاعه على أسرار العربية، ولا يجتمع ذلك إلا لقليل من علماء اللغة المحققين، وفي مقدمتهم العز التنوخي، فالحمد لله على ذلك. وأنا مع هذه الكلمة المنصفة الصادقة أحثه على متابعة جهوده لنشر الجزء الثاني من الإبدال، وما بقي من آثار أبي الطيّب اللغوي الحلبي، وحقيقُ به ذلك، لأن أبا قيس التنوخي شاميُّ كأبي الطيب، فجزاه الله على تحقيقه هذا خيراً، وأبقاه للعلم والأدب، وخدمة لغة العرب»^(٣٤).

وهنيئاً للتوخي على هذه الشهادة من عالم جليل، أحب العربية حباً ملك عليه نفسه، وتغلغل في سُويداء قلبه.

وكان اليميني في تلك الزيارة، قد جاء إلى دمشق بدعوة من وزارة الثقافة^(٣٥)، لتستأنس برأيه، وتفيد من خبرته في معرفة المخطوطات العربية، وأي المخطوطات أولى بالنشر^(٣٦). فكتب اليميني لمديرية إحياء التراث القديم فيها قائمة بأسماء ما في خزائن إستانبول من المخطوطات النفيسة، ومنها نسخة فريدة من كتاب «مقدمة في النحو»، لخلف بن حيان الأحمر البصري، المتوفى سنة ١٨٠ هـ/ ٧٩٦ م، وهو من أقدم ما أُلّف من مختصرات النحو. ورغب اليميني أن يعهد بتحقيقها إلى صديقه التوخي. وكذلك كان^(٣٧).

وفي مجلس ضمّ لمة من أصدقائه الكرام، فيهم إضافة للتوخي أستاذنا أحمد راتب النفاخ، حفز اليميني الهمم لطبع كتاب «العُباب الزّاهر واللُّباب الفاخر» للصابغاني، المتوفى سنة ٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢ م^(٣٨)، وكان قد فرغ لتوه، وهو في دمشق، من تحقيق مقدمته^(٣٩)، ونشرها في مجلة المجمع^(٤٠). ثم أردفها بمقالة نبّه فيها على أهميته، وطريقة نشره المُثلى، وكذلك نشرها في مجلة المجمع^(٤١)، ومما قاله فيها: «من أجلّ أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد خلُق لحياة لسان العرب، أن يؤلّف لجنة لغوية تتألّف من

(٣٥) مجلة المجمع: مج ٣٢/ ٦٨٣، ومج ٣٥/ ٥١٥، ومج ٣٧/ ٥١٧.

(٣٦) مجلة المجمع: مج ٥٤/ ٢٧٢.

(٣٧) مقدمة في النحو: ٣- ٩، وكتابي «العلامة المجمعى عز الدين التوخي»: ١٠٧- ١١٠.

(٣٨) مجلة المجمع: مج ٣٧/ ٥١٧.

(٣٩) مجلة المجمع: مج ٣٥/ ٥٦٦.

(٤٠) مجلة المجمع: مج ٣٥/ ٥٤٦- ٥٦٦.

(٤١) مجلة المجمع: مج ٣٦/ ٤٧- ٤٩.

حُدِّقَ اللغةَ وعُشِّقَها لتقوم بنشر هذا السُّفَرِ الجليل»^(٤٢).

وكان أستاذنا النفاخ قد قرأ عليه في زيارته هذه: باب كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ من «الجامع الصَّحيح» للبخاري، وطلب منه الإجازة. فأجازَه الميمني بمرويَّاته عن شيوخه^(٤٣). وكان النفاخ ينقل عنه قوله: «المعنى الذي يمكن أن أُوَدِّيَه بلفظين لا أجعلهما ثلاثة»^(٤٤). للتدليل على شدة حرصه على الإيجاز في كتاباته وتعليقاته.

* * *

وطوال تلك السنين لم تغب عن التنوخي رغبة صديقه الميمني في تحقيق السُّفَرِ الثاني من كتاب «الدلائل في غريب الحديث» لقاسم بن ثابت السَّرْقُسْطِي، المتوفى سنة ٣٠٢هـ/٩١٥م.

فعرَّف به في مجلة المجمع في مقالته «من ذخائر قبة الملك الظاهر»^(٤٥). ثم عاد التنوخي للحديث عنه في مقالة ضافية نشرها في مجلة المجمع في مطلع عام ١٩٦٦م/١٣٨٥هـ^(٤٦). وكان قد حفَّزه إلى الكتابة عنه مرة أخرى عثوره على نسخة خطية ثانية للسُّفَرِ الثاني منه في الخزانة العامَّة في الرِّباط، وكان سروره بها عظيماً. أما سفره الأول، فقد أخبره الميمني ألا وجود له في خزائن الأرض، ولا يعلم مستقرَّه إلا الله. ومع ذلك كان التنوخي يأمل في العثور على نسخة ثالثة لعلها تكون النسخة الكاملة له، قائلاً: «الإبطاء مع

(٤٢) مجلة المجمع: مج ٣٦/٤٩.

وقد طبعت أجزاء من «العباب» في بغداد، جملها بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

(٤٣) تنظر إجازة الميمني له في مجلة المجمع: مج ٥٤/٢٤٠.

(٤٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (الكويت): مج ٢٩، ج ٦٨/١، ويحوث وتحقيقات: ج ١/١٥٢.

(٤٥) مجلة المجمع: مج ٣٧/٣٦٢-٣٦٦.

(٤٦) مجلة المجمع: مج ٤١/٣-٢٠.

التمام خيرٌ من العجلة مع النقصان». وكان اليميني على خلاف رأيه في الانتظار، فما فتى يحثه على نشره، ومن أحقُّ بنشره من المجمع العلمي، حتى استجاب له التنوخي أخيراً، وشرع في تحقيقه^(٤٧)، وقطع شوطاً بعيداً فيه، وأطلع أستاذنا النفاخ على كراريس من عمله، ولكن المنيّة لم تُمهّل التنوخي حتى يحقق أمنيته في إتمامه، فتوفي فجر يوم الجمعة ٢٤ حزيران ١٩٦٦م / ٥ ربيع الأول ١٣٨٦، عن سبع وسبعين سنة، وفُقد ما صنع، ولم يقع إلى أحدٍ علمٌ ما قام به في هذا الباب^(٤٨).

ويُفجع اليميني بوفاة صديقه الوفيّ الحفيّ كما وصفه، فيتوجع لهذا النبأ المحزن، وقد شطّ به الدار، ويعود بذاكرته إلى تلك الأيام الجميلة التي دعا الله فيها أن يجمع بينه وبين التنوخي، فاستجاب دعوته، وحقق رغبته، والتقاء بعد عشرين عاماً. أما الآن، وقد غلبه الألم، فيتساءل بأسى: «كيف أسأله تعالى أن يجمع بيننا بعد عشرين عاماً أخرى»^(٤٩)؟ ويخطُّ بقلمه كلمات رثاء، لعلها تسليه عن مُصابه، فيقول: «لقد كان مُغرماً بالأداب والمعارف، سَمحاً كريماً في تقديره لجهود المعنيين بها، إذن ليس ببدع أن تعشق الأذن قبل العين من كلا الطرفين، حتى إذا التقينا راعني مخبره ومنظره، واستهوتني شمائله، وسأذكر دائماً تلك المجالس التي كان المرحوم يهتم بعقدتها على ضفاف بردى، وفي وسط داريا أثناء زياراتي

(٤٧) مجلة المجمع: مج ٤١/١٧-١٨.

(٤٨) مجلة المجمع: مج ٥١/٢٦٤، وكتابي «العلامة المجمعى عز الدين التنوخي»: ١١٧-١١٨، ١٢٠.

وقد وصف الدكتور شاعر الفحام ما وصل إلينا من نسخه، في بحث نفيس، نشره

في مجلة المجمع: مج ٥١/٢٣٢-٢٩٤، ٤٨١-٥١٧.

(٤٩) رسالة اليميني بخطه محفوظة مع أوراق التنوخي لدى المجمع.

لبلاد الشام، والتي كنا نتجاذب فيها الأحاديث عن الشعر والأدب، ونتفكّه بروح أخوية صافية»^(٥٠).

ويشتدُّ حينئذٍ قلبه القرح إلى لقاءه، فيكتبُ مواسياً لنفسه: «ولا جَرَمَ أنَّ الله يجمع بيننا في دار القَرَارِ مع الأتقياء الأبرار، إنه قريبٌ مجيب»^(٥١).

ويلحق الميمني بصديقه التنوخي بعد اثني عشر عاماً، حيث أسلم الرُّوح إلى بارئها صباح يوم الجمعة ٢٧ تشرين الأول سنة ١٩٧٨م / ٢٦ ذي القعدة ١٣٩٨هـ، عن نحو تسعين سنة^(٥٢)، فهل استأنفا في عالم الغيب ما كان بينهما في عالم الشُّهود؟

* * *

المصادر والمراجع

- الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب، لأبي نصر الحسن بن أسد الفارقي، حققه وقدم له سعيد الأفغاني، جامعة بنغازي، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- بحوث وتحقيقات، تأليف العلامة عز الدين الميمني، أعدها للنشر محمد عُزير شمس، تقديم شاكر الفحام، مراجعة محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(٥٠) العلامة المجمع عَزَّ الدِّينُ التَّنُوخِيُّ: ١٢٤.

(٥١) رسالة الميمني بخطه محفوظة مع أوراق التنوخي لدى المجمع.

(٥٢) وقد ترجم له ترجمة ضافية الدكتور شاكر الفحام، ونشرها في مجلة المجمع: مج

- سعيد الأفغاني حامل لواء العربية، تأليف الدكتور مازن المبارك، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- سير أعلام النبلاء، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، تحقيق الدكتور محمد يوسف، مراجعة أحمد راتب النفاخ، القسم الأول، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٨١م.
- العلامة المجمع عزالدين التنوخي، تأليف إبراهيم الزبيق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- الكامل في التاريخ، تأليف عز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- كتاب الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٦٠م.
- كتاب الإبتاع، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٦١م.
- كتاب الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- كتاب المثنى، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، سنة ١٩٦٠م.

- معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف ياقوت الحموي الرومي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- مقدمة في النحو، تأليف خلف الأحمر، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات وزارة الثقافة، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سنة ١٩٦١ م.
- الورقة، تأليف أبي عبد الله محمد بن داود الجراح، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٦ م.
- أوراق التنوخي لدى المجمع.

المجلات:

- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلدات: ١٥، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٤، ٥١، ٥٤.
- مجلة معهد المخطوطات العربية (الكويت)، مجلد ٢٩ / جزء ١.

* * *

التعريف والنقد

نظرية العامل في النحو العربي

تقعيد وتطبيق

د. محمد عبدو فلفل (*)

مدخل:

لا يخفى على المعنيِّ ما لنظرية العامل في النحو العربي من حضور لافت في قديم الدرس النحوي العربي وحديثه، فهي نظرية تحكمت إلى حدٍّ بعيد ببنیان النحو وتحليلاته الإعرابية، كما كان لها الحظ الوافر من المراجعات النقدية الحديثة. ومن معالم اهتمام المحدثين بهذه النظرية كتاب «نظرية العامل في النحو العربي؛ تقعيد وتطبيق» للدكتور رياض حسن الخوام، الذي صدر عام ٢٠١٤ عن مؤسسة لغوية لا يخفى ما لها في هذه الأيام من حرص على خدمة العربية وعلومها، إنها مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، في المملكة العربية السعودية.

ولا شك أن كون الكتاب لنحويِّ جامعيِّ (أكاديميِّ)، له جهوده في ميدان الدرس النحوي، إضافة إلى صدوره عن مؤسسة لغوية مختصة، لم تُخفِ احتفاءها بهذا الإصدار، فوصفته في التقديم له على لسان رئيسها الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي بالنفاسة وبأنه مفتاح من مفاتيح النحو لبابه الأكبر، أقول

(*) عضو الهيئة التدريسية في كلية الآداب الثانية بحماة.

لا شك في أن هذه الأمور مجتمعة مما يحفز على قراءة هذا الكتاب، وهو ما كان من صاحب هذه السطور الذي أثار أن يشاركه القارئ الكريم فيما انتهى إليه إثر قراءته لهذا الكتاب، وفيما يلي عرض لمضمون الكتاب، يتلوه عرض لأهم ما تراءى لهذه المراجعة من الملاحظات عليه.

عرض لمحتوى الكتاب:

- تقديم لرئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، الدكتور عبد العزيز علي الحربي، أثنى فيه على المؤلف والكتاب.
- مقدمة لمؤلف الكتاب. بيّن فيها أهمية نظرية العامل في بناء النحو العربي، وفي المحافظة على اللغة العربية وضبط تراكيبيها، كما أشار فيها إلى أنها نظرية عربية المنشأ، وأن غرضه من هذا الكتاب هو التعريف بها من حيث المفهوم والقواعد الكلية التي تقوم عليها موضحة بالأمثلة العملية التطبيقية.
- تمهيد بيّن فيه المؤلف عروبة نشأة نظرية العامل في النحو العربي، كما بيّن فيه السياقات العلمية والثقافية التي نشأت في خلالها.
- الفصل الأول حرص على تعريف العامل لغة واصطلاحاً.
- الفصل الثاني تحدّث عن أنواع العوامل؛ السماعي والقياسي، واللفظي والمعنوي.
- الفصل الثالث عرض فيه المؤلف قواعد العامل، أو الأصول النظرية العامة التي بنى النحاة عليها تصورهم لنظرية العامل، وقد شفع المؤلف كلاً من هذه الأصول، أو تلك القواعد بما يوضحها من التطبيقات العملية.
- الفصل الرابع. تكفّل ببيان فوائد نظرية العامل، وببناء المحدثين عليها مؤكداً كما سنرى بما تراءى له من الأدلة أنه لا داعي لما تعرضت له هذه النظرية من نقد عند ابن مضاء القرطبي وعند بعض المحدثين من اللغويين العرب.

في منهم المؤلف:

لم يعول الدكتور الخوام فيما هو فيه على كتاب عني من قبل بجمع ما قاله السلف في قواعد نظرية العامل، بل تتبع هو بنفسه ما تناثر من ذلك في مختلف أبواب مصنفات نحوية موزعة على مراحل تاريخية مختلفة، وذلك على نحو يُشعر بأن كل نحوي كان يلوذ في الدفاع عن آرائه وعن مواقفه من آراء الآخرين بأصول هذه النظرية كما تراءت له، وهكذا تكامل تاريخياً بنیان نظرية العامل على أيدي أجيال من النحاة، مما لا يسمح فيما يميل إليه المرء بأن نحدّد بدقة الناثر الأول لبذور هذه النظرية في الفكر النحوي العربي، كما أنه لا يُمكننا من أن ننسبها كلياً إلى نحوي دون آخر، وإن كان من الثابت تاريخياً أن الخليل وسيبويه عوّلا عليها بوضوح فيما وصل إلينا من جهودهما في الكتاب.

على أن قارئ كتاب الدكتور الخوام لا يندر أن تستوقفه قضايا ليست بالقليلة ولا بالهيّنة، ومنها أن مؤلّفه نظر إلى ما هو فيه نظرة وحيدة الاتجاه، فلم يستودعه إلا ما يروقه من الآراء المؤيدة لرأيه في نظرية العامل، فبدت مصادره التي استقى منها مادة بحثه وكأنها كتاب واحد في عدة نسخ، إذ لم يعرض إلا لما يؤيد هذه النظرية ويوضحها. ولا شك أن المؤلف يدرك جيداً أن في المشهد النحوي مَنْ يخالفه فيما ذهب إليه في الحديث عما هو فيه، ولا شك أيضاً أن إغفالنا الأشياء لا يعني أنها ليست موجودة، كما أنه لا يعني بالضرورة أنها ليست صحيحة، لذا بدا الدكتور الخوام في كتابه هذا متحيزاً تحيزاً بلغ ذروته في ذكر ما يروقه من آراء الدارس الواحد مهماً آراءه المخالفة لما يراه هو نفسه في هذه النظرية، وهذا ما ظهر في حديثه عن موقف كل من عباس حسن وشوقي ضيف، فقد ذكر كما سنلاحظ من

أقوالهما ما يوافق آراءه أو ما تراءى له أنه يوافقها دونما إشارة إلى ما لهما من آراء تخالفه فيما ذهب إليه.

واللافت أن الدكتور الخوام كان يقدم نظرية العامل وقواعدها وكأنها مصادرات، لا تناقش، ولا يُعْتَرَضُ عليها، بل كان صريحاً في نصّه على أنه لا داعي إلى أن تنقد هذه النظرية، مستدلاً على ذلك بحجج لا تقوى على الصمود إذا ما نوقشت بمنطق الموضوعية والتفكير النقدي البناء.

ولا شك أن الحقائق العلمية لا تُثَبَّتُ أو تنفى بمنطق الحب أو الكراهية، بل بالأدلة العلمية الموضوعية، وهو ما لم يتوفر لدى الدكتور الخوام في مواضع غير قليلة من هذا الكتاب، وإذا كنا نسجل للمؤلف سببه لأغوار نظرية العامل في أعماق العقلية النحوية العربية بالبعدين النظري والتطبيقي، فإنه من حيث لا يدري يقدم في الوقت نفسه إلى مَنْ يخالفه الرأي في هذه النظرية الأدلة على صحة ما يتهمونها به. يضاف إلى ما تقدم أن المؤلف مع حرصه على الدقة في استعمال المصطلحات العلمية المتداولة فيما هو فيه كان أحياناً يستعمل بعضها استعمالاً يفتقر إلى غير قليل من مراعاة الدقة العلمية المطلوبة في استعمال المصطلح العلمي، وكل هذه المزاعم تجعل المرء يشعر بأن النصرة المرجوة لنظرية العامل من تصنيف هذا الكتاب هي نصرة لا نصرة فيها، وأرجو أن يكون في القادم من هذا الحديث ما يدل على صحة المزاعم التي تقدمت في هذا المدخل.

بين الظن والتخمين:

لما كانت نظرية العامل مجهولة النشأة الأولى في فكرنا النحوي، إذ لا يُعرف على وجه الدقة الناثر الأول لبذورها قبل الخليل وسيبويه، حرص الدكتور الخوام ص ٧-١٣ على تأصيلها وبيان عروبة محتدها متوسلاً في

ذلك سبيل افتراضات، قُدِّمَتْ وكأنها مصادرات قمينة بأن يُبنى عليها دون التأكد من صلاحيتها لذلك، فالعرب حكماء عُرِفوا بدقة الملاحظة وبدقة الوصف والتعبير، فهم أصحاب إحساس مرهف وسليقة راقية، وذهن لامع، مما سمح لهم أن يدركوا دور ما عُرِفَ فيما بعدُ بعلامات الإعراب، فتمسكوا بها، ومما لا شك فيه عند المؤلِّف أن العربي (على دراية بالعلائق الداخلية الرابطة بين أجزاء التركيب، أي هو على دراية بالشكل والمعنى معاً، وهذا الإحساس هو البذرة التي أنبتت فكرة العامل، أو لِنَقْلُ هي أساس من الأسس التي أوجدت فكرة العامل عندهم) ص ١٠ (والمهم عند المؤلِّف أن النحاة أدركوا بعد أن تمَّ لهم الاستقراء أن هناك نظاماً لغويّاً صارماً خضعت له التراكيب مذعنة سواء في العلاقات الشكلية، أو المعنوية، وهذا النظام هو نظرية العامل) ص ١١.

وتفسير المؤلِّف لنشوء هذه النظرية على هذا النحو سلوك افتراضي، قد لا نقوى على رده، ولكن صاحبه لم يقدِّم له الأدلة العلمية التي تحمل على الاقتناع به ما دام مبنياً على التخمين وإحسان الظن^(١)، ومن المؤكَّد أنه لا يشفع لهذا الافتراض حسن الظن واللغة الشاعرية الإنشائية التي صيغ بها، فهذه اللغة معلَّم من معالم المغالاة التي بلغت ذروتها في وصف المؤلِّف ص ٧ لنظرية العامل بأنها معمل لغوي يضبط كل تراكيب اللغة، حتى الشاذ

(١) يتضح التخمين والظنية والافتراضات غير المدعومة بالمقنع من الأدلة في جهود الدكتور الخوام الرامية إلى تأثيل نظرية العامل إذا ما قورنت هذه الجهود بجهود أخرى بيّنت بالمقارنات الدالة والواضحة أن هذه النظرية في مقولتها الأساسية، وفي أصولها العامة سلبية علم إسلامي عربي، ويُعرف بعلم الكلام. انظر: النزعة العقلية في الدرس النحوي عند العرب، أدهم محمد علي حموية، رسالة دكتوراه، في كلية الآداب بجامعة البعث، ص ٢٤٩-٢٧٦.

منها والنادر وهذا المعمل العجيب - كما يقول المؤلف - لم يتوقف ولن يعجز عن تحليل أو ضبط أي تركيب.

إن المؤلف يؤكد لنظرية العامل حتمية وشمولية، لا تسمح النظرية العلمية بنسبتهما إلى نفسها، وذلك في العلوم الإنسانية عامة وفي العلوم اللغوية خاصة، فمن المسلّم أنه ما من نظرية لغوية أو منهج علمي يزعم لنفسه القدرة على تحليل أو تفسير كل معطيات المدونة اللغوية للغة التي يدرسها، فالشذوذ ظاهرة لغوية مألوفة في كل اللغات، ولا تستطيع أية نظرية أو أية منظومة قواعدية، أو أي منهج في درس اللغات أن يتجاهل الشواذ، أو أن يزعم أنه يضبط المدونة اللغوية للغة المدروسة ضبطاً تاماً، لذا يقول أستاذنا محمد الأنطاكي رحمه الله مبيناً خطل القول بالشمول المزعوم لنظرية العامل (هذه النظرية سيطرت سيطرة تامة على التفكير النحوي منذ عهد الخليل وسيبويه إلى أيامنا هذه، فأفادت النحو العربي في مواطن، كما كانت عبئاً ثقيلاً عليه في مواطن أخرى، ذلك أن المؤمنين بها أبوا إلا أن يُخضعوا لها سلوك اللغة بكل ما فيه من تنوع وشذوذ، ولكننا نعلم أن اللغة ليست مادة جامدة، يمكن إخضاعها لقوانين ثابتة، بل هي كالكائنات الحية تماماً تولد، ثم تنمو، ثم تموت، ويكون لها في أثناء ذلك سلوكها الحر، ومنطلقها الخاص، ونزواتها التي لا يمكن تفسيرها أو تعليلها، وكل هذا يجعل من عملية تفسير لغة ما بنظرية واحدة عملاً غير مجدٍ، إن لم نقل: إنه عمل لا يدل على تفكير سليم)^(٢).

ولأن الأمر كما وضحه أستاذنا الأنطاكي في كلامه هذا كان لافتاً تأكيد الدكتور خوام قدرة نظرية العامل على ضبط وتحليل كل ما جاءت به

(٢) المحيط، محمد الأنطاكي، ط٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٥، ٦٦/٣.

المدونة اللغوية العربية، ولو كان شاذًا، نعم هي قادرة على ذلك إذا ما فهمنا أن من مهام النظرية اللغوية لَيَّ أعناق النصوص لإدخالها في بيت الطاعة، وهو ما بدت لنا عليه في أحيان غير قليلة نظرية العامل في ثنايا كتاب الدكتور الخوام، والراجح هو أن وظيفة النظرية العلمية وصف الظاهرة التي تدرسها، وتوضيح وتفسير آلية عملها، وتجريد الأصول الناظمة لآلية هذا العمل مع الاحتراس بالإشارة إلى أن في الظاهرة اللغوية ما لا تستوعبه النظرية دونما افتعال أو اعتساف لإدخاله عنوة في بيت الطاعة كما كان يفعل النحاة فيما خالف الأصول التي بنوا عليها نظرية العامل، وهو ما قد تتضح بعض مظاهره في القادم من حديثنا هذا.

مجاز تحوّل إلى حقيقة:

وضّح الدكتور الخوام غير مرة (ص ٢٦ - ٢٧، ٣٢) إدراك النحاة أن العامل الحقيقي المسؤول عن تحديد نوع العلامة الإعرابية في أواخر المفردات إنما هو المتكلم نفسه، كما أكد (ص ٢٨) أن نسبة النحاة هذا العمل إلى عناصر لغوية من أفعال وأحرف وأسماء إنما هي من قبيل المسامحة أو المجاز، وقد فسروا تلك المسامحة أو ذلك المجاز بأن هذه العناصر ملازمة بالضرورة لعمل المتكلم المتمثل بالرفع أو النصب أو الجزم، أو بأن هذه العناصر هي أدوات العامل الحقيقي أي المتكلم في رفعه لما يرفع ونصبه لما ينصب.

وهذا كلام علمي سديد، ولكن تصور النحاة للعامل النحوي لم يقتصر على ذلك، وهو ما لم أقف عليه في كتاب الدكتور الخوام، فالنحاة نبهوا على أن العامل الحقيقي هو المتكلم، كما لاحظنا، وأن عوامل صناعتهم ليست عوامل مؤثرة كالإحراق للنار والإغراق للماء، والقطع للسياق (ص ٣٦)، وعلى أن نسبتهم هذا العمل إلى عناصر اللغة من قبيل المسامحة

أو المجاز، ومع ذلك كله جعلوا (العامل بمنزلة المؤثر الحقيقي)^(٣) أي إنهم كانوا في أحيان غير قليلة يعاملون العامل النحوي معاملة العامل الموجد بالمفهوم العقلي، وهو ما نصوا عليه، فبينوا أن (العامل مع المعمول كالعلة العقلية مع المعلول)^(٤).

وقد تجلت تبعات ذلك لديهم عملياً ونظرياً في حرصهم على تفسير ظواهر اللغة المخلة بما يترتب على هذا الشبه المزعوم بين عاملهم، وبين العلة العقلية، مما أحوجهم إلى الافتعال في التعليل وفي تقدير ما لا يحتاج المعنى إلى تقديره، وذلك لتحسين ما زعموه لنظريتهم من القواعد التي أقاموها عليها، ومنها في الكتاب الذي بين أيدينا (ص ٤٩) أنه لا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد، وذلك لأن اجتماع مؤثرين على أثر واحد مدلولٌ عندهم على فساده في الأصول^(٥)، لذلك طالبوا بتقدير مؤثر آخر، أي عامل آخر فيما خالف ظاهره أصلهم هذا نحو (قرأ وفهم زيد) أو (قرأت وفهمت الكتاب) وهو تقدير يهدف إلى تحسين نظرية العامل، ولا يقدم خدمة لمعنى التركيب، مما يوحي بالحرص على تكييف اللغة مع النظرية، وهو ما نلاحظه في أحيان غير قليلة في معرض توضيح الدكتور الخوام لما ذكره من القواعد التي أقام عليها النحاة نظريتهم في العامل.

ولأن النحاة عاملوا العامل النحوي معاملة العامل المادي المحسوس خلافاً لما يوحي به ظاهر كلامهم في هذه المسألة، وصفوا عواملهم بما توصف به العوامل المادية الحقيقية المحسوسة كالتنازع والاشتغال، والقوة

(٣) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح عبد السلام هارون، ط، الخانجي والرفاعي، القاهرة - الرياض ٢٠٧/٥.

(٤) السيوطي، الأشباه والنظائر ١/٥٣٩.

(٥) انظر: خزانة الأدب، مرجع سابق ٢٠٧/٥، والأشباه والنظائر للسيوطي ١/٥٣٧.

والضعف، والأسبقية في الوجود والترتيب، فإذا ما ضعف العامل^(٦) مثلاً (ص ٤٣، ٥٥) احتاج إلى ما يقويه، وهو ما ذهبوا إليه في تفسير ما عرف لديهم بلام التقوية، في نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧، والبروج ١٦]، علماً أن هذه اللام ليست لازمة^(٧) لهذين الموضوعين اللذين جاءت فيهما على حد قولهم لتقوية العامل الذي ضعف لتأخره أو لفرعيته، ولو كانت حقاً لتقوية العامل الضعيف للزمتها، فما بالها تتخلف عنه، ولا تلازمه؟ لا شك أن عدم لزومها مواضع الضعف المزعوم في العامل يؤنس بأنها إنما يؤتى بها أحياناً في هذه المواضع لضرب من التوكيد الذي تستدعيه طبيعة الموقف الكلامي، ذلك أن الزيادة في المبنى غالباً يترتب عليها زيادة أو تغيير في المعنى، والزيادة في المعنى مع وجود هذه اللام إنما هي التوكيد، وهو ما يرجحه وصف بعض النحاة لها بالزيادة كما هو معروف.

ومن تبعات وصف النحاة للعوامل بالضعف والقوة كما أشار الدكتور الخوام (ص ٥٤) منع أكثر النحويين مجيء الحال من المبتدأ، لأن العامل في الحال عندهم هو العامل في صاحبها، والعامل في المبتدأ عند هؤلاء هو الابتداء، والابتداء عامل ضعيف، لا يقوى على العمل في معمولين، لذا لا يجوز بناءً على ذلك أن يقال مثلاً: زيد وهو مريض يساعد الآخرين، بدعوى أن الحال لا تأتي من المبتدأ كما أنه لا يصلح أن تكون جملة (هو مريض)

(٦) انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر ١/ ٥٣٨.

(٧) يؤيد ذلك أنه يجوز أن يقال فيما ليس قرآناً: فعَّالٌ ما يريد، بالتنوين والإعمال. انظر: الكتاب الذي نتحدث عنه ص ٦١، وأشباه السيوطي، ١/ ٥٣١-٥٣٢. كما أن هذه اللام لا تلزم، فمن المعروف والشائع تقديم المفعول على الفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

حالا من فاعل (يساعد) لأن الحال الجملة المقترنة بالواو لا يجوز عندهم أن تتقدم على صاحبها وعاملها. وهكذا تكون نظرية العامل كما تراءت للنحاة مانعاً من استعمال بعض الأساليب اللغوية، أو عامل إرباك في استعمالها، وهو ما نبه عليه بعض الدارسين كعباس حسن كما سنلاحظ في القادم من حديثنا هذا.

هل قواعد النظرية من المسلمات؟

ومما يستوقف المرء أن الدكتور الخوام عرض قواعد نظرية العامل الخمس والثلاثين عرضاً خلا من النقد أو الاعتراض الشخصيين، وكأنها عنده من المسلمات أو المصادرات التي يجب أن نقبلها بغير اعتراض، وذلك بغض النظر عما يمكن أن ينجم عن تطبيقها على معطيات المدونة اللغوية من افتعال أو اعتساف ما دام فيهما تكييف لهذه المعطيات مع هذه النظرية، وهو ما لاحظناه في الحديث عن قاعدة عدم اجتماع عاملين على معمول واحد. ومن هذا القبيل القاعدة السابعة عشرة (ص ٥٦) التي تنص على أنه لا يجوز الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، ولذلك لم يعلق جمهور النحاة كما يقول المؤلف الظرف (يوم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) يوم تبلى السرائر [الطارق: ٨ - ٩] بالمصدر (رجع) بل بفعل محذوف مدلول عليه بهذا المذكور، والمعنى و التقدير كما يبين الكتاب الذي بين أيدينا هو (إنه على رجعه لقادر يرجعه يوم تبلى السرائر).

ومما يذكر في هذا السياق حديث الدكتور الخوام عن القاعدة العشرين حيث قال (ص ٥٩): (ما كان له الصدارة في الكلام لا يعمل ما بعده فيما قبله، وذلك كأسماء الشرط والاستفهام، ولهذا لا يجوز أن نعلق «اليوم» في قولنا «زيدُ اليوم هل أكرمته؟ بالفعل أكرمته، بل نعلقه بفعل محذوف، نقدره

قبل الاستفهام، كأن نقول: زيد أكرمه اليوم هل أكرمته؟ ويجوز من باب الاتساع في الظرف أن نعلقه بالفعل أكرمته المذكور) ولا يخفى ما أفضى إليه تطبيق قاعدة الصدارة هذه من ارتباك في صياغة الحكم النحوي، تمثل هنا بمنع المؤلف ما أجاز به بعد سطر، ومن اعتساف في تقدير ما يستغني عنه المعنى، وهو مما جعله البعض من مثالب هذه النظرية في النحو العربي^(٨)، أما الدكتور الخوام فيعرض ما وقف عليه من قواعدها دونما أي اعتراض أو نقد لقاعدة منها، وكيف نتظر منه ذلك وهو يُنكر على من انتقد هذه النظرية انتقادهم لها كما سيتضح في الفقرة التالية.

آفة العلم الهوى:

واضح بجلاء أن الدكتور الخوام عرض في مصنفه هذا نظرية العامل بشديد الحب وبالغ الإعجاب، وكان من تبعات ذلك أن أنكر على منتقديها انتقادهم لها، وفي ذلك يقول (ص ٧٧): (تعرضتُ إلى نقد من قبل ابن مضاء، من القدماء ومن قبل بعض المحدثين، والحق أن هذا النقد لا داعي له، وذلك للأسباب الآتية) ثم أخذ المؤلف في سرد هذه الأسباب، وأزعم أن جلَّ ما ذكره من أسباب لمنعه انتقاد نظرية العامل، فيه نظر، وأكتفي بتناول اثنين من هذه الأسباب؛ وهما الخامس والثاني، أما الخامس (ص ٨٠) فهو: (أن هذه النظرية عربية المنشأ، وعربية التطور) والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل تحوُّلُ عروبة الفكر دون انتقاده؟!

(٨) للتوسع في التبعات السلبية لنظرية العامل في النحو العربي انظر: محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، القاهرة، ط ١، دار غريب، ٢٠٠١، ص ١٥٩-١٨٩. وعباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، القاهرة، ط ٢ دار المعارف بمصر، ١٩٧١، ص ١٩٦-٢١٧.

وأما ثاني الأسباب التي سوَّغ بها الدكتور الخوام إنكاره على المتقدين انتقادهم لنظرية العامل فهو أنهم (ص ٧٧): (لم يقدموا البديل عن هذه النظرية) والذي يمكن أن يقال في معرض التعليق على هذا الكلام أنه ليس من الحكمة أن نمنع الطبيب من تشخيص المرض إن لم يحسن معالجته، أليس التشخيص خطوة أساسية من خطوات المعالجة، وأرجو ألا يفهم من كلامي هذا أن نظرية العامل شرٌّ مطلقٌ، فما تراءى لي في مسيرتي التعليمية المديدة أنه لا غنى لنا عن هذه النظرية في تعليم النحو وهيكلته وتبويبه، ولا نفتأ نتكى عليها في تعليم النحو حتى يومنا هذا، ولكن ذلك لا يمنعني من القول أيضاً بأن ما تصوره النحاة لها على مرّ الأيام من القواعد والأحكام جعلها مصدر إرباك في التحليل النحوي للتركيب اللغوي، وكأني بالأستاذ الدكتور سيف بن عبد الرحمن العريفي رمى بقوله في حديث خاص عن هذه النظرية: إن لنظرية العامل قدر ما عليها!

ومما استوقفني في حديث الدكتور الخوام (ص ٧٧) عَمَّن انتقدوا نظرية العامل تنبيهه على تعرضهم (لردودٍ، أفادت أن أكثر هؤلاء الناقدين غير فاقهين لفكر النحاة...) وأزعم أن في هذا الكلام تقييداً بنكهة الاتهام المطلق ما دامت أكثريته غير محددة، علماً أن من الذين انتقدوا نظرية العامل بدرجات متفاوتة من العمق أعلاماً لا يُشك في عمق تضلعهم في علوم العربية عامة، وفي النحو خاصة، كما أنه لا يُشك أيضاً في إخلاصهم للغة العربية، وفي المقدمة من ذلك قامات شامخة بمنزلة تمام حسان وعلي أبو المكارم، ومحمد حماسة عبد اللطيف، ومهدي المخزومي وعباس حسن، ومازن المبارك ومحمد الأنطاكي^(٩)، ولكن محبة الدكتور الخوام لهذه النظرية وإعجابه الشديد بها

(٩) لانتقاد علي أبو المكارم لنظرية العامل انظر: كتابه «تقويم التفكير النحوي» ط دار =

جعلاه لا يحفل إلا بما يمجدها من جهود الدارسين المحدثين، وإن كان للدارس رأي آخر في المسألة أغفله، فقد ذكر في معرض الحديث عن المحدثين الذين أثنوا على هذه النظرية كلاماً لعباس حسن، فقال (ص ٨٢): (وأثنى عليها الأستاذ عباس حسن بكونها من أحسن الوسائل لفهم النحو وتعليم اللغة، قال....). علماً أن لعباس حسن رأياً آخر ينتقد فيه نظرية العامل انتقاداً، جعلها فيه من معوقات حسن استثمارنا لأساليب العربية وطاقتها التعبيرية وفي ذلك يقول: (ومما له اتصال وثيق بالمشكلات السالفة مشكلة أخرى واضحة الأثر في تعقيد النحو العربي، وإفساد الأساليب البيانية الناصعة، فليس خطرها مقصوراً على المسائل النحوية البحتة، بل تجاوزها إلى التحكم الضارّ في فنون القول الأدبي الرائع، وأعني بها مشكلة العامل)^(١٠) ويختم عباس حسن حديثه عن هذه المشكلة بقوله: (فيا ليت ما كان بالأمس مباحاً يصبح اليوم محظوراً، إذن لسهل النحو، واستراح النحاة وغيرهم من سلطان العامل القاسي، واختفى كثير من المسائل القاعدية التي لا خير فيها، بل التي لها ضرر محقق)^(١١).

= الثقافة، بيروت ١٩٣-١٩٦، و لانتقاد تمام حسان لها انظر كتابه «اللغة العربية؛ معناها ومبناها» ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٨٩. و لانتقاد مهدي المخزومي لها انظر كتابه «النحو العربي؛ نقد وتوجيه» ط ٢ دار الرائد، بيروت، ١٩٨٦، ١٤-١٥، ٣٣-٣٤، و لانتقاد مازن المبارك لاستبداد العلة والعامل بتفكير النحاة انظر: كتابه «النحو العربي؛ العلة النحوية نشأتها وتطورها»، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٧٤، ص ٩٩، وأما عباس حسن، ومحمد الأنطاكي، ومحمد حماسة عبد اللطيف فقد ذكرنا في هذه المراجعة ما يوضح انتقادهم لهذه النظرية.

(١٠) اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ط ٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧١ ص ١٩٦-٢١٧.

(١١) عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ص ٢١٧.

وصنيع الدكتور الخوام بتعامله مع آراء عباس حسن في نظرية العامل يشبه صنيعه بموقف الدكتور شوقي ضيف من هذه النظرية، فقد عرض المؤلف كلام الدكتور ضيف في معرض الثناء عليها، فقال (ص ٨١): (لقد أثنى كثير من المحققين على هذه النظرية العظيمة... قال الدكتور عبد الحميد السيد الطلب...). ثم قال المؤلف: (وأشار الدكتور شوقي ضيف إلى فضل الخليل فيها بقوله: إن الخليل هو الذي ثبت أصول نظرية العامل، ومدف فروعها، وأحكامها إحصاءً بحيث أخذت صورتها التي ثبتت على مر العصور، وأضاف موضحاً أهميتها في توطيد أركان النحو بقوله: تتداخل نظرية العامل في كل أبواب الكتاب وفصوله، بل لا نغلو إذا قلنا: إنها دائماً الأساس الذي يبني عليه - أي سيبويه - في مباحث النحو)^(١٢).

والتدقيق فيما نقله الدكتور الخوام من حديث شوقي ضيف عن نظرية العامل هنا يشي بأنه حديث وصفي لا يعدو أن يكون بياناً لدور الخليل في إيجاد هذه النظرية وبياناً لتمكنها في التفكير النحوي عند سيبويه، وليس في ذلك مدح ولا قدح، ولو اقتصر الأمر على ذلك لما زاد الخلل في توظيف الدكتور الخوام لكلام الدكتور ضيف على أن جعل الكلام الوصفي ضرباً من ضروب الثناء على نظرية العامل، ولكن الأمر لم يقتصر على ذلك، بل تعداه إلى الانتقائية، وعدم التفات المؤلف إلى كلام للدكتور ضيف في السياق نفسه ينتقد فيه إغراق سيبويه في تحكيم نظرية العامل بصورة اللغة العربية، وذلك في حديث الدكتور ضيف عن موقف سيبويه من قولنا: «قام ومضى المحمدون» حيث قال: (وهنا تصل نظرية الفعل العامل الذرورة، إذ يفرض

(١٢) انظر وقارن: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط. دار المعارف بمصر، القاهرة،

سبويه هذا التعبير، ويحتم إعمال الفعل الثاني في كلمة «المحمدون» لقربه، ويضمّر في الأول بحيث يقال: قاموا ومضى المحمدون، حتى لا يكون الفاعل الواحد فاعلاً لفعالين، فيجتمع بذلك مؤثران على أثر واحد، وكأنما العوامل النحوية تدخل في المؤثرات الحقيقية، وهو بُعد في تصوّر خطر العامل النحوي، وقد جرّه كما جر النحاة بعده إلى أن يرفضوا الصورة الأولى التي جاءت فعلاً عن العرب، ويضعوا مكانها هذه الصورة المقترحة^(١٣).

وبعد هل صاحب مثل هذا الكلام جدير بأن يذكر كلاماً له في معرض الثناء على نظرية العامل؟! بالتأكيد أن الإجابة بالنفي، لأن الراجح أن شوقي ضيف ليس من المتحمسين لهذه النظرية، ولا من المشجعين على تبنيها، يؤنس بذلك احتفاؤه بانتقاد ابن مضاء لها، وإفادته من هذا الانتقاد في تجديده النحو وتيسيره، يقول الدكتور ضيف في مستهل كتابه «تجديد النحو»: (كان نشري لكتاب الرد على النحاة... باعثاً لي... على التفكير في تجديد النحو بعرضه عرضاً حديثاً على أسس قويمة تصفيّه وتروّقه وتجعله داني القطوف للناشئة، وقد رأيت ابن مضاء يهاجم نظرية العامل في النحو وكلّ ما اتصل بها من كثرة التقدير للعوامل المحذوفة، وكثرة العلل والأقيسة، مما أحاله إلى ما يشبه شباكاً معقدة، وكلّما تخلّص دارسه من إحدى شباهه تعثر في أخرى.... وأكثر هذه الشباك لا تدعو إليه حاجة لسانية في تصحيح النطق بالكلام)^(١٤) ثم يؤكّد شوقي ضيف إفادته من آراء ابن مضاء في تجديده النحو وتيسيره، وذلك في معرض حديثه عن الأساس الثاني الذي بنى عليه تجديده هذا، فيقول: (استضأت فيه بجوانب من آراء

(١٣) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط. دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٦٦.

(١٤) شوقي ضيف، تجديد النحو، ط. دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣.

ابن مضاء في كتابه، وبمقترحات لجنة وزارة المعارف.. وقرارات مؤتمر المجمع اللغوي، وهو إلغاء الإعراب التقديري في المفردات مقصورة ومنقوصة ومضافة إلى ياء المتكلم ومبنية.... كما رأيت إلغاء الإعراب المحلي في الجمل بحيث لا يقال مثلاً: الجملة خبر محلها الرفع، بل يكتفى بالقول: إن الجملة خبر، ومثلها جملة النعت وجملة الحال، وجملة الصلة، وجملة جواب الشرط^(١٥).

هذا ما قاله شوقي ضيف في التقديم لتجديده النحو العربي، استنارةً بآراء ابن مضاء الداعية إلى إلغاء نظرية العامل، وتخلُّ عن الإعرابين التقديري والمحلي، علماً أن الإعراب، أي العمل، ركن أساسي من أركان نظرية العامل، وكأنَّ تخلِّي شوقي ضيف عنه في حال عدم ظهوره دعوة إلى التخفف ما أمكن من هذه النظرية، فهل يصلح مع ذلك أن تذكر أقوال صاحب أقوال كهذه في معرض الحديث عن ثناء المحدثين على نظرية العامل كما كان من الدكتور الخوام؟!

الافتقار إلى الدقة المصطلحية:

وآخر ما يمكن أن يقال في الحديث عن كتاب «نظرية العامل في النحو العربي؛ تقعيد وتطبيق» هو افتقاره أحياناً إلى الدقة في استعمال بعض المصطلحات، ومن هذا القبيل قول مؤلفه (ص ١٠): (والمهم أن النحاة أدركوا بعد أن تم لهم الاستقراء، أن هناك نظاماً لغوياً صارماً) فعبارة (تمَّ لهم الاستقراء) قد توهم بأنهم بنوا قواعدهم على استقراء تام، مع أن العلوم الإنسانية عامة، واللغوية خاصة تقوم على الاستقراء الناقص كما هو معروف.

ومما يلاحظ فيه الافتقار إلى الدقة في استعمال بعض المصطلحات، ما

(١٥) شوقي ضيف، تجديد النحو، ط ١، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤.

في حديث المؤلف عن تأويل ما أوهم ظاهره بمجيء خبر (إن) جملة إنشائية في البيت الشاهد:

إن الذين قتلتم أمس سيدهم لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما
قال (ص ٦٤): (قالوا: إن التقدير: إن الذين قتلتم أمس سيدهم مقولٌ
فيهم: لا تحسبوا... فهذا القول هو الخبر، والجملة الإنشائية في محل نصب
مقول القول) والراجح أن يقال إن هذه الجملة في محل رفع نائب فاعل،
لأن المقدر اسم مفعول، لا اسم فاعل.

ومما يفتقر إلى شيء من الدقة في الاستعمال المصطلحي ما في حديث
المؤلف (ص ٥٩) عن القاعدة العشرين من قواعد نظرية العامل حيث قال: (ما
كان له الصدارة في الكلام لا يعمل ما بعده فيما قبله، وذلك كأسماء الشرط،
والاستفهام، ولهذا لا يجوز أن نعلق اليوم في قولنا زيدٌ اليوم هل أكرمه؟
بالفعل أكرمه...) والأفضل أن يقال: وذلك كأدوات الشرط والاستفهام حتى
يكون التمثيل بحرف الاستفهام (هل) مشمولاً بما مثَّل به لتوضيحه.

ومما يفتقر إلى الدقة العلمية في الاستعمال المصطلحي، وفي الإحالة
إلى المصادر في هذا الكتاب، مصطلح العامل نفسه، فقد أكد المؤلف غير
مرة (ص ١٥-١٧) نصَّ النحاة على تعريفه بأنه ما يوجب كون آخر الكلمة
على وجه مخصوص، أو ما عمل في غيره شيئاً من رفع أو نصب أو جرٍّ أو
جزم، إلى غير ذلك مما يؤكِّد أن العامل في المصطلح النحوي إنما هو الذي
يؤثر في آخر الكلم علامة إعرابية ما، ومع ذلك يحدثنا المؤلف عن ضرب
من العوامل المهملة التي ليس لها أثر إعرابي في آخر الكلمة، فقد نص
(ص ٥٨-٥٩) على أن العوامل من جهة العمل ثلاثة أقسام؛ عواملُ تعمل
لفظاً ومعنى... وعواملُ تعمل لفظاً لا محلاً.. وعواملُ تعمل معنى لا لفظاً،

وكان الدكتور الخوام يقول بوجود العامل المهمل الذي مثل له بحرفي الاستفهام؛ هل والهمزة، وفي ذلك ما فيه من الاضطراب والتناقض في الاستعمال المصطلحي، ويزيد الأمر سوءاً أن المؤلف في سياق حديثه هذا يحيل إلى الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، مما يوهم بأن السيوطي أو أحد من نقل عنهم يقول بما يوهم به كلام المؤلف من وجود عوامل مهملة وعوامل عاملة، ولدى العودة إلى حيث أحال المؤلف تبين أن السيوطي وأشباهه^(١٦) براء من هذه المزاعم.

ومن هذا القبيل ما في حديث الدكتور الخوام عن تطور التفكير في نظرية العامل حيث قال (ص ٢١): (وما إن نصل إلى ابن السراج حتى نرى النظرية واضحة المعالم تماماً، فهاهو يعنون للعوامل بعناوين خاصة، يذكر فيها العوامل العاملة وغير العاملة) واللافت أن صنيع المؤلف هنا لا يقتصر أيضاً على الاضطراب المصطلحي المتمثل بزعم وجود عوامل عاملة وعوامل مهملة بل تُوهم أيضاً إحالته على ابن السراج في الأصول بأن ابن السراج يقول بهذا الزعم أيضاً، وهذا ما لا وجود له في الأصول الذي قال صاحبه: (ذكرُ العوامل من الكلم الثلاثة الاسم والفعل والحرف وما لا يعمل منها)^(١٧) ففي هذا الكلام العنوانى المجمع أوماً ابن السراج إلى أن الكلم في العربية منه العامل، ومنه المهمل، ثم أخذ في تفصيل هذا الإجمال، فوضح أن الأفعال كلها عاملة، وأما الأسماء فمنها العامل ومنها المهمل، ثم حدّد العامل منها، وهو ما فعله بالأحرف في سياق شرحه لنظرية إعمال الأحرف المختصة، وإهمال الأحرف المشتركة

(١٦) انظر: الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، تح. عبد الإله نبهان وزملائه، ط١ مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ١/٥٣٨.

(١٧) الأصول في النحو، ابن السراج، تح. د. عبد الحسين الفتلة، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ=١٩٩٦، ١/٥١.

بين الأسماء والأفعال. وليس في كلامه أية إشارة إلى ما يوهم به كلام الدكتور الخوام من أن في النحو عوامل عاملة، وعوامل مهملة!

ومن هذا القبيل عند الدكتور الخوام ما في حديثه عن ضعف العامل المعنوي وأثر ذلك في عدم إجازة مجيء الحال من المضاف إليه، قال (ص ٥٤): (لهذا الأمر منعوا أيضاً مجيء الحال من المضاف إليه، فلا يصح عندهم جعل «مبتسماً» حالاً من المضاف إليه، أي من «زيد» في قولنا: أعجبني وجه زيد مبتسماً، بل هو حال من الفعل أعجبني) فكيف يكون الحال من الفعل؟ أليس الفعل هو العامل في الحال؟! وهل يصح أن يكون صاحب الحال وعاملها شيئاً واحداً؟! بل هل يصح أصلاً أن يكون الفعل هو صاحب الحال؟! والغريب أن المؤلف أحال فيما هو فيه هنا إلى همع السيوطي، مما يوهم بأن السيوطي أو أحد مصادره يقول بمجيء الحال من الفعل، وقد تبين لدى العودة إلى الهمع أنه وصاحبه براء من هذا الزعم، قال السيوطي في المكان الذي أحال إليه الدكتور الخوام: (حق صاحب الحال ألا يكون مجروراً بالإضافة... لأن المضاف إليه مكمل للمضاف، وواقع منه موقع التثوين، فإن كان المضاف بمعنى الفعل حسن جعل المضاف إليه صاحب حال، لأنه في المعنى فاعلٌ أو مفعولٌ به، نحو: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٤] و«عرفت قيام زيد مسرعاً»^(١٨).

وبعد فقد حرصت هذه المراجعة التي لم تفصح عن كل ما في النفس تجاه الكتاب الذي عنيت به على أن تنظر بعين العلم والموضوعية العلمية بعيداً عن أي موقف شخصي، وذلك وفاء لحق العلم وإخلاصاً لرسالته، فإن كان لهذه المراجعة ما أرادت فيها ونعمت، وإلا فحسب صاحبها إخلاص النية، وبذل المستطاع في سبيل إنجازها.

المصادر والمراجع

- الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، تح. عبد الإله نبهان وزملائه، ط ١، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- الأصول في النحو، ابن السراج، تح. د. عبد الحسين الفتلة، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م.
- جديد النحو، شوقي ضيف، ط ١، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٢م.
- خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تح عبد السلام هارون، ط ٢، الخانجي، والرفاعي، القاهرة - الرياض.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، محمد حماسة عبد اللطيف، ط ١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.
- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ط ٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.
- المحيط في أصوات اللغة العربية وصرفها ونحوها، محمد الأنطاكي، ط ٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٥م.
- المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ط. دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٨م.
- النحو العربي؛ العلة النحوية نشأتها وتطورها، مازن المبارك، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٧٤م.
- النزعة العقلية في الدرس النحوي عند العرب، أدهم محمد علي حموية، رسالة دكتوراه، في كلية الآداب بجامعة البعث.
- نظرية العامل في النحو العربي؛ تقعيد وتطبيق، د. رياض حسن الخوام، ط ١ إلكترونية، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ٢٠١٤م.
- همع الهوامع، السيوطي شرح جمع الجوامع، ط ١، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٢٧هـ.

ثمار الصناعة في علم العربية^(١) تأليف الحسين بن موسى الدينوري

أ. د. عبد الإله نبهان(*)

المؤلف هو الحسين بن موسى بن هبة الله الدينوري أبو عبد الله، وعُرف بلقبه (الجليس)، من نحاة القرن الخامس الهجري، وتفاصيل أحواله مجهولة.

اعتمد المحقق في تحقيقه الكتاب على نسختين:

- أولاهما نسخة المتحف البريطاني، تقع في (١٥٧) ورقة، وهي تامة لا نقص فيها، ويعود تاريخ نسخها إلى شهر ربيع الآخر سنة / ٥٨٣هـ، وقد كُتب عليها في أحد عشر موضعاً منها أنها قُوبلت بالنسخة الأم.

- والثانية نسخة جامعة إستانبول، تقع في (١٦٠) ورقة، وخطها واضح، وأخطاؤها قليلة، وقد قُوبلت على غيرها، ويُرجَّح أن خطها يعود إلى القرن السابع، ولم يذكرها (بروكلمان)، وهذا ما دفع (د. حنا جميل حداد) إلى القول بأن النسخة التي حَقَّق عليها الكتاب هي نسخة وحيدة؛ يقصد نسخة المتحف البريطاني.

(١) صدر هذا الكتاب عام (١٤١١هـ / ١٩٩١م) عن جامعة الإمام (محمد بن سعود) الإسلامية بالرياض، دراسة وتحقيق (د. محمد بن خالد الفاضل)، وجاء مع فهرسه في (٥٩٢) صفحة، ثم صدر عام / ١٩٩٤ عن وزارة الثقافة الأردنية بعمان بتحقيق (د. حنا جميل حداد)، وجاء مع فهرسه في (٢٢٠) صفحة.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

لم يعتمد (د. محمد الفاضل) إحدى النسختين أمّا، فقد أثبت أولاً نسخة المتحف البريطاني، وأثبت الفروق بينها وبين نسخة إستانبول، وأشار إلى الزيادات، وسنشير إلى عمله عند كلامنا على تحقيق الكتاب.

قدّم السيد المحقق للكتاب بدراسة مُفصّلة استغرقت نحواً من (١٣٠) صفحة، واشتملت على أربعة فصول:

- فأما الفصل الأول فقد جرى البحث فيه في (حياة المؤلّف)؛ في اسمه وكنيته ولقبه وشيوخه ومؤلفاته ووفاته.

- أما الفصل الثاني فقد اشتمل على توثيق نسبة الكتاب وسبب تأليفه، وعرض مادته وطريقة تبويبه وترتيبه، ومنهجه في الكتاب، وقيمة الكتاب وسماته وخصائصه ومصادره وشواهد، ثم قدم استدراقات وملحوظات عامة على الكتاب.

- أما الفصل الثالث فهو بعنوان: (الاتجاه النحوي عند الدّينوري)، وقد عرض فيه الباحث لموقف الدينوري من البصريين والكوفيين، وتحدث عن الآراء التي وافق فيها بعض العلماء، ثم ذكر الآراء التي لم يُسبق إليها.

- وكان الفصل الرابع كلاماً: عن تحقيق الكتاب، وعن نسخته المخطوطتين، وعن منهج التحقيق، مما سنشير إليه فيما يلي:

تحدّث المحقق عن نسّخه للمخطوط وعن مقابلة النسختين، ثم ذكر عنايته بعلامات الترقيم، ووضع عناوات جانبية فوق بعض الفصول، وربط المسائل المتفرقة بإحالات تصل ما بينها وتدلّ عليها، إضافة إلى الضبط وتفسير ما يحتاج إلى تفسير، ثم أشار إلى أمور تتعلق بإخراج الكتاب وتخريج الشواهد من قرآنية وحديثية وشعرية ونثرية.

أما الآراء النحوية التي نسبها المؤلّف إلى أصحابها فقد جرى توثيقها

من كتب أصحابها، أو من أقدم المراجع التي ذكرتها، وأما الآراء النحوية التي ذُكرت من غير ما نسبة إلى أصحابها فقد سعى السيد المحقق إلى نسبة كل رأي إلى صاحبه، ولا سيما أنه جمع لديه ما استطاع من المراجع التي كانت بين يدي المؤلف.

الكتاب..

هذا، وقدّم المؤلفُ الجليسُ لكتابه بمقدمة ذكر فيها استجابته لمن طلب منه تأليف الكتاب وتبيّن منهجه المتّبع في تأليف كتاب في فنّ كثر فيه التأليف واتسع، فقال: «قصّدتني في أن أملّ عليك كتاباً يُنظّم أصول علم العربية وجُملته، وما لا يسع المتأدّب فيه أن يجهره، واقتربت عليّ أن أودعه منه ثماراً وعقوداً، وأقتضب له فيه أعداداً وحدوداً، وأن أعدل عن الاستشهاد والتمثيل، ولا أتشغل ببسط الخلاف والتعليل، بل أجعله كالتذاكير والجوامع، المشتملة بإيجاز على الفوائد والمنافع».

بعد هذا الكلام الذي بيّن فيه نهجه في تأليفه قدّم لنا ما انتهى لديه في حدّ النحو، فقال: «للنحو حدّان: لغوي، وصناعي، فاللغوي أنّه القصد إلى معرفة كلام العرب، والصناعي أنّه علمٌ مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله ﷻ وكلام فصحاء العرب».

وكما تحدث ابن السراج / ٣١٦هـ / في بداية كتابه (الأصول) عن العلل، وذكر العلة وعلة العلة، كذلك فعل الجليس النحوي في مطلع كتابه؛ إذ قال: «واعتلالات النحويين صنفان: علة تطرّد على كل كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم، وعلة تُظهر حكمتهم في أصوله وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاته، وهم للأولى أكثر استعمالاً وأشدّ تداولاً، وهي واسعة الشعب، كثيرة الافتنان؛ إلا أن مدار المشهورة منها في الجملة عند مَنْ

عُني بجمعها، وصرف الاهتمام إلى تتبعها، وحصرها في ثلاثة وعشرين نوعاً
نُتبت أسماءها وألقابها حَسْبُ في هذا الموضوع».

وهذه العلل التي يشير إليها كانت متناثرة في كتب مَنْ تقدّمه من النحاة،
من مثل: سيبويه / ١٨٠هـ /، وابن السراج، والفارسي / ٣٧٧هـ /، وابن جني
/ ٣٩٢هـ /، وغيرهم، لكنه جعلها في موضع واحد، وأضحى مَنْ أتى بعده
ينقلها عنه كما وردت في (ثمار الصناعة)، منها: (إشارة التعيين) لعبد الباقي
اليمني / ٧٤٣هـ /، و(التذكرة) لابن مکتوم / ٧٤٩هـ /، و(البلغة) للفيروزآبادي
/ ٨١٧هـ /، و(بغية الوعاة) و(الاقتراح في أصول النحو) للسيوطي
/ ٩١١هـ /، وهذه العلل هي:

علة سَمَاع، وعلة تشبيه، وعلة استغناء، وعلة استثقال، وعلة فَرْق، وعلة
توكيد، وعلة تعويض، وعلة نظير، وعلة نقيض، وعلة حَمَل على المعنى،
وعلة مشاكلة، وعلة معادلة، وعلة قرب ومجاورة، وعلة وجوب، وعلة
تغليب، وعلة اختصار، وعلة تخفيف، وعلة دلالة حال، وعلة أصل، وعلة
تحليل، وعلة إشعار، وعلة تضاد، وعلة أولى.

وقد ذكر السيد المحقق في حاشيته مثلاً لكل علة من هذه العلل:

- علة سماع: كقولهم: امرأة ثدياء، ولا يُقال: رجل أئدى.
- علة تشبيه: كإعراب المضارع المُشابه للاسم.
- علة استغناء: كاستغنائهم بـ (ترك) عن (ودع).
- علة استثقال: كاستثقالهم الواو في يعد لوقوعها بين ياء وكسرة.
- علة فرق: كرفع الفاعل ونصب المفعول.
- علة توكيد: كإدخالهم النون الخفيفة والثقيلة في فعل الأمر لتأكيد إيقاعه.
- علة تعويض: كتعويض الميم في (اللهم) من حرف النداء.

- علة نظير: ككسّر أحد الساكنين إذا التقيا في الجزم حملاً على الجر.
- علة نقيض: كنصب النكرة بـ (لا) حملاً على نقيضها (إن).
- علة حَمَلٍ على المعنى: كقوله ﷺ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥]،
بمعنى (وَعِظَ).
- علة مشاكلة: كقوله ﷺ: ﴿سَلَسِيلاً وَأَعْلَلًا﴾ [الإنسان: ٤].
- علة معادلة: كجرّ ما لا ينصرف بالفتح حملاً على النصب، ثم عادلوا
فيهما، فحملوا النصب على الجر في جمع المؤنث السالم.
- علة قرب ومجاورة: كالجر بالمجاورة، كقولهم: هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خربٍ.
- علة وجوب: كتعليقهم رفع الفاعل.
- علة جواز: كتجويزهم الإمالة فيما أميل، لا لوجوبها.
- علة تغليب: كقوله ﷺ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ﴾ [التحريم: ١٢].
- علة اختصار: كباب الترخيم، و(لم يك).
- علة تخفيف: كالإدغام.
- علة دلالة حال: كقول المستهل: الهلالُ.
- علة أصل: ك (استحوذ)، و(يؤكرم)، و صرف ما لا ينصرف.
- علة تحليل: كالاستدلال على اسمية (كيف) بنفي فعليتها ونفي حرفيتها.
- علة إشعار: كقولهم: موسون، في جمع (موسى).
- علة تضاد: كقولهم في الأفعال التي يجوز إلغاؤها: متى تقدمت
وأكدت بالمصدر أو بضميره لم تلغ؛ لِمَا بين التوكيد والإلغاء من التضاد.
- علة أولى: كقولهم إن الفاعل أولى برتبة التقديم من المفعول.
نقلًا عن (تذكرة ابن مكتوم).
- والملاحظ أن المؤلف ذكر أن العلل نوعان، ولم يتحدث إلا عن النوع

الأول، لذلك أكمل السيوطي الكلام بعد أن نقل كلامه السابق بقوله: «وأما الصنف الثاني فلم يتعرض له الجليس ولا بينه، وقد بينه ابن السراج في الأصول (١: ٣٧)، فقال: اعتلالات النحويين ضربان: ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب كقولنا: كل فاعل مرفوع، وكل مفعول منصوب. وضرب يُسمى علة العلة مثل أن يقولوا: لِمَ صار الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً؟ وهذا ليس يُكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب، وإنما يستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها، ويتبين به فضل هذه اللغة على غيرها، وعلق ابن جني في الخصائص (١: ١٧٣) على كلام ابن السراج بقوله: هذا الذي سمّاه علة العلة إنما هو تجوُّز في اللفظ، فأما في الحقيقة فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة...».

هذا التعليق الغني للمحقق تمّ الغاية التي قصد إليها المؤلف لدن حديثه عن العلل، ولعلّ جمعه لألقاب العلل في موضع واحد يُعدّ من أهم ما انفرد به، وأما سائر الكتاب فهو مباحث تعليمية تعدّ مشتركة بينه وبين النحاة الآخرين، كتقسيم الكلم، والعلة في ترتيبها، والقول على اشتقاق كلمة (اسم)، وعلامات الاسم وعلامات الفعل، وذلك في إيجاز شديد من دون الخوض في التفاصيل التي نراها في المسألة الأولى من كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) للأبّاري / ٥٧١هـ.

وكان المؤلف يفصل بين كل مبحث وآخر بكلمة (فصل)، وقد أحسن المحقق بإضافته عنواناً فرعياً لكل فصل يدل على مضمونه، كقوله: الأسماء الموصولة، أسماء الاستفهام والشرط، (كان) وأخواتها، أفعال العلم والظن... وهكذا، وقد بلغت هذه العنوانات ما يقارب مئة عنوان.

احتج المؤلف بآيات القرآن الكريم و ببعض الأحاديث النبوية والأمثال

وبالشعر، وكان أكثر احتجاجه بالقرآن الكريم؛ إذ بلغ عدد المواضع التي أورد فيها الآيات ثمانية عشر ومئتي موضع، أما الأحاديث فلم تتجاوز أربعة، والأمثال ستة، وبلغ عدد آيات الاستشهاد بترقيم المحقق ثمانية وسبعين بيتاً، وقد عني المحقق بتخريج كل ما مرّ ذكره، ولم يترك رأياً إلا أحال على مرجعه، وسنذكر مثلاً واحداً على ذلك.

جاء في مبحث الحروف الزائدة (ص ١٨٤)، وقد ذُكرت الآية: ﴿فِيمَا نَقُضُّهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥، المائدة ١٣]: «وقد منع بعضهم أن تكون (ما) ها هنا زائدة، وجعلها اسماً بمعنى (شيء)، وما بعدها بدلاً منها، وهو رأي ضعيف».

هنا علق المحقق بقوله: «هذا الرأي نسبه مكّي / ٤٣٧هـ / في (مشكله ١: ١٦٥)، والقرطبي / ٦٧١هـ / في (تفسيره ٤: ٢٤٨)، إلى ابن كيسان / ٢٩٩هـ /، وقالوا: إنه يأخذ به تلطفاً في عدم الحكم بالزيادة في القرآن الكريم، ونسبه العُكْبَرِي / ٦١٦هـ / في (إعرابه) إلى الأَخْفَش / ٢١٥هـ /، وعندما رجعت إلى معاني الأَخْفَش وجدته يقول بالرأي الأول وهو الزيادة، وممن قال بالرأي الأول من العلماء سيويوه وأبو عبيدة / ٢٠٩هـ / في (مجاز القرآن)، والفراء / ٢٠٧هـ / في (معانيه)، والمبرد / ٢٨٦هـ / في (الكامل)، وأغلب مَنْ جاء بعدهم من العلماء ممن تعرّض للآيتين، وهناك رأي ثالث في المسألة ذكره أبو حيان / ٧٤٥هـ / في (تفسيره)، ورأي رابع ذكره الزجاج / ٣١١هـ / في (معانيه)، ورأي خامس للشريف المرتضى / ٤٣٦هـ / ذكره في (أمالیه)، ولا داعي للخوض في التفاصيل».

وعلى هذا النهج كتب المحقق إحلالاته وتخريجاته، ولم ينج رأياً من الآراء المذكورة في متن الكتاب من التعليق والإحالة والاستدراك، لذلك كانت تعليقات المحقق أكبر من المتن، وفيها من الفوائد ما فيها، وبها صار

هذا الكتاب التعليمي كتاباً مرجعياً يستفيد منه الدارس كما يستفيد منه المحقق والمتتبع لآراء النحاة.

وقد شفع المحقق الكتاب بفهارس تفصيلية متقنة بلغت عشرة فهارس. ولا بُدَّ من الشناء على ما كتبه المحقق في (ص ٧٨) وما بعدها تحت عنوان: (استدراكات وملحوظات عامة على الكتاب)، بلغت خمساً ومئة ملحوظة واستدراك، وهي ملحوظات تدل على دقته في القراءة والتتبع والقدرة على التوقف عند دقائق الأمور وإعطائها حقها في الشرح والتوضيح والإحالة. إن ما تقدّم يتيح لنا القول إن تحقيق كتاب (ثمار الصناعة في علم العربية) يُعدّ تحقيقاً نموذجياً مُتقناً، استوفى عناصر الصناعة والإتقان.

المحاضرات والمدارسات (*)

(*) المدارس: هي المقابل العربي لكلمة (seminar) الأجنبية، وتعني بحثاً يقدمه أحد أعضاء المجمع، فيتباحثون به في مجلس المجمع.

الوسطية والاعتدال الديني في فكر أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠)

أ. د. أنور الخطيب (*)

ألقي أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠) محاضرةً في «جمعية الشباب الماروني» بنيويورك / ٩ / شباط عام ١٩٠٠ تحت عنوان «التساهل الديني» قَبَسْنَا منها الأفكار التالية:

أولاً: وَقَعُ نَبَأُ الْمَحَاضِرَةِ فِي الْجَالِيَةِ السُّورِيَّةِ، يَرُوي أَمِينُ الرِّيحَانِيِّ مَا يَلِي:

ذَاعَ الْخَبْرُ فِي جَالِيَتِنَا السُّورِيَّةِ، وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ يُفَسِّرُ الْمَوْضُوعَ وَيَسْتَخْرِجُ النَّتَاجَ، وَيُقَدِّرُ الْعَوَاقِبَ حَسَبَ إِدْرَاكِهِ وَهَوَاهُ..... وَقَدْ اتَّفَقَ هَؤُلَاءِ الْمَفْسُورُونَ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ: أَنِّي سَأَتَعَرَّضُ لِلدِّينِ تَعَرُّضًا خَبِيثًا، وَهُمْ يَنْوُونَ وَقْفِي عَنِ الْخُطَابَةِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْلَفُوا حُرِّيَّةَ الرَّأْيِ أَوْ الْإِنْتِقَادَ. فَعَسَى أَنْ يَصَادَفُوا الْفِشْلَ وَخَيْبَةَ الْأَمَلِ لِأَنَّهُمْ حَكَمُوا عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامِي وَهَذَا مَا يَنَاقِضُ الْعَدْلَ وَالذُّوقَ السَّلِيمَ.... وَيَتَابِعُ الرِّيحَانِيُّ وَيَقُولُ: قَدْ يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ الْبَحْثَ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ مُتَعَلِّقٌ بِرِجَالِ الدِّينِ وَمُحَرِّمٌ عَلَى سِوَاهُمْ، وَهَذَا عَيْنُ الضَّلَالِ. فَالمرءُ لَا يَرَى مَسَاوِيَّ ذَاتِهِ وَلَا يَنْتَقِدُ الْحِرْفَةَ الَّتِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا مَعَاشُهُ.

(*) ألقى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور أنور الخطيب هذه المحاضرة بتاريخ ٢٤/٢/٢٠١٦.

رؤساء الأديان لا يتكلمون عن الدين شيئاً مُشِيناً على مسامع الشعب، ولو كان منافياً للعدل والإصلاح، بل كل مباحثهم وشعارهم هو «الدين اعتناقه واجب، وتعزيزه أوجب، وإذا أفسده الزمان فلا يُعلن الفساد للشعب».

ولكن الذي أوقعني في الاضطراب هو الطلب الذي طلبته مني عمدة هذه الجمعية (جمعية الشبان المارونيين) كي أعدّل عن الخطابة بهذا الموضوع تجنباً للشر، وهرباً من العواقب الوخيمة....

ماذا أفعل إذن؟ أفتحم البحث والتنقيب، أم أسلم تسليمياً غير مشروط، دون أن أنسى بينت شفة! من وجه أول لا أريد أن أخون ضميري وأعود نفسي التردد! ومن وجه آخر أود لو راعيت خواطر أعضاء الجمعية التي أنا عضو فيها: فإن تكلمت استأؤوا، وإن لم أتكلم استاءت الحقيقة وهذه هي الورطة.

الموقف يستوجب عمق التبصر، إذ كانت القاعة غاصة برجال الحكومة وأصحاب الجرائد والجواسيس، وكلهم واقفون للخطيب بالمرصاد يتوقعون منه كلمة واحدة تتقد الجرائد أو (المكتوبجي) رقيب الحكومة ليثشوا به ويسعوا لتوقيفه.

ويخاطب الريحاني نفسه فيقول:

نحن في جمهورية عظيمة (الولايات المتحدة الأمريكية)، يحق لكل من وطئ أرضها المباركة أن يتكلم بحرية تامة، شرط ألا يمس حرية غيره.

إن موضوعي يعود بأكبر الفوائد على السوريين في بلادهم وفي المهاجر. موضوعي «التساهل الديني» أتريدون أن أتكلم؟ فجاء الجواب من الجمهور «تكلم!» تكلم تكلم، فسأتكلم وعلى الله الاتكال.

ثانياً: شرم موضوع التساهل:

يقول الريحاني: موضوعي مُتَشَعِبُ الطُّرُق، جليل الشأن، جليل

الفائدة... ذو أهمية بعيدة الأثر في المجتمع الإنساني. هو الموضوع الذي اختلف فيه الناس في العصور المتوسطة حين كان يدافع عنه العلماء والفلاسفة والأحرار. ومعارضوه كل المعارضة هم الرؤساء والأمراء والملوك، وكل من فضل قطعة معدن تدعى تاجاً على ذلك الشيء الإلهي الخفي الذي يسمى ضميراً. يتابع الريحاني فيقول: التساهل هو التسامح بوجود ما يخالفك وهذا تحديد عام. أما التحديد الذي يأتي بالمراد: التساهل الديني فهو الاعتبار والاحترام الواجب علينا إظهاره نحو المذاهب المتمسك بها آخرون من أبناء جنسنا، ولو كانت هذه المذاهب مناقضة لمذاهبنا. التساهل غير مطلوب في الأمور الدينية وحدها، بل في كل الأمور التي تطرأ على عقول البشر. ويعمل بها الكبار والصغار. لا نستطيع أن ندخل هذا الباب (باب التساهل) دون أن نطرق باباً آخر (باب التعصب).

ثالثاً: شرح مفهوم التعصب:

التساهل نَجَمٌ عن التعصب. وهاتان الكلمتان ضدّان. وهما من ثنائيات الطبيعة. كالنور والظلمة. والخير والشر. والعدل والظلم، (والحياة والموت)، فلولا أحدهما ما كان الآخر. فالتعصب إذن وَلَدَ التساهل. والتساهل وَلَدَ السلام. والسلام وَلَدَ النجاح. والنجاح وَلَدَ السعادة. كل تعصبٍ يَسْتَوْجِبُ التساهل. فالتساهل هو الابن والتعصب هو الأب. وليس في العائلة البشرية بُرْمَتِهَا أَبٌ وابنٌ غيرُ منسجمين إلا هذين الاثنين. فاستعرت بينهما نيران الفتن. وحمي وطيس القتال في القرون الوسطى. وكان الفوز أحياناً لهذا، وأحياناً لذلك حتى دخل المتحاربون القرن التاسع عشر فأخذ التساهل ينتصر على التعصب. وأخيراً شق قلبه بخنجر العدل، وفراه بسيف الرحمة. مات التعصب.

رابعاً: بَعَثُ رُومِ التَّعَصُّبِ بِقَالَيبِ سِيَاسِيٍّ

ولكن وأسفاه كان موثُ التعصبِ إلى حين، أي إن روحه عند خروجه من جسمه الديني، تَمَصَّصَتْ بالجسمِ السياسيِّ. فعوضاً عن التعصبِ الديني الذي سَوَّدَ صفحاتِ التاريخِ في الأجيالِ الغابرة، ابتُلينا في أيامنا بتعصبٍ سياسيٍّ أو دوليٍّ إذا شئتم! لم نَرْ له مثلاً في التاريخِ بأسره. فما هذه الحروبُ التي تَعْلَنُها الدولُ الأوربيةُ على الشعوبِ الضعيفةِ والصغيرةِ إلا نتيجةُ التعصبِ الدوليِّ، نتيجةُ الفِكرِ الفاسدِ الذي تَتَمَسَّكُ به الدولُ الكبرى. فإنك لترا تَعْتَقِدُ نفسها أصْلَحَ مِن فرنسا وفرنسا أرفعَ وأعظمَ من ألمانيا وألمانيا أقوى وأحسنَ من الاثنين... إلخ.

خامساً: صُورٌ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَصُّبِ السِّيَاسِيِّ

وإذا راقبنا حركاتِ الدولِ ودرشنا سياستها وكشفنا الحجابَ عن خفاياها واستعرضنا الحروبَ العديدةَ التي تهدمُ هيكلَ المجتمعِ الإنساني وقفنا حيارى نساءً، أحقَّ نحنُ في القرنِ التاسعِ عَشَرَ، قرنِ التمدنِ والنورِ والمبادئِ الديموقراطيةِ والاشتراكيةِ والرحمةِ المسيحيةِ؟ أحقَّ نحنُ على بابِ القرنِ العشرينِ؟ التساهلُ الديني يَشْمَلُ الآنَ الدولَ الأوربيةَ بمعاملاتها بعضها مع بعض، ولكنه لا يَشْمَلُ الشعوبَ التي يدعواها الأوربيون متوحشة. فالدول لا تتساهلُ مع هؤلاءِ المساكينِ الضعفاءِ بل يتساهلُ بعضها مع بعض لأنها تُضْطَرُّ إلى ذلك وليس حباً لمبدأ شريف. وكثيراً ما تراها تُشهرُ الحروبَ على القبائلِ الضعيفةِ وتدعواها حروبَ الإنجيلِ (حروبَ القاعدة، حروبَ داعش)، وذلك كي يعتنق «البرابرة» الدينَ المسيحي كُرْهاً وَجَبْراً. هذا هو التعصبُ الديني الدولي. هذه هي الاضطهاداتُ التي كانت تمارسُها الدولُ الأوربيةُ المسيحيةُ بعضها على بعض، والآن تمارسُها على «البرابرة»

كما تزعم، والبرابرة قومٌ يشعرون ويتألمون مثلنا. هذه هي حروب شارلمان. واضطهادات الملكة حنة الإنكليزية. والملك شارل الفرنسي. هذه هي مذبحة ليلة القديس برتلماوس، فعوضاً عن حدوثها في باريس وفي القرن السابع عشر تحدث الآن في فيافي آسيا، وصحارى إفريقيا، وتلؤل السودان، وفي آخر القرن التاسع عشر. يا للعار! عبثاً يكتب العلماء. ويندؤ المصلحون ويبحث الفلاسفة، عبثاً أتى السيد المسيح إلى الأرض.

أما الدول المسيحية بمعاملاتها بعضها مع بعض، فلسنا نرى للتعصب الديني أثراً بينها: فصار الكاثوليك بأمن وسلام في الجزر البريطانية، والبروتستانت آمنين على أنفسهم في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا، واليهود لا خوف عليهم من الأخطار والطردي في أي بلاد حللها ما عدا الروسية. وصرنا نرى في مجلس اللوردات البريطاني البروتستانت والكاثوليك واليهود يجلسون جنباً إلى جنب.

أما في الدول العثمانية فنرى الموظفين على اختلاف نحلهم ومذاهبهم من المسلمين والمسيحيين والدروز. فالتساهل في الدولة موجود غير أنه بين الشعب مفقود؛ لأنه حتى في هذه البلاد الحرة الكاثوليك كطائفة لا يحبون البروتستانت. والبروتستانت يكرهون الكاثوليك إلخ. وذلك في كل الأمم لا سيما في الأرض السورية. فلو كان بوسعنا نحن السوريين أن نضطهد ونشهر الحروب الدموية بعضنا على بعض لفعلنا. ولكن الدولة لا تساعدنا على الاضطهاد الديني.

سادساً: عندنا ما هو أقبح من التعصب:

ويتابع الريحاني محاضراته قائلاً: وعندنا شيء أقبح من الاضطهاد المكشوف وأضر من الحروب. عندنا السياسة السرية والأيدي الخفية. فكل هذه المنكرات تتجه إلى غرض واحد وهي أكبر باعث على ابتعادنا

وانقسامنا ومعاداة بعضنا لبعض. هذه السياسة هي الجبن، واللؤم، والخيانة، والأيدي التي لا تظهر مخالبتها إلا في الظلمة الحالكة يدعو عليها بالكسر كلُّ حرٍّ صادقٍ وكلُّ شجاع. هذه سياسة سيئة الغاية، وخيمة العاقبة، وبسببها يظلُّ أبناء الأمة الواحدة منقسمين منفردين عاجزين عن العملِ مشمولين بالحُمول، ومكتنفين بالجهل، فيتسلطُّ عليهم شعبٌ آخر أو أمةٌ غريبةٌ فيفقون أذلاءً جُبناءً ما شاء الله.

أيها السوريون! نحن شعبٌ لا يتجاوز عدده ثلاثة ملايين نفس منهم مليونٌ مشتتٌ في أقطار الأرض فإذا وُجد فينا خمسة عشر حزباً أو ملةً فماذا يا ترى تكون عاقبة شقاقنا وانقسامنا؟

ألا يكفيننا الضعف الذي يشملنا بكوننا شعباً صغيراً حتى نُبتلى بضعف الانقسام؟ وماذا تكون قوة كلِّ حزبٍ أو كلِّ طائفةٍ إذا شرعت تعملُ عملاً خطيراً يستغرق الوقت الطويلَ والسهرَ والكدَّ ويستوجب تضحية المالِ والنفوسِ وخيرات البلاد.

هذه الأمة الأمريكية يبلغ عدد سكانها ما ينيف على الثمانين مليوناً ومع ذلك لا نرى فيها أكثر من خمسة أحزابٍ سياسية. أما الطوائف الدينية فكثيرة ولكن لا شأن لها في الأمور السياسية والوطنية. قد قالت الحكومة لهذه الطوائف الدينية ما معناه: لكل دينٍ حقُّ البقاء ولا حقٌّ لدينٍ أن يُبيد ديناً آخر بالقوة.

لكل دينٍ حقُّ البقاء! فكروا في ذلك وأبقوا هذه الفكرة في حافظتكم، ودولتنا العثمانية تنتهج نفس المنهج فالمسلمون يتساهلون مع النصراني ويسمحون لهم بممارسة دينهم حسب طقوسهم وتقاليدهم. وقد وصلت الدول ولا سيما الدولة العثمانية إلى نتيجة حسنة بفضل التساهل. فبه تستميل الدولة الرؤساء، والرؤساء قادة الشعب، وكانت قد اتخذت هذه الخطة الدولة

الرومانية التي كانت تتساهل بوجود الأديان في الأجيال الأولى للمسيح. وقد وَصَفَ هذا التساهل المؤرِّخ الشهير «غِبْن» بكلامٍ وجيزٍ مفيد، قال: «إن أنواع العبادات على اختلافها كانت سائدةً في العالم الروماني. وكان الشعبُ يعتقدُها كلها صحيحة. والفلاسفة يعتقدونها كلها خرافية. والحكامُ يعتقدونها كلها نافعةً مفيدة». هذا كلامٌ فيلسوفٍ ومؤرِّخٍ مدقق. وهكذا انتشر التساهلُ وجَلَبَ على الشعبِ ليس السلامَ والراحة فقط بل الائتلافَ الدينيَّ والجامعةَ المدنية، فالحاكمُ هنا رأى في الدياناتِ المختلفةِ شيئاً مفيداً وقال في نفسه: فلندعهم يختلفون ما دام اختلافهم يؤيدُ سلطتنا ويعظمُ شوكتنا ويرفعُ مجدنا.

إن الدولة العثمانية تتساهلُ مع النصارى ولا أظن أحداً منكم يشكُّ في تساهلِ المسلمين مع النصارى ولكن عجباً كيف أن النصارى لا يتساهل بعضهم مع بعض. الآخرون يتساهلون معنا ونحن لا نتساهلُ مع إخواننا في الوطن الواحد ولا نواري اختلافاتنا ولا نتناسى ضغائننا عندَ مصلحةِ أمّتنا. ولربما قال بعض اللاهوتيين: كيف نتساهلُ مع مَنْ لا صحةَ لدينهم ولا حقَّ في معتقدِهم؟ فأقول: إن التساهلَ قائمٌ على الخلاف ولو لم يكنْ ذلك لما تساهلتِ الحكومةُ مع الطوائفِ المخالفةِ لمذهبها. إن الغايةَ القصوى من غاياتِ الحكومةِ المتعددة هي أن تُحاميَ عن كلِّ مبدأٍ صحيحٍ وتكفلَ لكلِّ رجلٍ حريةَ القولِ والفعلِ إذا لم تمسَّ حريةَ غيره.

الله لا يفضلُ أمةً ولا طائفةً على أخرى. الله لم يَظفِرْ له في الأرضِ شعباً خاصاً. ويخطئُ من يفهمُ أن الله اختارَ الإسرائيليين ليعضدهم ويهديهم دون غيرهم. فلو كان هذا هو المفهومُ لبقيت عجائبه فيهم بعد مجيء المسيح أيضاً. ولكن عدلَ الله أرفعُ من أن يحصرَ حكمتَهُ بذرية دون غيرها. ولذلك قال: اذهبوا وبشِّروا كلَّ الأمم. إنَّ مَنْ سارَ حَسَبَ الشرائعِ الطبيعيةِ فَعَمِلَ الخَيْرَ

وابتعدَ عن الشرِّ كما يرشده عقله، ولو لم يتوصل إلى معرفة الدين الحقيقي، فإنه لا يهلك، لأن الله رؤوف ورأفته لا مُتتهى لها. وما الدين التوحيدى إلا دينٌ واحد فكلنا نتحدُّ بعبادة الرب وكلنا نعبدُ إلهاً واحداً.

سابعاً: النواضعُ المعرفية:

وقولُ القائلِ «لا أدري»، خيرٌ من أن يُقالَ له أخطأت. إن السيوطي كتب فصلاً فيمن سُئل من العلماء عن شيء وقال: لا أدري، فذكرَ عدداً من مشاهيرهم كالأصمعي وابنِ دُرَيْدٍ والأخفشِ وأبي حاتمٍ وغيرهم من أهل هذه الطبقة. قال الزعفراني: كنت يوماً بحضرة أبي العباسِ ثعلب فسُئل عن شيء فقال: لا أدري. فقال له بعضٌ من حَضَرَ أنقولَ لا أدري وإليك تُضرب أكبادُ الإبل؟ وإليك الرحلةُ من كلِّ بلد؟ فقال: لو كان لِأُمَّكَ تَمُرٌّ بقدرٍ ما لا أدري لا ستغنت. وسُئل الشعبيُّ عن مسألة فقال: لا أدري. فقيل له: فبأيِّ شيء تأخذ رزقَ السلطان؟ فقال: لأقول فيما لا أدري لا أدري.

فلنتساهل إذن في الدين إذ إننا لا ندري. والذي يدعي المعرفة هو الذي لا يدري. فليبق كلُّ على دينه إذا دلَّه عقله على صحته بعد التنوير الكافي والترفع عن الأهواء. ولا ينتظرنَّ أحدُ رؤية دينٍ واحدٍ مقبولاً عند الجميع كما يرى الحقائق الرياضية والعلمية مثلاً.

ولتجمعنا الوطنية إذا فرّقنا الدينُ والله لا يريد التفريق.

لا تأخذوا كلامي على غير مأخذه ولا تحمّلوه على غير مَحْمَلِهِ وتقولوا: وأسفاه على من لا يعرف الدين الصحيح. فإن قلتُم ذلك فأنا أنشد معكم قائلاً: وأسفاه على العالمِ بأسره ما أكثر الضلال فيه! أصغوا إذا شئتم لأقصد عليكم رؤيا رأيتها ذات ليلة وكنتُ قبل ذهابي إلى الفراش أترصدُ النجوم والكواكب وأستطلع طلعةَ البدر. وقد حدث لي ذلك لما كنتُ في جبل لبنان العزيز الذي

كثرت فيه الخرافات وتعددت بين سكانه البسطاء المذاهب والديانات.
وتتلخص الرؤيا بخصوصيات رجال الدين في السماوات العلى.

ثامناً: إقحام الدين في كل منهم:

لقد أخذ الدين مآكل مآخذ، فنخلطه بكل أشغالنا وننخذه حجة بكل أعمالنا. فالتجارة عندنا دينية، والجمعيات دينية، والنزل دينية، والبقالة دينية... وقس على ذلك. وهذا يعثنا على الانقسام.

فلتناس الديانة في التجارة ولننبد التجارة في الاجتماعات السياسية والأدبية. ولنسجد لرَبنا ونحمده - إذا كان لنا رب غير المال - غير مفترقين إلا في المعابد. وإني لأعجب من التناقض الذي يخالط أعمالنا وعقائدنا. فمن وجه نقول: إن الدين هبط من وراء الغيوم وهو مقدس، ومن وجه آخر نستعمل الدين لتنفيذ مآربنا الدنيئة فنسلب منه القداسة وننزغ عنه الاحترام بإدخالنا إياه في الدوائر المدنية من سياسية وتجارية.

هل أوحى الدين ليقينا من الفاقة ويكفل لنا المسرة واللذة في هذا العالم؟
هل أوحى الدين لتنخذه عضداً لنا بتحقيق أمانينا الزمنية التي لا حد لها؟
هل أوحى الدين ليساعدنا على الجشع والطمع والتحامل على أبناء جنسنا والإزراء بهم؟

هل أوحى الدين ليكون سبباً للخصام والشقاق والقتال؟
هل أوحى الدين لتسلح به فئة من الناس على فئة وتسله سيفاً على كل من لا يقر بالسلطة لها؟

هل أوحى الدين لتأسيس الدواوين التفتيشية التي تألفت في روما وإسبانيا وأزعبت العالم بظلمها وجرائمها الفظيعة؟

هل وجد الدين لبعضهم وسيلة لإفساد الهيئة البشرية؟

لو نظرَ اللهُ كما ينظرُ البشرُ إلى نتيجةِ وحيه لما كَلَّمَ الأنبياءَ. ولو نظرَ إلى أن عاقبةَ الدينِ الذي أنزله ستكونُ الاضطهادَ والطرْدَ والحروبَ لكان أبقاه عنده في السماء ولكن الله أعلم.

الدينُ إما موحىٌ وإما غيرُ موحىٍ. إما مُقدسٌ وإما غيرُ مقدسٍ. فإذا كان موحىً ومقدساً فلا يحقُّ لنا أن نتخذَه وسيلةً لتحسينِ أشغالنا التجارية، وتنفيذِ غاياتنا الشخصية، فنلحقُ بأمتنا الضررَ الجسيم. إذ نكونُ حَجَرَ عَثْرَةٍ في سبيلِ الجامعةِ التي يجبُ أن تجمعنا كسوريين والتي نحنُ بحاجةٍ كَلِيَّةٍ إليها الآن. أما إذا كان الدينُ غيرَ موحىٍ وغيرَ مقدسٍ فأرى، من قبيلِ الحكمة، ألاّ نتمسكَ إلاّ بالجيدِ منه ونَبذَ الباقيَ ظهرياً نَبذَ النواة. لكن الدينَ مقدس، ولذلك يُقدِّمُ له الشعبُ الاحترام.

لماذا نستخفُّ بالدينِ ونتخذُه ألعوبةً نتلهَّى بها في الشوارعِ والحوانيت؟ نحنُ بإخراجنا الدينَ من الكنائسِ لغايةٍ عالميةٍ نُردُّله ونُجذِّفُ عليه. ومن التعصبِ الممقوتِ أن نميزَ كلَّ حانوتٍ وكلَّ بيتٍ تجارةٍ وكلَّ جمعيةٍ بدينٍ مخصوصٍ فنقول: هذا التاجرُ ماروني. وذاك الطيبُ أرثوذكسي. ما هذه الحالة التي وصلنا إليها؟ أينقضنا شيءٌ إلا أن نضيفَ إلى أسمائنا أسماء طوائفنا ونقول: زيد الماروني وعُمَر الأرثوذكسي والتجار البروتستانت. لكن أيُّ من هؤلاء التجار المستقيمين يبيعُ سلعةً وسُبْحَهُ ودبايسه لِقديسينا المكْرَمين؟ أيتعاملُ التاجرُ الأرثوذكسيُّ مع مار متري؟ أيتعاملُ المارونيُّ مع مار مارون؟ وعندنا الجرائد المارونية، والجرائد الأرثوذكسية، بل عندنا المطاعم المارونية، والمطاعم الأرثوذكسية. فأَيُّ منها نزل طعامها من السماء؟ وهل يريد القديسون أن نُمجِّدهم بالكبَّةِ والهريسة والمُجَدَّرَة؟ عندنا الجمعياتُ الخيريةُ المارونيةُ والأرثوذكسيةُ والكاثوليكيةُ وما ضرَّهم لو كانت كلُّها جمعيةً واحدة - جمعية خيرية سورية؟

ونارٌ إن نفختَ بها أضاءتْ ولكن أنتَ تنفخُ في رمادِ
لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياة لمن تُنادي

وهذه الحالة تُعتورُ كلَّ أشغالنا وجرَفنا.

تاسعاً: متى نزلُ الشِّقاقاتُ الدينيةُ ويُداسُ التعصبُ نحتَ نعالِ المدنية؟

متى نؤلِّفُ جمعيةَ التساهل، ونبني كنيسةَ التساهل، ونُشيِّدُ مدرسةَ التساهل، ونؤسسُ جريدةَ التساهل، ونفتَحُ نُزُلَ التساهل، وتَصيرُ أعمالنا كُلُّها تساهلاً بتساهل؟ متى تشملنا هذه الحالةُ السعيدة؟

أقترحُ على جرائدنا العربية، في الثغرِ خصوصاً وفي العالمِ العربيِّ عموماً - إذا كان صوتي هذا الضعيفُ يصلُ إليهم - أن تنشرَ إعلاناً بأحرفٍ ضخمةٍ كبيرة عن التساهلِ الديني وأنه يُعطى بلا ثمن.

ومن أرادَ أن يَقتنيه ويعملَ به فليقرعْ بابَ ضميره فهو البائعُ وهو الشاري، وهو الواهبُ وهو الموهوب.

التساهلُ أيها الشيوخُ الأجلَاء، التساهلُ أيها الشُّبانُ الناهضون، التساهلُ أيها الصَّحفيون والأطباءُ والتجار، التساهلُ أيها السوريون الأحباء. التساهلُ! لو كان لي ألفُ لسانٍ وتكلمتُ من الآنَ إلى يومِ الدينِ لما عييتُ من تردادِ هذه اللفظةِ العذبةِ السهلةِ اللطيفة. لفظةُ كَرِهتُها القرونُ الوسطى وكَلِفَ بها القرنُ التاسعَ عَشْرَ. لفظةُ عززتها الجمهوريةُ في هذا الجيل. لفظةُ انفتحت لها قلوبُ المتمدينِ المخلصينَ لأبناءِ جنسِهِم وتأهلت بها الضمائرُ الحرةُ والعقولُ الصحيحة.

لفظةُ طيبَ شذاها يملأُ الفضاءَ وذكاءَ عَرَفها يُنعشُ الصدور. هي أحسنُ وألطفُ وأبدعُ وأجملُ وأرفعُ وأسهلُ لفظةً في معاجمِ اللغة.

التساهلُ هو أساسُ التمدنِ الحديثِ وحجرُ زاويةِ الجامعةِ المدنية.

التساهلُ شدَّدَ عزمَ الأحرارِ فبرزت من عقولِهِم أسمى الأفكار.

التساهلُ أوجدَ الترقِّيَ والتقدُّمَ في كلِّ فروعِ العلمِ والدينِ والفلسفةِ.
التساهلُ أيَّدَ سلطةَ الضميرِ ومَحَقَّ السلطةَ التي لم يُنزلِ اللهُ بها من سلطان.
التساهلُ أعطى كلَّ امرئٍ حَقَّهُ فتمتَّعَ به ومارسَهُ بحُرِّيَّةٍ واستقلال.
التساهلُ وَضَعَ حدًّا للاضطهاداتِ الفظيعة، وكَسَرَ السيفَ الذي
استعملتهُ الدولُ لاستئصالِ شأفةٍ مَنْ خالفها بالمذهب.
التساهلُ جعلَ كلَّ رجلٍ صحيحِ العقلِ والجسمِ أهلاً للوظائفِ في
الدولةِ وأهلاً للانتخاب.

التساهلُ قالَ للكنيسة: أنتِ سلطانةٌ وقالَ للإنسان: أنتِ أيضاً سلطان
بذاتك. وكلُّ له حدود، وأينما وُجِدَتِ الحدودُ كانتِ الحقوقُ وأصبحَ الأمرُ
الخارجُ عنها ظلماً.

التساهلُ يزيدُ الإنسانَ غبطةً وسعادةً ونجاحاً في الحياة الدنيا ولا يَضيِّرُهُ
في الآخرة.

التساهلُ هو الطريقُ الوحيدُ الذي مِنْ تحتهِ تَجري الأنهارُ وعن يمينه
ويساره الأشجار. طريقٌ يَدِرُّ لبناً وعسلاً. طريقٌ مُستوٍ مُستقيم لا يَميلُ بنا عن
رَوْضِ السماء.

عاشراً: التساهلُ في الكتبِ السماوية:

التساهلُ معنَى أصيلٌ لا ينكرهُ الإنجيلُ ولا القرآن.
«من لَطَمَكَ على خَدِّكَ الأيمنِ فحوِّلْ له الأيسر. من أرادَ أن يُخاصِمَكَ ويأخذَ
ثوبَكَ فدَعْ له رداءَكَ أيضاً. من سَخَّرَكَ ميلاً فسيرْ معه اثنين» (متى ٦٥ و ٤٠ و ٤١).
«إن الله لا يُحابي بالوجوه فكلُّ رَجُلٍ من أيِّ أمةٍ كان يصنعُ الخيرَ ويكرهُ
الشر فهو مقبولٌ عند الله». (بطرس الرسول).

«افعلوا بالغيرِ ما تريدون أن يفعلهُ الغيرُ بِكُمْ» وهذه الآية مُنزلة. هي

الآية الذهبية الفلسفية. هي كل الدين وكل الأدب وكل الشريعة وكل العدل وكل الفضيلة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
[البقرة: ٦٢].

﴿مَنْ ءَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

من أسلم وجهه لله وهو محسن (ما قال وهو مسلم أو مسيحي) فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ما أجمل هذه الآية القرآنية وما أشرف تلك الآية الإنجيلية التي مر ذكرها.

إن هاتين الآيتين ذهبتان عظيمتان. إنني أحبكم كل الكتب المقدسة بهاتين الآيتين.

﴿أَدْفَعِ بِلَاتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦] أليس هذا هو التساهل؟!
﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] أفني هذه
شيء من التعصب؟

التساهل هو الطريق وهو الحق وهو الحياة وهو روح الله. هو أول درجة في سلم العمران وآخرها. هو الألف وهو الياء.
التساهل هو الباب. ومن يدخل فيه لا يهلك. فلندخل فلندخل!

حادبي عشر: تذييل

كانت هذه أول خطبة للريحاني بالعربية وقد انتشرت في سورية ومصر - وأمريكا وقَرَّظَها مختلفُ الجرائدِ والمجلاتِ.

وقد طُبعت في نيويورك في أيار ١٩٠١ وقَدِّمَ لها بما يلي: طُبعت هذه

الخطبة لاعتقادي أننا بحاجة كُلية إلى التساهل الديني فأملّي أن تُصادفَ من المتساهلين استحساناً ومن المتعصبين قبولاً تكون نتيجةُ الارتياح والاستحسان على ما أرجو، فيزولَ إذ ذاك التعصبُ ويسودَ التساهلُ ويبرزَ بعد ذلك شعبنا السوري إلى عالم الوجود قائماً على صخرة لا تقوى عليها نيران الجحيم.

وطُبعت ثانيةً في بيروت في نيسان ١٩١٠ فقدم لها بما يلي: عشرُ سنواتٍ مضت والتساهلُ الديني لا يزالُ من الأدوية الناجعة. وفي ذلك دليلٌ على أن داء التعصبِ الدفين لا يزالُ متأصلاً في الصدور. وقد قال لي أحدُ كبار الاتحاديين: إنَّ الجمعيةَ تودُّ لو انتشرت هذه الخطبةُ في كلِّ أقطارِ المملكة. فلتكرمِ الجمعيةُ وتُرجمها إلى التركية. أبدلوا بالشعب السوري في الخطبةِ الشعبَ التركي ولا تخشوا اللومَ والتَّشريب. فإنَّ عناصرَ هذه الدولة، كلَّها كالعنصرِ الذي عالجتُهُ. وإن ما يئنُّ منه المسيحيون لأشدُّ وطأةً عند المسلمين. أيسقُمنا التعصبُ ويُجهزُ علينا التَّمويه؟ إتقوا الله أيها الناس. فقد صاحَ بِكُمْ الأحرارُ الأصفياء «عودوا إلى كُتُبِكُمْ» ظناً منهم أنكم تعودون إلى الحَسَنِ السَّمحِ السامي من آياتها. فخابَ ظنُّهم. لذلك أقول ارفعوا أعلامَ الوطن ولا تعودوا إلى كُتُبِكُمْ في غير المعابدِ لأنكم نَعَوَدْتُمْ أن تُسرعوا إلى ما حُطَّ فيها من آياتٍ فتفسرُونه بما لا يقتضيه حالنا اليوم بل ما لا يُجيزه!

عودوا إلى ضميركم، إلى حكمةٍ موروثيةٍ فيكم، وساعدوا هذه الدولة الجديدة فتساعدكم. ساعدوها أيها الرؤساءُ والأسيادُ في بثِّ روحِ التساهلِ الديني والقومي في الناس. وسيفٌ يُرفعُ عَلَيَّ، شرٌّ من سيفٍ أرفعهُ على إخوان لي في الوطنية. وشرُّ الاثنين أيها العثمانيون سيفٌ يُرفعُ علينا أجمعين.

وقدَّم للطبعة الثالثة بالكلمة التالية مؤرخة كما يلي الفريكة ٣١ أيار ١٩٢٣.

والسيفُ اليومَ وأسفاه! علينا أجمعين. إلا أن صاحبَ السيفِ غيرُ ذاك

الذي حاولَ قبلَ خمسَ عَشْرَةَ سنةً تَثْبِيكَنَا واستعبادَنَا. صاحبُ السيفِ اليومَ مهما كانَ من أمرِهِ وكيلٌ مسؤولٌ - مسؤولٌ أمامَ شرفِ في تقاليدِهِ. ومَجْدٍ في تاريخِهِ. ونبوغٌ في آدابه. ومع ذلكَ فهو لا يُساعدنا إذا كُننا لا نساعدُ أنفسنا، أو لا نُحسِنُ التعاونَ.

والتعاونُ لا يكونُ بغيرِ سيفٍ بَثَّارٍ نَسْتَلُّهُ على التعصبِ الخبيثِ الذمِيمِ، التعصبِ الفظيعِ الأثيمِ. بل على التعصباتِ كُلِّها جَمْعاء. على التعصبِ الديني الكافرِ، والتعصبِ المذهبيِّ الفاجرِ، والتعصبِ العنصريِّ الخَوُونِ. وإن سيفاً على هذه المآثمِ كُلِّها لهُوَ آيَةُ الحقِّ والعدلِ والإخاءِ.

أقولُ - وَحَقًّا ما أقولُ - : إن الخِلاصَ في يَدِنَا. في التساهلِ الدينيِّ، وفي الاتحادِ الوطنيِّ المَبْنِيِّ على الاشتراكِ بالمصلحةِ والاشتراكِ بالرَّزِيَّةِ. أقولُ، وَحَقًّا أقولُ، إن في اتحادنا مصلحةً راعي الانتدابِ ومصْلِحَتنا. أَجَلُ إن اتحادنا الوطنيِّ المَجْرَدَ عن كلِّ صِبْغَةٍ مذهبيَّةٍ أو طائفيةٍ لِيَحْمِلُ الانتدابَ على احترامنا واحترامِ مطالبنا. فيفيدُ إذ ذاكَ وَيَسْتفيدُ.

ثاني عشر: تعليق ختامي:

لقد وافى الريحانيُّ الأجلُ، ومضى أربعةَ عَشْرَ ومئةَ عامٍ على حُطْبَتِهِ هذه «التساهلِ الدينيِّ» وما زلنا في أشدِّ الحاجةِ إلى مضمونها.

فالتعصبُ اليومَ يُعمي بصيرتنا، وَيُصِمُّ آذاننا، وَيُفَطِّرُ قلوبنا.

فالتعصبُ اليومَ ليسَ أقلَّ مما كانَ عليه في القرنِ الماضي.

التعصبُ اليومَ يُمَرِّقنا، يُدْمِينا، يُبْكينا.

وليسَ شيءٌ أنجَعُ من دواءِ التساهلِ لهذا السرطانِ الاجتماعيِّ السياسيِّ الخبيثِ.

وإننا لتتخيلُ الريحانيِّ، لو كانَ حيًّا، لَحَمَلَ على التعصبِ في هذه

الأيام... أشدَّ مما حَمَلَ عليه في الماضي.

أبناءُ جمعيةٍ وثقافية

من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ والأساليب (*)

(٩٣)

أسفر عنه

١ - المسألة:

يشيع في الاستعمال قولهم: «أسفرت المحادثات عن نتائج إيجابية» ونحوه، يريدون: تكشفت المحادثات عن نتائج حسنة، ويخطئها بعضهم لأن الفعل (أسفر) لا يتعدى بـ (عن)، والصواب عندهم: «تكشفت المحادثات عن نتائج، أو أدت إلى نتائج».

٢ - الاقتراح:

جواز قولهم: «أسفرت المحادثات عن نتائج» ونحوه، بمعنى تكشفت عن نتائج، أو أدت إلى نتائج.

٣ - التعليل: أ- في المعاجم:

• اللسان: «سَفَرَ سَفْرًا وأصله الكشف. سَفَرَ الصبح وأسفر: أضاء.

وإذا أَلقت المرأة نقابها قيل: سَفرت فهي سافِرٌ وسافرة».

(*) هذه قرارات مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق، وهي قابلة للتعديل في مؤتمر المجمع. (يرجى مَن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).

- التاج: «سفرَ الصبح يسفر بالكسر سُفراً: أضاء وأشرق كأسفر».
 - وأنكر الأصمعي (أسفر).. الإسفار يختص باللون نحو: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٤]، أي أشرق لونه، و﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨] أي مشرقة ومضيئة.
 - الوسيط: «سفرَ سفوراً: وضح وانكشف، يقال: سفرَ الصبح وأسفرَ وجهه، وأسفر الصبح إذا انكشف».
- ويظهر من هذا أن لا خلاف في دلالة (أسفر) على الوضوح والتكشُّف، وأنه لم يرد متعدياً بالحرف (عن).

ب- في النحو:

- ١- يمكن حمل (أسفر) على فعل (كشف) الذي هو بمعناه وهو متعدِّب (عن)، جاء في الوسيط: «كشف الشيء وعنه: رفع عنه ما يواريه ويغطيه» وشروط التضمين متحققة هنا.
- ٢- أورد ابن سيده بيتاً للفرزدق وفيه الفعل (أسفر) مُتَعَدِّب (عن). وذلك قوله في ديوانه: ١٢:

دَعَرْتُ بِهَا سِرْبًا نَقِيًّا كَأَنَّهُ نَجُومُ الثَّرِيَا أَسْفَرَتْ عَنْ عَمَائِهَا
ولكن هذا البيت ورد في ديوانه طبعة دار الكتب العلمية بعبارة: «من عمائها»، وحتى إذا ورد بـ (من)، فإن من المعروف أن (من) ترادف (عن) كما في قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّوْنَا قَدَكُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧]، ذكره ابن هشام في المغني: ٤٢٣.

ج- في الاستئناس:

- قال ابن سيده: (موسوعة الشعر العربي) يومٌ عرفت فيه من هواك إذ أسفرت عن وجهها نواك

- قال محيي الدين بن عربي ما تناقلته كتب التراجم عنه: (الوافي بالوفيات للصفدي ١/ ٥١٢):
- إذ أسفرت عن محياها أرتك سنًا مثل الغزالة إشراقاً بلا عثر
- وقال مهيار الديلمي: (ديوانه ١/ ٥٣)
- إذا أسفرت ساعاته تحت نعه عن الموت ظلّت شمسه تتنّب
- وقال ابن زريق البغدادي: (ديوانه: ١٢)
- ولنا عن شقيقه أنت أسفرت أم الجلنار تحت النقاب
- وقال البوصيري:
- ومحيًا كالشمس منك مضيء أسفرت عنه ليلة غراء
- وقال بديع الزمان الهمذاني في المقامة الناجمية: (مقامات بديع الزمان ٢٠٤):
- إذا المكارم أسفرت عن أوجه بيض وكان الخال في وجناتها
- وجاء في رسائل الثعالبي:
- «وكأنني بأسفارك أسفرت عن محطّ الرحل رحيباً».
- وجاء في مروج الذهب للمسعودي ٢/ ١٤٢: «كلما بصرت بي أسفرت عن وجهها».
- وجاء في تاريخ أبي يعلى للقلاسي ١/ ١٥٦: «..مخاطبات أسفرت عن المهادنة والمراوغة».
- وجاء في نهاية الأرب للنويري ١/ ٢٥٨: «فلما أسفرت عن وجهها رآها فوها».
- وقال العكوك علي بن جبلة (٢١٣هـ): (نصرة الشاعر للصفدي ١/ ٩٢)

كأن سموا النقع والبيض حولَه سماوة ليل أسفرت عن كواكب
العضو: د. ممدوح خسارة

٥- قرار اللجنة:

جواز قولهم: «أسفرَ عن الشيء» بمعنى تكشَّفَ وتوضَّحَ.

* * *

(٩٤)

شغل الدارَ وأشغَلَهَا

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة «أشغل الدار»، والصواب عنده: «شغل الدار» لأن
المعاجم لم تورد الفعل (أشغل) المزيد لهذه الدلالة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «أشغل الدار» ونحوه بمعنى سكنها.

٣- التعليل: أ- جاء في المعاجم:

- اللسان: «وقد شغله يَشغله شَغلاً وشُغلاً وأشغله واشتغل به وشُغِلَ به وأنا شاغلٌ له. وقيل: لا يقال أشغلته لأنها لغة رديئة» / شغل.
- القاموس المحيط: «وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة» / شغل.
- تاج العروس: «شغل الدار: سكنها.. وشغل فلاناً: لهَّاه وصرَفَه» / شغل.

ب- في المسموع: نسب إلى الشافعي قوله:

المرء إن كان عاقلاً ورِعاً أشغله عن عيوب غيره ورِعُه
كما السقيم العليل أشغله عن وجع الناس كلهم وجعُه

فالواضح أن ما ورد هو (شغلَ الدار) بمعنى سكنها. و(أشغله وجعه) بمعنى لهَّاه وصرَّفه. ولم ترد (أشغل الدار) بمعنى سكنها. ولكن قواعد العربية تجيز أن يأتي (أفعل) بمعنى (فعل)، فإذا صحَّ (شغلَ الدار) صحَّ (أشغل الدار) بالمعنى نفسه بدليل:

- قول سيوييه في (الكتاب) ٢/٢٣٦: «وقد يجيء (فعلتُ وأفعلتُ) المعنى فيهما واحد إلا أن اللغتين اختلفتا».
- ورد في العربية أفعال كثيرة أتى فيها (فعل) و(أفعل) بمعنى واحد مثل: جدَّ في الأمر وأجدَّ. حزنه الأمر وأحزنه. بدأ الله الخلق وأبدأه.
- ومما يستأنس به ورود مثل هذه العبارة في مطلع القرن العاشر الهجري. جاء في (البحر الرائق شرح كنز الدقائق) لابن نجيم الحنفي (٩٢٠هـ):

- «أشغلَ أحدهما نصيبه» ١٩/١٤١.

- «أشغلَ ظرفَ غيره بطعامه» ٣/٤٦٦..

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: «أشغل الدار» ونحوه بمعنى سكنها.

* * *

(٩٥)

انظلي

١- المسألة:

تشيع في الكتابات الأدبية عبارات من مثل: «انطلت عليه الحيلة» و«انطلت عليه الكذبة» بمعنى جازت، ويخطئها بعضهم لأنه لم يرد للفعل (طل) هذه الدلالة في المعاجم.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «انطلت عليه الحيلة أو الكذبة» بمعنى جازت على أنها استعمال مجازي.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- جاء في التاج: «طلّى البعير يطليه ويطلي به: لَطَخَهُ به ، اَطَّلَى به وتَطَلَّى .. طلى الليلُ الآفاق: غَشَّاهَا كما يُطَلَّى البعير بالقطران. أمرٌ مَطْلِيٌّ: مُشْكِلٌ مظلم كأنه طلي بما لبَّسه».
- وجاء في الوسيط: «طلّى الشيءَ بكذا: دهنه بما يستره.. اَطَّلَى بكذا: ادَّهَنَ به. المَطْلِيُّ: المشكِلُ المظلم».

ب- في الصرف:

يستنتج من هذا أن المطاوع من (طلّى) هو (اَطَّلَى) على وزن (افتعل) بمعنى ادَّهَنَ. فإذا ورد (افتعل) مطاوعاً من (طلّى) جاز قبول (انفعل) للمطاوعة أيضاً. يقول الرضي في (شرح الشافية) ١/ ١٠٨: «باب (انفعل) لا يكون إلا لازماً، وهو في الأغلب مطاوع (فَعَلَ) بشرط أن يكون فعلاً علاجاً، أي من الأفعال الظاهرة لأن هذا الباب موضوع للمطاوعة، وهو قبول الأثر، وذلك فيما يظهر للعيون كالكسر والقطع والجذب.. فلا يقال علمته فانعلم ولا فهمته فانفهم». وهذا يفيد أنه يمكن أن يقبل (انفعل) من (طلّى) لأن الفعل هنا علاجي. ومع أن أفعال المطاوعة لا تنقاس ولا تطرد في كل موضع. (شرح الشافية ١/ ١٠٨) غير أن سيبويه قال في ٢/ ٢٤١: «الباب في المطاوعة انفعل، وافتعل قليل» فعندما نقول (انطلى) بدل (اَطَّلَى) كأننا عدنا بالفعل المطاوع إلى القياس، فيكون له مطاوعان مثل فعل (اشتوى وانشوى) بمعنى واحد كما في التاج. واستعمل اللسان (انجمع)

مطواعاً لـ (جمع) مع أن المسموع هو (اجتمع) وذلك قوله: «انجاب السحاب أي انجمع وتقبَّضَ» اللسان/ جوب.

ج- في الدلالة:

يمكن تسويغ العبارة على أنها تعبير مجازي، فكأن الحيلة ادهنت به أو لصقت به أو تلبَّسته.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: «انطلت عليه الحيلة أو الكذبة» بمعنى جازت، وإضافة دلالة الفعل (انطلى) إلى المعجم.

* * *

(٩٦)

اعتبر الأمر صحيحاً

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال قولهم: «اعتبر الأمر صحيحاً»، بمعنى عدّه، ويخطئه بعضهم لأنه ليس للفعل (اعتبر) هذه الدلالة في المعاجم القديمة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «اعتبر الأمر صحيحاً»، بمعنى عدّه كذلك.

٣- التعليل: جاء في المعاجم:

- لسان العرب: «عَبَرَ المتاع والدرهم يَعْبُرُها: نظرَ كم وزنها وما هي.. وعَبَرَ الرؤيا: فسَّرَها.. والمُعْتَبِرُ: المُسْتَدِلُّ بالشئ على الشئ».
- ويفهم من هذا أن (عَبَرَ) فيه معنى التقدير والحساب.

- المصباح المنير: «والاعتبار بمعنى الاعتداد بالشيء في ترتب الحكم» ٣٩٠ / ٢، ومثله في الكليات للكفوي ٢٣٥ / ١.
- الوسيط: «اعتبر فلاناً عالماً: عدّه عالماً وعامله معاملة العالم (مو)». ووضح أن المصباح المنير والكليات والوسيط تواطأت على إيراد (اعتبر) بمعنى (عدّ).

العضو: د. ممدوح خسارة

٤ - قرار اللجنة:

جواز قولهم: «اعتبر الأمر صحيحاً»، بمعنى عدّه كذلك.

* * *

(٩٧)

عَبِيط، وَاسْتَعْبَطَ

١ - المسألة:

يشيع في الاستعمال في بعض البلاد العربية قولهم: (عَبِيط) بمعنى مغفل، و(استعبطه) بمعنى استغفله. ويخطئه بعضهم لأن المعاجم القديمة لم تنص على هذه الدلالة.

٢ - الاقتراح:

جواز قولهم: (عَبِيط) بمعنى أبله أو مغفل، و«استعبطه» بمعنى استغفله أو عدّه أبله.

٣ - التعليل: ورد في المعاجم:

- اللسان: «اللحم العَبِيط: الطري غير النضيج.. والعَبِط الريبة.. وثوبٌ عبيط: مشقوق.. والعابط: الكذاب».

• الوسيط: «لحمٌ عبيط: طريٌّ غير ناضج.. ورجلٌ عبيط: أبله غير ناضج (محدثة) والعباطة: البله وعدم النضج».

وعلى ما تقدم فقد صرح الوسيط بدلالاتها المحدثة تعبيراً مجازياً من المعنى القديم.

وإذا صحَّ (عبيط والعباطة) بمعنى الأبله والبله، صحَّ الاشتقاق منهما بأن يقال: (استعبطه) إذا عدّه عبيطاً أي أبله ومغفلاً.

ومما يُستأنس به: قرار مجمع القاهرة بقبولها في الألفاظ والأساليب ٣/ ١١٢.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: (عبيط) بمعنى أبله، و (عباطة) بمعنى بله، و (استعبطه) بمعنى استغفله أو عدّه أبله.

* * *

(٩٨)

عكس وانعكس وانعكاس

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال المعاصر الفعل (عكس) بمعنى ردّ وأرجع، كما في قولهم: «عكست المرأة الصورة» أو بمعنى (مثل) كما في قولهم: «عكست الصحيفة رأي الحكومة»، كما يشيع استعمال فعله المزيد (انعكس) مطاوعاً له وبمعنى (ارتدّ وتمثّل) كما في قولهم: «انعكست الإصلاحات خيراً على الجميع». ولم ترد هذه الدلالات في المعاجم القديمة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «عكسَ وانعكسَ وانعكاس» بمعنى ردَّ الصورة وارتدَّ وارتداد ونحوها، وبمعنى صوَّر ومثَّل.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- اللسان: «عكسَ الشيء يعكسه عكساً فانعكسَ: ردَّ آخره على أوله».
- التاج: «العكسُ: ردُّ الشيء على أوله».
- الوسيط: «عكسَ على فلان أمره: ردَّه عليه. عكست المرأة المنظر: أرته على صفحتها (مو)».

ب- في الكتب العلمية التراثية:

- جاء في كتاب المناظر لابن الهيثم (٤٢٩هـ): «يتبين أن الضوء الذي انعكس على المرأة هو الضوء الثاني...» المناظر / ٣٤٠ وجاء: «الضوء إذا لقي جسمًا صقيلاً فهو يُنعكس عنه» المناظر / ١٢٦.
- وورد في أصول السرخسي (محمد بن أحمد ٤٩٠هـ): «وكذلك عكسُ الماءِ نورَ الشمسِ، فإنه يردُّ نورها» «وتفسير العكس لغة هو ردُّ الشيء على سننه، مأخوذ من عكس المرأة، فإن نورها يردُّ بصرَ الناظر فيما وراءه». أصول السرخسي ٢ / ٢٤١.

ج- في الدلالة:

ما دام معنى الفعل (عكسَ) هو (ردَّ)، والعكس هو الرد فلا شيء يمنع من قولهم: «عكست المرأة الصورة» بمعنى ردَّتها وأظهرتها كما هي، كما لا يمتنع قولهم: «عكست الصحيفة رأي الحكومة» بمعنى أظهرته ومثَّله ورددته كما تردُّ المرأة الصورة وترجعها للناظر. فإذا صحت دلالة (عكس) بالمعاني المذكورة صحت دلالة (انعكس) بمعنى (ارتدَّ أو ظهرت صورته أو تمثَّل..)

وكذا مصدره الانعكاس، كأن يقال: «كانت الهزيمة انعكاساً لواقع الضعف». على أن هذا لا يمنع أن يستعمل الكاتب مرادفات آخر كأن يقول: «انخفضت نسبة المشتغلين بالتشييد وهو قطاع يبين أو يظهر أو يبرز حالة الاستقرار أو التوتر» بدلاً من أن يقول: «وهو قطاع يعكس حالة...».

د- في الاستئناس:

أجازها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب ٢/ ٢٨٦.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: «عَكَسَ وانعكسَ وانعكاس» بمعنى ردَّ الصورة وارتدَّ وارتداد ونحوها، بمعنى صَوَّرَ ومثَّلَ.

* * *

(٩٩)

افتراض الواقعة صحيحةً

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال قولهم: «افتراض الواقعة صحيحةً» بمعنى قدَّر أن الواقعة صحيحة وعدَّها كذلك. ويخطئ بعضهم هذا الاستعمال لأنه ليس للفعل (افتراض) هذه الدلالة في المعاجم القديمة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «افتراض الواقعة صحيحةً» ونحوها بمعنى عدَّها كذلك.

٣- التعليل: جاء في المعاجم:

• اللسان: «فرضت الشيءَ أو جُتُّه.. وافترضه كفرضه وافترض

أوجب.. وفي حديث الزكاة: هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ، وقيل: الفرض هنا بمعنى التقدير، أي قدر صدقة كل شيء وبينها عن أمر الله تعالى».

• الوسيط: «فرض له العطاء: قدر له نصيباً، وفرض القاضي فريضة قدرها وأوجبها.. وافترض الشيء: فرضه. وافترض الباحث: اتخذ فرضاً ليصل إلى حل مسألة، والفرض: فكرة يؤخذ بها في البرهنة على قضية أو حل مسألة».

ويستنتج مما سبق أن افترض بمعنى فرض، وأن فرض من معانيها قدر واتخذ فكرة ليبرهن بها على قضية. وعلى هذا يصبح معنى العبارة: قدر الواقعة صحيحةً أو اتخذ فكرة يفيد منها في البرهنة على شيء وهذا هو المقصود تماماً.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤ - قرار اللجنة:

جواز قولهم: «افترض الأمر صحيحاً» بمعنى قدره وعده كذلك.

* * *

المحاضرات والندوات

أ- المحاضرات التي أقيمت في المجمع

عام ٢٠١٦ م

تاريخ الإلقاء	عنوان المحاضرة	المحاضر
٢ / ٢٤	الوسطية والاعتدال في الفكر العربي	د. أنور الخطيب
	المغناطيسية الأرضية	د. جمال أبو ديب
٤ / ٢٧	أصلها وتأثيرها على الحياة	
٥ / ٢٥	النهوض بدور العربية الفصيحة تربويًا	د. مهدي العش
	المجتمع الشامي بين الأمس واليوم	د. صادق فرعون
٦ / ٢٩	(انطباعات شخصية)	
٩ / ٢٨	أثر اللسانيات في الدرس اللغوي الحديث	د. أحمد قدور
١٠ / ٢٦	هل يمكن تحويل الخصائص الوراثية للإنسان؟	د. هاني رزق
١١ / ٣٠	طبيعة العصر والمحتوى الرقمي العربي	د. محمود السيد
	الآيات وأولو النهي	د. عيسى العاكوب
١٢ / ٢٨	البلاغة القرآنية والعقل العربي	

* * *

ب- الندوات التي عقدت عام ٢٠١٦م

١- عنوان الندوة: **اليوم العالمي للغة العربية** بتاريخ ١/٢٠

المحاضرات التي أقيمت فيها:

المحاضر	عنوان المحاضرة
للدكتور مروان المحاسني	- كلمة افتتاحية
للدكتور محمود السيد	- عالمية اللغة العربية
للدكتور موفق دعبول	- اللغة العربية والعلوم

٢- عنوان الندوة: **يوم اللغة الأم ويوم اللغة العربية** بتاريخ ٣/٢

المحاضرات التي أقيمت فيها:

المحاضر	عنوان المحاضرة
للدكتور ممدوح خسارة	- يوم اللغة الأم
للدكتور عبد الناصر عساف	- يوم اللغة العربية

٣- عنوان الندوة: **يوم المخطوط العربي** بتاريخ ٦/١

المحاضرات التي أقيمت فيها:

المحاضر	عنوان المحاضرة
للدكتور مروان المحاسني	- كلمة افتتاحية
للدكتور عبد الإله نبهان	- واقع المخطوطات العربية وتوجهاتها المستقبلية
للدكتور مصطفى الموالي	- إنجازات معهد التراث العلمي العربي في مجال المخطوطات
للأستاذ مأمون الصاغرجي	- إنجازات مجمع اللغة العربية في مجال المخطوطات

إصدارات المجمع عام ٢٠١٦م

- د. حكمة هاشم: تأليف: د. محمود أحمد السيد.
- أ. متري قندلفت: تأليف: أ. أيهم بطحوش.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، المجلد ١٨: تحقيق: أ. محمد أديب الجادر.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، المجلد ٢٢: تحقيق: أ. عدنان الخطيب.
- مجلة مجمع اللغة العربية: المجلد ٨٨.

* * *

**الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الرابع من عام ٢٠١٦م**

أ. أنور درويش^(*)

أ - الكتب العربية

- ١ - أسئلة اللغة: عبد القادر الفاسي الفهري، عبد الرزاق تورابي ، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، الرباط، ٢٠٠٢.
- ٢ - استراتيجية نشر الثقافة العلمية والتقانية في الوطن العربي: إدارة العلوم والبحث العلمي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠٠٦.
- ٣ - الإصلاح الاقتصادي والتنمية البشرية: مصطفى العبد الله الكفري ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.
- ٤ - الأمير: نيقولا ماكيافيلي؛ تعريب: محمد لطفي جمعة، مؤسسة النوري، القاهرة، دمشق، ١٩٩٠.
- ٥ - تحدي العولمة: ناهد طلاس العجة ، ترجمة: محمد صاصيلا، تقديم: مصطفى طلاس، دار طلاس، دمشق، ٢٠٠٨.

(*) أمين المكتبة العربية في المجمع.

- ٦- التعليم العالي والبحث العلمي لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين: منير حسن نايفة، سعد الدين عكاشة، طه النعيمي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٩.
- ٧- الثورات العقلانية: ألبير بايه، ترجمة: عادل العوا، دار شمأل، دمشق، ١٩٩٦.
- ٨- حالة ما بعد الحداثة: بحث في أصول التعبير الثقافي: ديفيد هارفي، ترجمة: محمد شيا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥.
- ٩- الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ: سالم حميش، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨.
- ١٠- دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها: جورج كانغيلام، ترجمة: محمد بن ساسي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧.
- ١١- دراسات في الترجمة الآلية: تحرير: عبد الرزاق عبد الوهاب العاني، محمود إسماعيل صيني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٦.
- ١٢- دليل إعداد وتنفيذ المشروعات البحثية التعاقدية: أكاديمية البحث العلمي، مطابع الطوبجي التجارية، القاهرة، ١٩٨٣.
- ١٣- الشرق والغرب: محمد كامل الخطيب، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦١، (قضايا وحوارات النهضة العربية، ٦).
- ١٤- العلوم والتقانة في الوطن العربي: الواقع والتطلعات: صبحي القاسم، عبد الله واثق شهيد، منال متولي وآخرون؛ مراجعة: أمين القلق، عبد اللطيف عبيد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠٠٣، ج٢، ٢ مجلد.
- ١٥- الفكر اليوناني والثقافة العربية: ديمتري غوتاس، ترجمة: نقولا زيادة،

- المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١٦ - فلسفة الحضارة عند هربرت ماركيز: إيمان حميدان، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٥، (آفاق ثقافية؛ ٢٧).
- ١٧ - الفلسفة موضوعات مفتاحية: جوليان باجيني؛ ترجمة: أديب يوسف شيش، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٦، (آفاق ثقافية، ٣٦٥).
- ١٨ - مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية: دنيس كوتش، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧.
- ١٩ - النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى: فواز جرجس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧.

ب- النشرة الأجنبية

أ. ربي المعدني (*)

Books:

- Pastoralists and their Neighbors in Asia and Africa/Japan.
- Les dimensions socio-culturelles des Maghrebins Emigres en Europe/ Khemaïes Tavuallal.
- Approche etho- psychologique pour la construction d'un modèle d'auto- apprentissage/ Khelil Guezzuez.
- EL libro conplido en los lidizios de las estrellas.
- Collins Dictionary of Electronics.
- Collins Latin Dictionary & Grammar.
- Collins Greek- English Dictionary.
- Dorland's illustrated Dictionary.
- Interpreter's Thematic Dictionary.
- English- French- Spanish- German Dictionary.

Periodicals:

- AJAMES, 31-1 (2015).
- Journal of Asian and African Studies, No.92 (2016).

* * *

الفهارس العامة للمجلد التاسع والثمانين

أ- فهرس أسماء كتاب المقالات

١٠٧٥	أ. إبراهيم الزبيق
٦٩٩	د. إبراهيم عبد الله
٩٩١	د. أحمد علي محمد
٦٨١	د. أحمد قدور
٧٩٧،٥٠١	د. اكتمال رجب
١١٢٥،٨٣٣،٦٠٧	د. أنور الخطيب
١٦١	د. أيمن الشوا
٩٥١	د. عباس الجراخ
١١١٥،٧٦٧	د. عبد الإله نبهان
٩١٣،٧٣٧،٥٢٥	د. عبد الناصر عساف
٧٣١،٣٧١،٤٥	د. عبد النبي اصطيف

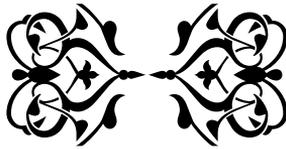
١٠١١	د. عدي حسن علي
٢١١	د. عمر شابسيغ
٧٨٣،٩	د. عيسى العاكوب
٣٣٧	د. مازن المبارك
١٣٣	د. ماهر الهندي
٤٢٩	د. محمد بسناسي
٧٥	أ. محمد شفيق ياسين
١٠٩٥	د. محمد عبدو فلفل
٨٦٥،٦٤١،٥٥٥،٢٥١	د. محمود السيد
٢٤٥	د. مروان المحاسني
١٠٣	د. مقبل الأحمد
٧٧٧	د. مكّي الحسني
٨٩٥،٦٦٥،٣٥٣،٢٢٣	د. ممدوح خسارة
٢٨١	د. موفق دعبول
١٠٥٣،٧٩٧،٥٠١	د. نشأت الحمارنة
٨٢١،١٩٥	د. هاني خليل رزق
٥٨٩	د. لبانة مشوح
٤٥٧	د. ناصر جباعي
٤٠٥	د. وليد السراقبي

ب - فهرس عناوين المقالات

- ١٣٣ - أثر المقاصد العامة في وحدة الأمة من منظور بديع الزمان النورسي
- ٦٦٥ - اجتهادات في الدرس الصرفي والدلالي تكملة مادة لغوية (١)
زَمَنٌ وتَزَمَّنَ وزَمَّنَ وتَزَمَّنَ
- ١٩٥ - أربع حقائق علمية جانب الصواب فيها آينشتاين
- ٧٦٧ - ارتكاز الفكر النحوي على الحديث والأثر في كتاب سيويه
- ١١٥٧ - إصدارات المجمع عام ٢٠١٦م
- ٣١٧ - أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام (١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م)
- ٢٢٣ - الاشتقاق والتعريب تأليف: عبد القادر المغربي/
راجعه وعلّق عليه د. عبد الإله نبهان
- ٤٥ - بتروس ألفونسي: جسر الأدب العربي إلى الأدب الأوربي
- ٨٩٥ - تجديد الدرس الصرفي بناء (مَفْعَلٌ) وجواز تقييسه
- ١٠٤٣ - تذكرة بأهم أحكام تذكير الفعل للفاعل وتأنيثه
- ٣٧١ - التناصُّ القرآني في الإنشاء الشعري لأبي مُسَلِّم البهلائي
- ١١١٥ - ثمار الصناعة في علم العربية تأليف: الحسين بن موسى الدينوري
- ٣٥٣ - جمال الكلمة العربية في النظام الصوتي العربي (المعرّبات القرآنية
نموذجاً)
- ٦٩٩ - الحد النحوي بين ابني الحاجب ويعيش في شرحيهما للمفصل
- ٧٧٧ - حذف ياء المتكلم وثلاث ياءات أخر
- ٦٠٧ - حوار لغوي حول التسمية العربية النباتية المتداولة
والتسمية العلمية النباتية العالمية

- ١٠٧٥ - صداقة العربية بين الميمني والتنوخي
- ١٨٩ - صفحة لغوية: إن شاء الله... إذا شاء الله... لو شاء الله
- ٩٩١ - الصنعة العقلية عند أبي تمام مقدمة لقراءة جمالية في شعر الطائي
- ٦٨١ - صوت الصدر بين الهمس والجهر
- ٦٤١ - طبيعة العصر وتعليم اللغة
- ٢٥١ - عالمية اللغة العربية
- ٤٢٩ - العربية واقع وآمال
- ٥٥٥ - العريزي ظاهرة خطيرة على لغتنا العربية
- ٨٢١ - العلاقة التبادلية بين علوم الطبيعة واللغة
- ٧٨٣ - عهد طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر
- ٩ - القرآن وأدب السياسة الملوكية العربي
- ١١٦٣ - فهرس المجلد التاسع والثمانين
- ٨٣٣ - قصة نبات العرباني (أرايدوبسيس) نموذجاً
- ٤٩١ - كاد... يكاد
- الكتب والمجلات المهداة
- ١١٥٨، ٨٥٩، ٦٣٣، ٣١٣ إلى مكتبة المجمع ٢٠١٦
- ٢١١ - كيف نفهم فلسفة العلوم؟
- ٨٦٥ - الكفاية اللغوية مفهوماً ومعياراً واختباراً
- ٢٤٥ - الكلمة الافتتاحية في احتفالية اليوم العالمي للغة العربية
- ٣٣٧ - لام التوقيت
- ٢٨١ - اللغة العربية والعلوم
- ليلى الصباغ وكتابها «الجاليات الأوربية في بلاد الشام
- ٧٣١ - في العصر العثماني»

- ٥٨٩ - الماء في ثقافة الشعوب
- ١١٥٥ - المحاضرات التي ألقى في المجمع عام ٢٠١٦ م
- ١٠٣ - مسمة ابن مهدي الرعيني الحميري
- ١٠٥٣ - مشروع لكتابة المعجم التاريخي للاصطلاحات الطبية ج ١
- ٤٥٧ - المصطلح البلاغي في كتاب البديع لابن المعتز
- ٧٩٧ - المعجم التاريخي للاصطلاحات الطبية (البردة-التحجر-الشعيرة)
- ٥٠١ - المعجم التاريخي للاصطلاحات الطبية (جرب العين - الحكمة)
- ٤٠٥ - المقامات القرناصية
- ١١٤٣، ٨٤٩، ٦٢١، ٢٩٧ - من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ الأساليب
- ٧٥ - المنطوق والمفهوم
- ١١٥٦ - الندوات التي عقدت عام ٢٠١٦ م
- ١٠١١ - نظام الجملة في اللغات السامية
- ٩١٣ - نظرات في (مختصر النحو) لابن سعدان الكوفي
- نظرات في بعض قرارات مجمع اللغة العربية
- ٧٣٧، ٥٢٥ - في الألفاظ والأساليب
- ٩٥١ - نظرات نقدية تحقيقية في كتاب (رياض الألباب) للسيوطي
- ١٠٩٥ - نظرية العامل في النحو العربي (تقعيد وتطبيق)
- ١٦١ - وجهة نظر في إعراب الجمل الجملة الواقعة مفعولاً من أجله
- ١١٢٥ - الوسطية والاعتدال في الفكر العربي أمين الريحاني أنموذجاً



تنضيد وإخراج: عمار البخاري